

AUB LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



AMB. LIBRARY

nA

1871-1872

1871-1872

سليمان بن عبد العزيز
ابو عبد الله

الجزء الاول

من مجموعة الرسائل الكبرى ١١١٢/٩٢١

تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم

ابن عبد السلام بن نيمية الحراني دمشقي المتوفى

سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الاولي)

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٣)

(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر)

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)

49613

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
قال الامام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رحمه الله وهو
ما صنفه بقلعة دمشق أخيراً

(فصل في الفرقان بين الحق والباطل) وإن الله بين ذلك بكتابه
ونبيه فمن كان أعظم اتباعا لكتاب الله الذي أنزله ونبيه الذي أرسله كان أعظم
فرقانا ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان
واشبه عليه الحق بالباطل كالذين اشبه بهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان
والنبي الصادق بالمنفي الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى
شبه عليهم الخالق بالخلق فان الله سبحانه وتعالى بعث محمدا بالهدى
ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور فترق به بين الحق
والباطل والهدى والضلال والرشاد والنفي والصدق والكذب والعلم
والجهل والمعروف والمنكر وطريق اولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء
وبين ما عايناه الناس من الاختلاف وكذلك الذين قبله قال الله تعالى

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم) وقال تعالى (نالله لقد أرسلنا الي أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال سبحانه وتعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (ألم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

قال جماعة المفسرين هو القرآن * روى ابن أبي حاتم باسناده عن الربيع بن أنس قال هو الفرقان فرق بين الحق والباطل قال وروى عن عطاء ومجاهد ومقسم وقنادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وروى باسنادة عن شيبان عن قتادة في قوله وأنزل الفرقان قال هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ففرق به بين الحق والباطل وبين فيه دينه وشرع فيه شرائعه وأحل حلاله وحرم حرامه وحد حدوده وأمر بطاعته ونهى عن معصيته وعن عباد بن منصور سألت الحسن عن قوله تعالى وأنزل الفرقان قال هو كتاب بحق * والفرقان مصدر فرق فرقانا مثل انرجحان والكفران والحسران وكذلك القرآن هو في الاصل مصدر قرأ قرأنا ومنه قوله (ان علينا جمعه وقرأناه فاقرأه قرآنه ثم ان علينا

يانه) ويسمى الكلام المقروء نفسه قرآنا وهو كثير كما في قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كما ان الكلام هو اسم مصدر ككلم تكلميا وتكلم تكلميا ويراد به الكلام نفسه وذلك لان الانسان اذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر وحصل عن الحركة صوت يقطع حروفا هو نفس التكلم فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعا من العمل اذا اريد به المصدر وتارة يجعل قسما له اذا اريد ما يشكك به وهو يتناول هذا وهذا وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان لفظ الفرقان اذا اريد به المصدر كان المراد انه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل وهذا منزل في الكتاب فان في الكتاب الفصل وانزال الفرق هو انزال الفارق وان اريد بالفرقان ما يفرق فهو الفارق أيضا فهما في المعنى سواء وان اريد بالفرقان نفس المصدر فيكون انزاله كانه انزال الايمان وانزال العدل فانه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن كما جعل فيها الايمان والعدل وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان والميزان قد فسر بالعدل وفسر بانه ما يوزن به ليعرف العدل وهو كالفرقان يفسر بالفرق ويفسر بما يحصل به الفرق وهما ملازمان فاذا اريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه واذا اريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الاخرى سمي كتابا باعتبار انه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب وسمى فرقانا باعتبار انه

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمي هدى باعتبار أنه يهدي الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشهوات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقتني والمأحى والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والعطف يكون لتغاير الاسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله سبحانه اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدي * وقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك * وهنا ذكر أنه نزل الكتاب فانه نزله منفرداً وانه أنزل التوراة والانجيل وذكر أنه أنزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان في القلوب وأنزل الميزان والايمن والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا أنزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكراً) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم بنصره على فرعون كما في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجية والدليل وقيل القرآن والحجية والدليل يتناول الآيات التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هناك جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فلهذا اشاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان

كما حصل بالقرآن ويحصل بالنظر والتمييز بين أهل الحق والباطل بان
يغيب هؤلاء وينصرهم ويمسح هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين
كما يفرق المفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الي هؤلاء وعقوبة
هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التي الجمعان والله على كل شيء قدير) قال الوابي
عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل
قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبد الله بن عبد الله
والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وبذلك فسرا أكثرهم ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا كما في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)
أى من كل ماضق على الناس قال الوابي عن ابن عباس في قوله ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى مخرجا قال ابن أبي حاتم وروى عن
مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان كذلك
غير ان مجاهداً قال مخرجا في الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن
ابن عباس قال نصراً قال وفي آخر قول ابن عباس والسدى نجاة وعن
عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أى فصلاً بين الحق والباطل يظهر
الله به حقكم ويظفي به باطل من خالفكم وذكر البغوى عن مقاتل
ابن حيان قال مخرجا في الدنيا من الشبهات لكن قد يكون هذا تفسيراً
لمراد مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزى عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة والضحاك وان قتيبة أنهم قالوا هو المخرج ثم قال
والمعنى يجعل لكم مخرجا في الدنيا من الضلال وليس مرادهم وإنما

مرادهم المخرج المذكور في قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا
والفرقان المذكور في قوله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقد ذكر
عن ابن زيد أنه قال هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل
ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهو النصر والنجاة ونوعا الظهور
في قوله تعالي هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان ويظهر باليد والعز والسنان
وكذلك السلطان في قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً فهذا
النوع وهو الحجة والعلم كما في قوله أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو بتكم
بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
أناهم ان في صدورهم الاكبر وقوله ان هي الا أسماء سميتوها أتم
وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بسلطان القدرة
واليد وفسر بالحجة والبيان فمن الفرقان ما نعمة الله به في قوله ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا
يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يهدونه مكتوباً عندهم
في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب
والخبث أحل هذا وحرم هذا

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين
أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

السيات قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال
تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم
نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالجrimين مالكم كيف
تحكمون وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون وقال تعالى آمن هو قانت آناً الليل
ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب وقال تعالى وما
يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت
بسمع من في القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً
وقال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن كان مؤمناً
كمن كان فاسقاً لا يستوون فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل
الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به
وبين ما نهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق
لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شيء فيجعل المخلوق نداً
للخالق قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم
كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (هل تعلم له سمياً ولم

يكن له كفواً أحد ليس كمثلته شيء وضرب الامثال في القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بيته وبين خاقه كما قالوا وهم في النار يصطرون فيها تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقال تعالي اقم يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون واتدين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون

فهو سبحانه الخالق العليم الحق الحلي الذي لا يموت ومن سواه لا يخلق شيئاً كما قال ان الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره

وهذا مثل ضرب به الله فان الذباب من اصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لا يخلقون ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه فاذا تبين انهم لا يخلقون ذباباً ولا يقدرون على انتزاع ما يسألهم فهم عن خالق غيره وعن مغالته أعجز وأعجز

والمثل هو الاصل والتظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون أي لما جعلوه نظيراً قاسوا عليه آلهتهم وقالوا اذا كان قد عبد وهو لا يعذب فكذلك آلهتنا فضرى به مثلاً لا آلهتهم وجعلوا يصدون أي يضجون ويعجبون منه احتجاجاً به على الرسول والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه في قوله تعالي ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال في فرعون وجعلناه سافكا ومثلا
 للآخرين أى مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره فمن عمل بمثل عمله
 جوزى بجزائه ايتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله وقال تعالى ولقد
 أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهو ما ذكره
 من أحوال الامم الماضية التى يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلية
 كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الاباب فمن كان من أهل الابمان
 قيس بهم وتعلم ان الله يسامده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل
 الكفر قيس بهم وتعلم ان الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق
 هؤلاء أ كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وقد قال قد
 خات من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
 المكذبين وقال في حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلكم وقال وذا
 النون اذ ذهب مغاضبا نظنا أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله
 الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك
 نجى المؤمنين وقال في قصة أيوب رحمة من عندنا وذكروا رحمة من
 وذكروا لاولى الاباب وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال
 أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
 البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
 الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل
 بما نثبت به قؤادك * فليظ المؤمن يراد به التظير الذى يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع انقياس قلبه بحبانه وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال
من يحيي العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وهي رميم * فمثل الخالق
بالمخلوق في هذا النبي فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احياؤها - واء نظمه
قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا
الموضع وبين ان معنى القياسين قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل
المضروب المذكور في القرآن فاذا قات النبيذ مسكر وكل مسكر حرام
وأثبت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم - لم كل مسكر
حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم - قياساً على الخمر لان الخمر انما
حرمت لأجل الاسكار وهو موجود في النبيذ فقوله ضرب مثل
فاستمعوا له جلي ما هو من أصغر المخلوقات مثلاً ونظيراً يعتبر به فاذا
كان أدون خالق لله لا يقدر على خاقه ولا منازعته فلا يقدر على خالق
ما سواه فيعلم بها من عظمة الخالق وان كما يعبدون من دون الله في
السماء والارض لا يقدر على ما هو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم
جعلوا آلهتهم مثلاً لله فاستمعوا لذكورها وهذا لانهم لم يفقهوا المثل
الذي ضرب به الله جعلوا المنزكين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا
في القرآن قوله ضرب به الله يبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا
ومثلاً كقوله ذل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا يبدل الحق
الا الضلال فاني نصر فون كذلك حقت كلمة ربك على الذين نسوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فاني نؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فمن هدى الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الاظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

ولما قرر الوجدانية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بمراسم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم اياه ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون يملكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتمظيم والدعاء والعبادة والتذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك بخلاف من لا يعدل به ولكن يذنب مع اعترافه بان الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك

(فصل) وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه يجمع ويسوي بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقا وامرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين شئيين غير متماثلين بل ان كانا

مختلفين متضادين لم يـ و بينهما

ولفظ الاختلاف في انقرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله واكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالى ان السنة لا تبدل ولا تحول في غير موضع « والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا يا اولي الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار ويرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافاك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا نجد اسنتنا نحوها وقال تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

مأمونين أينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن نجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله قبل الأحزاب وظهور الإسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبمدها وقبل أحد وبمدها فآخفوا النفاق وكنتموه فلهذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يجب من لم يقتل الزنادقة ويقول إذا أخفوا زندقته لم يمكن قتلهم ولكن إذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله مأمونين أينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن نجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من انفاق فآوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكنتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق قال مقاتل ابن حبان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا فذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدي كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبيّ وعبد الله بن نفيل ومالك بن دأس فكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحبون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزنا ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يدعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجاسون على

الطريق ثم قال السديونين ثم فمات الآية أينما تقنوا يعملون هذا العمل
 مكابرة النساء قال السدي هذا حكم في القرآن ليس يعمل به لو أن
 رجلا أو أكثر من ذلك أقصوا أثر امرأة فغابوها على نفسها فنجروا
 بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرحم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم
 قال السدي قوله سنة كذلك كان يفعل بمن مضى من الامم قال
 فن كابر امرأة على نفسها فقتل فابس على قاتله دية لانه مكابر
 قتل هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا اصوله منها مثل أن
 يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمة فهو شهيد وهذه
 لما أن تدفعه بالقتل لكن اذا طاعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قضيتان عن
 عمر وعلى معروفان وأما إذا فجر بها مستكرها ولم نجد من بينها عليه فهو لاء
 نوعان أحدهما أن يكون له شوكة كالمحاربين لاخذ المال وهؤلاء محاربون
 للفاحشة فبقتلوا قال السدي قد قاله غيره وذكر أبو الوليد ان هذه جرت
 عنده ورأى ان هؤلاء أحق بأن يكونوا محاربين والثاني أن لا يكونوا
 ذوى شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالا حتى اذا صارت عندهم المرأة
 أكرهوها فهذا المحارب غيلة كما قال السدي يقتل أيضا واركانوا جماعة
 في المعر فهم كالمحاربين في المعر وهذه المسائل لها مواضع أخر
 والمقصود ان لله أخبر ان ته ان تبدل ولن تتحول وسنته تادته
 التي يسوى فيها بن النبي وبين ظهيره الماضي وهذا يقتضى انه سبحانه
 يحكم في الامور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال أكفاركم خير من
 أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأرواجهم أي أشياهم ونظراءهم

وقال واذا انفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبكم
 أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت
 لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا بر آء منكم
 وبما تعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
 أبدا وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
 باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها
 الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم باحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان
 والجنة وقد قال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
 فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
 ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
 انك رؤوف رحيم وقال تعالى وآخريين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
 الحكيم فمن اتبع السابقين الاولين كان منهم وهم خير الناس بعد الانبياء
 فان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في
 الصحاح من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الفرون القرن
 الذي بنت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولهذا كان معرفة أقوالهم
 في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم
 في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد
 والعبادة والاخلاق والجهاد وغير ذلك فانهم أفضل من بعدهم كأدل
 عليه الكتاب والسنة فالافتداء بهم خير من الافتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكروا من اجماع
غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لا يكون الا معصوما واذا تنازعوا فالحق لا يخرج
عندهم فيمكن طلب الحق في بعض أقوالهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم
حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى
الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلك سبيلهم ولا هم
خبيرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يشكلمون به في العلم ويعملون
به ولا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى
والزهد والتصوف فهؤلاء تجرد عمدتهم في كثير من الامور المهمة في
الدين انما هو عما يظنون من الاجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال
السلف البتة أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحلون الاجماع
ولا يماحون الاقوالهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة
أو طائفتين أو ثلاث وتارة صرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير
في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجرد كتب أهل الكلام مشحونة
بذلك يحلون اجماعا ونزاعا ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة بل
قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجرد ذلك في مسائل أقوال
الله وأفعاله وصفاته مثل مسألة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكر لهم علم بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم
 باجماع المسلمين لم يكر هؤلاء من أهل العلم به لعدم علمهم بأقوال السلف
 فكيف اذا كان المسلمون يمشرون القطع باجماعهم في مسائل النزاع
 بخلاف السلف فانه يكر العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع
 المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي
 يكون كل قول من تلك الأقوال سائغا لم يخاف اجماعا لان كثيرا من
 أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبوقة باجماع السلف على
 خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعاً كخلاف الخوارج
 والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها
 النصوص المستنبضة لمعلومة واجماع الصحابة بخلاف ما يعرف من نزاع
 السلف فانه لا يمكن أن يقال انه خلاف الاجماع وانما يرد بالنص واذا
 قيل قد أجمع التابعون على أحد قولهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على
 مقدمتين احدهما العلم بأنه لم يبق في لامة من يقول بقول الآخر وهذا
 متعذر ان في ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف
 يكر القول به اذا كان معه حجة ذ على خلافه ونزاع المتأخرين
 لا يمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كما دلت
 النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعاً وأيضا فلم يبق
 مسألة في الدين الا وقد تكلم فيها السلف فلا بد أن يكون لهم قول يخالف
 ذلك القول أو يوفقه وقد بسطنا في غير هذا الموضوع ان الصواب في
 أقوالهم أكثر وأحسن وان خصائهم أحسن من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأخس وهذا في جميع علوم الدين ولهذا أمانة
 كثيرة يضيق هذا الموضوع عن استقصائها والله سبحانه أعلم
 (فصل وبما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث) إذا صرف
 تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتاج في ذلك إلى أقوال أهل
 اللغة فإنه قد صرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يحتاج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال
 الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة
 ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالمعروف
 كالفظ الفرض والفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف
 وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة
 فكار من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه
 لا يقبل من أحد قط ن يعارض القرآن لأبرأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا
 قوله ولا وجدته فانهم ثبت عنهم بالإبراهيم القطعيات والآيات البيّنات
 أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وان القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه
 نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفضل ليس بالهزل من
 تركه من حبار الله ومرابنني لهدى في غيره أضله الله هو جبل الله
 بين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزبغ به
 الا حواء ولا تتبس به الالاس فلا يستطيع أن يزبغه الى حواء ولا يحرف
 به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل
 كغيره من الكلام . لانهصى عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به

صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى
صراط مستقيم

فكان القرآن هو الامام الذي يقتدى به ولهذا يوجد في كلام أحد
من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد
ومكاشفة ولا قال قط قد تمارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول
فيجب تقديم العقل والنقل يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة
والتابعين امان بفوض واما أن يقول * ولا فيهم من يقول انه ذوقا أو
وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن
يدعى أحدهم انه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول * وانه
يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبيااء كلهم يأخذون عن مشكاته
أو يقول الولي أفضل من النبي ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد * فان
هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين * وانما يعرف مثل
هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي
أفضل من النبي كما قد يقوله في الحوارين فانهم عندهم رسل وهم يقولون
أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسى وان سموهم أنبياء
الى أمثال هذه الامور * ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الابائية
أخرى تنسرها وتذسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تنسرها
* فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسين القرآن وتدل عليه وتعتبر
عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها فالنسخ عندهم اسم عام
لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعنى لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد
 منها قوم فيسمون ما رجع ذلك الابهام والافهام نسيخا هذه
 التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك الشيطان
 ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الاذهان من ظن دلالة الآية
 على معنى لم يدل عليه سمي هؤلاء ما برقع ذلك الظن نسيخا كما سوا
 قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حتى ثقائه وقوله لا يكلف
 الله نفسا لا وسعها ناسخا لقوله ان تسبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه
 يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويمذب من يشاء وامثال ذلك مما ليس
 هذا موضع بسده

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان اقرآن لا يعارضه الا قرآن
 لارأى ومقول وقياس ولا ذوق ووجد والهلم ومكاشفة

وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هي من سوء فهمهم
 للقرآن لم يقصدوا مدارسته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا انه
 يوجب تكفير ارباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقي قالوا فمن لم
 يكن برا تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلى ومن
 والاهما ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها
 مقدتان الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو
 كافر والثانية ان عثمان وعليا ومن والاهما كانوا كذلك ولهذا يجب
 الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت
 في الاسلام فكفر أهالها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث الصحيحة في ذمهم والامر
بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من
عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وأفرد البخاري قطعة
منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته
ممارسة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية
ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان
ضره فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الاحاديث الصحيحة
ولهذا لا يوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف
الحوارج فانه لا يعرف فيهم من يكذب

(والشيعة) لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب
فيهم ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروى البخاري ومسلم
أحاديث على الا عن أهل بيته كاولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد
ابن الحنفية وكتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم
مثل عبيدة السلماني والحريث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم اذهولاء
صادقون فيما يروونه عن علي فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم
وهتان العاطفتان الحوارج والشيعة حدثوا بمد مقتل عثمان وكان
المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان في السنة
الاولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم ثم حدث في أواخر خلافة عثمان
أمور أوجبت نوعاً من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والقلم فقتلوا

عثمان فذفرق المسلمون بهد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفيين
واتفتوا على تحكيم حكيمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا
جماعة المساميين الى مكان يقال له حروراء فكشف عنهم أمير المؤمنين وقال
لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من النبي ولا نمنعكم المساجد الى أن
استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبد الله بن حباب وأغاروا
على مروح المسلمين فعلم على أنهم العائفة التي ذكرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث قال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع
صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة
عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان
نخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على مروح الناس فقاتلهم
ووجد العلامة بهد أن كاد لا يوجد فوجد الله شكراً

وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختلفين بقولهم لا يظهره لعل
وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخذلهم
أخاديد عند باب مسجد بني كنده وقيل انه أشد
لما رأيت الامر أمراً منكراً * أجمت ناري ودعوت قنبرا
وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أتني علي بزنادقة

فخر قههم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقتهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم
 أن يعذب بعذاب الله واضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه
 وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى
 أنه أجلمهم ثلاثا

(والثانية) السابغة وكان قد بلغه عن أبي السوداء أنه كان يسب أبا بكر
 وعمر فطابه قبل أنه طابه ليقتله فهرب منه

(والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتوار عنه أنه قال
 خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه
 عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قل عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون
 في تفضيل أبي بكر وعمر وإنما كان النزاع في علي وعثمان ولهذا قال شريك
 ابن عبد الله إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر
 وعمر ف قيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا
 وهو الذي قال هذا على اعواد منبره أفتكذبه فيما قال ولهذا قال سفيان
 الثوري من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين
 والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواه
 أبو داود في سننه وكانه يعرض بالحسن بن صالح بن حبي فان الزيدية
 الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام
 ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وإنما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين
دار كفر وحرب

وكلا العائنين تطمن بل تكفر ولاة المسلمين وجهور الخوارج
يكفرون عثمان وعائيا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان
ومن تولاهما ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ
الاموال والخروج بالسيف فلماذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم
والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل
الحديث مثل احاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنه واحاديث الشفاعة
والحوض

(وقد رويت احاديث في ذم القدرية والمرجئة) روى بعضها أهل
السنن كابن داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء
من طمن فيها وضعفها ولكن الذي ثبت في ذم القدرية ونحوهم هو عن
الصحابة كابن عمر وابن عباس

(وأما لفظ الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج
زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد
الملك واتبعه الشيعة فمثل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما
فرفضه قوم فقل رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى
أخاه أبا جعفر محمد بن علي زيديه والزيدية يتولونه وينسبون اليه ومن
حينئذ انتمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

(ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية) وأصل بدعتهم كانت من

عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايان بامرہ ونهيہ ووعدہ ووعيده
وظنوا ان ذلك ممتنع وكانوا قد آبنوا بدين الله وأمره ونهيہ ووعدہ
ووعيده وظنوا أنه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من بطبيع ومن
يعصى لانهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم
أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم انهم يفسدون لم
يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بانكار التدر السابق
للمصاحبة أنكروا انكارا عظيما وتبرؤا منهم حتى قال عبد الله بن عمر أخبر
أولئك أني برى منهم وانهم مفر آء والذي يخاف به عبد الله بن عمر
لو أن لاحدهم مثل أحد ذهباً فانفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر
وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد
أخرجہ البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصراً

ثم كثر الخوض في القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام
وبعضه في المدينة فصار مقتصدوهم وجهورهم يقرون بانقدر السابق
وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد
فصاروا في ذلك حزينين * النفاة يقولون لا ارادة الا بمعنى المشيئة وهو
لم يرد الا بأمر به ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد * وقابلهم الخائضون
في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وأمثاله فقالوا ليست الارادة
الا بمعنى المشيئة والامر والنهي لا يستلزم ارادة وقالوا العبد لا فعل له
البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفي
الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لا يسمى الله شيئاً ولا غير ذلك من

الاسماء التي تسمى بها العباد الا القادر فقط لان العبد ليس بقادر
 * وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة
 وقالوا انهم كفار مخلدون في النار نخاض الناس في ذلك وخاض في ذلك
 القدريه بعد موت الحسن البصرى فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم
 مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون في النار
 فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون وعلي انه ليس معهم من الاسلام
 والايمان شيء ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن
 البصرى مثل فتادة وأيوب السخيتاني وأمثالهما

(فسموا معتزلة من ذلك الوقت بسد موت الحسن) وقيل ان

فتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أي في أسماء الدين مثل مسلم
 ومؤمن وكافر وفاسق وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة فلمعتزلة
 وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من
 دملهم وأموالهم ما استحلته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين
 المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي اضر دوا فيها واثروا أقوالهم قد شاركهم
 فيها غيرهم

(وحدثت المرجئة) وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن

أصحاب عبد الله من المرجئة ولا ابراهيم النخعي وأمثاله فصاروا تقيض
 الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمال ليست من الايمان وكانت هذه
 البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين يضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن
 أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان
 الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالمار ثم يخرجهم بالشفاعة كما
 جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلى انه لا بد في الايمان أن يتكلم
 بلسانه وعلى ان الاعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والمقاب
 فكان في الاعمال هل هي من الايمان وفي الاستثناء ونحو ذلك وعاءته
 نزاع لفظي فان الايمان اذا طاق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى
 الله عليه وسلم لم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة
 أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء
 شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات فقد ذكر مقيدا بالعطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه
 وعطفت عطف الخصاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف
 كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف
 أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات
 للفقراء والمساكين وكما في آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة
 مساكين وفي قوله وان نخزوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير
 والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل في الايمان هو كذلك في لفظ البر
 والتقوى والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تختلف دلالتها في
 الافراد والاقتران لمن تدر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كبيراً في
 الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل لذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله كما في المسند
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب
 وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا ان في الجسد مضغة
 اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا
 وهي القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح
 سائر الجسد فلذلك هو ثمرة ما في القلب فلهذا قال بعضهم الاعمال
 ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت في الاسم كما
 نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفي الجملة الذين رموا
 بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب و ابراهيم التيمي ونحوهما كان
 ارجاؤهم من هذا النوع

(وكانوا أيضا) لا يستنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو
 الايمان الموجود فينا ونحن نقطع بانام صدقون وبرون الاستثناء شكاً
 وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستنون وقد روى في حديث انه
 رجيع عن ذلك لما قاله بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكر هذا
 وضمف هذا الحديث وصار اناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول
 انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدأ وقول ان الاستثناء محذور
 فانه يقتضى الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز
 الاستثناء باعتبار وتره باعتبار فاذا كان مقصوده اني لأعلم اني قائم في
 كل ما أوجب الله على وانه يقبل أعمالى ليس مقصوده الشك فيما في
 قلبه فهذا استثناء حسن وقصده ان لا يزكى نفسه وأن لا يقطع بأنه

عمل محملاً كما أمر فقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول واحد منهم ان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل والبخاري في أول صحيحه بوب أبواباً في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بعض من ضعف في هذا الباب من أصحاب أبي حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايماني كايمان جبريل وميكائيل قال محمد لانهم أفضل يقيناً و ايماني كايمان جبريل أو ايماني كايمان أبي بكر أو كايمان هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لا يجوزون الاستثناء في الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لا يوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتبون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء فيه بأنه لا يصح تعاقبه على الشرط لان المعاق على الشرط لا يوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا عاق الايمان بالشرط كسار المعاقات بالشرط لا يحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يترجاه القائل لا يتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل على التصديق والاقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معنى للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤمنور بما يتوهم هذا القائل القارن بالاستثناء على الايمان بقاء التصديق وذلك يزيله

(قلت) فتعليبهم في المسئلة انما يتوجه فيمن يعاق انشاء الايمان

عني المشيئة كالذي يريد الدخول في الاسلام فيقال له آمن فيقول
 أنا أو من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو
 أشهد ان شاء الله أن لا اله الا الله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول
 الله والذين استثنوا من السالف والخلف لم يقصدوا في الانشاء
 وإنما كان استثناءهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما
 ان الايمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لا يعلمون الخاتمه كانه اذا
 قيل لرجل أنت مؤمن قيل له أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة
 فيقول أنا كذلك ان شاء الله أو لانهم لا يعرفون انهم أتوا بكامل الايمان
 الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن بالله
 وملائكته وكتبه فيجزم بهذا ولا يعلقه أو يقول ان كنت تريد الايمان
 الذي يعصم دمي ومالي فأنا مؤمن وان كنت تريد قوله انما المؤمنون الذين اذا
 ذكروا لله وجات قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون
 الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا
 وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
 بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فأنا مؤمن ان شاء
 الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من
 آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

فتبين ان النزاع في المسئلة قد يكون لفظيا فان الذي حرمه هؤلاء
 غير الذي استحسنته وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما في قلبه من

الحال وهذا حق لا ينافي تعليق الكمال والعاقة ولكن هؤلاء عندهم
 الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند اولئك
 (والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الاسلام) وهو
 المشهور عن أحمد رضى الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط
 هذا في شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التي في الكتاب
 والسنة

(ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله) ففيه نزاع مشهور
 وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيان يراد به ايقاع
 الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده أنت طالق بهذا
 اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين
 أني بالتطبيق فيقع وان كان قد علق لثلا يقع أو علقه على مشيئة توجده
 بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هـ إذا فانه حينئذ شاء الله أن
 يطلق وقول من قال المشيئة تنجزه ليس كما قال بل نحن نعلم قطعاً ان الطلاق
 لا يقع الا اذا طلقت المرأة بان يطلقها الزوج أو من يقوم مقامه من ولى
 أو وكيل فاذا لم يوجد تطبيق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق
 ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا بتطبيق بعد ذلك وكذلك
 اذا قصد تعليقه لثلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة
 توكيدا وتحقيقا فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان
 كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا مؤمن بعد ذلك فهذا لم يصر مؤمناً

مثل الذي يقال له هل نصير من أهل دين الاسلام فقال اصبر ان شاء الله فهذا لم يعلم بل هو باق على الكفر وان كان قصده اني قد آمنت وايمانى بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء وايضا فان الاصل انه انما يعاق بالمشيئة ما كان مستقبلا فاما الماضي والحاضر فلا يعاق بالمشيئة والذين استنوا لم يستنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فآخبرتهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء

وعلى كل أحد أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثنى أحد من السانف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسه بأنه يرتقى فيقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت برّ تقي فاذا قال أنا برّ تقي فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يتم عقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فلا استثناء يعود الى ذلك لالى ما علمه هو من نفسه وحصل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك تحميق لا تعليق والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم

بأنه يكون فالمعلق هو الفمل كقوله لدخول المسجد الحرام ان شاء الله
والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لا فملن كذا ان شاء الله
وهو لا يجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه
عليه قد يكون جازما ولكن لا يجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون المعزم
مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متى كان المعزوم عليه معلقا لزم تعليق
بقاء العزم فانه بتقدير ان تعليق العزم ابتداء أو دواما في مثل ذلك ولهذا
لم يحنث المطلق المعلق وحرف أن لا يكون لابقى العزم فلا بد اذا دخل
على الماضي صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ وادا أتى الماضي
دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون لله فاتبعوني فيفرق بين قوله
أنا مؤمن ان شاء الله وبين قوله ان كان الله شاء ايماني * وكذلك اذا
كان مقصوده اني لا أعلم بماذا يختم لي كما قيل لابن مسعود ان فلانا يشهد
انه مؤمن قال فليشهد انه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن
عند الله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايماني حاصل
بمشيئة الله * ومن لم يستثن قال أنا لأشك في ايمان قلمي ف جناح عليه
اذا لم يترك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل
ان ايمانه كما يمان جبريل وأبي بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما
كان مسعر بن كدام يقول أنا لأشك في ايماني قال أحد ولم يكن من
المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان
يقول هي من الايمان لكن أنا لأشك في ايماني

وكان الثوري يقول لـ فيان بن عبيدة الأنايه عن هذا فاهما من
 قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع
 والمقصود هنا أن النزاع في هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس
 المنازعة في كثير من الأحكام وكلامهم من أهل الإيمان والقرآن
 ﴿ وأما جهنم ﴾ فكان يقول أن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم
 يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأئمة وأئمتها بل أحد
 وكيع وغيرهما كفروا من قال به هذا القول ولكن هو الذي نصره
 الأشعري وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك أن كل من حكم الشرع بكفره
 حكمنا بكفره واستدلنا بتكفير الشارع له على خلق قلبه من المعرفة وقد
 بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم في الإيمان
 والاصل الذي منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم
 يكن معه شيء من الكفر والتفريق وظن بعضهم أن هذا اجماع كما ذكر
 الأشعري أن هذا اجماع فهذا كان أصل الأرجاء كما كان أصل القدر
 عجزهم عن الإيمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا
 حزينين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان
 فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان وإذا زال بعضه زال جميعه لأن
 الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان وتفاق فيكون أصحاب
 الذنوب مخلصين في النار إذا كان ليس معهم من الإيمان شيء وقالت
 المرجئة مقصدتهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا أن أهل الذنوب من أهل
 القبلة لا يخلصون في النار بل يخرجون منها كما توارت بذلك الأحاديث

وعلمنا بالكتاب والسنة واجماع الائمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان
الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله
فلو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتلهم وبهذا ظهر للاعتزلة ضعف
قول الخوارج بخالفوهم في أحكامهم في الدنيا

والخوارج لا يتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ماخالف
ظاهر القرآن عندهم فلا يرجعون الزاني ولا يرون للسرقة نصابا وحينئذ
فقد يقولون ليس في القرآن قتل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين
وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم
على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية
والكرامية والاشعرية والسابلية وأهل المذاهب الاربعية والظاهرية
ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط
الكلام على تفصيل القوم في أقوال هؤلاء في غير هذا الموضوع

(وان الناس في ترتيب أهل الاهواء على أقسام) منهم من يرتبهم
على زمان حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم
وغلظة فيبدأ بالمرجئة ويختتم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد
رضي الله عنه كما عبد الله ابنه ونحوه وكالحلال وأبي عبد الله بن بطنة
وأماهما وكأبي الفرج المقدسي وكلا الطائفتين تختتم بالجهمية لانهم أغلظ
البدع وكأبي بخارى في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة
وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب
في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهمية وكذلك رتب أبو القاسم الطبري كتابه في أصول السنة والبيهقي
أفرد لكل صنف مصنفاً فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر
ومصنف في شعب الإيمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث
والنشور وبسط هذه الأمور له موضع آخر

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام في الإيمان
والالام أهم لما ظنوا انه لا يتبعض قال أوائلك فاذا فعل ذنباً زال بعضه
فيزول كله فيخلد في النار فقالت الجهمية والمرجئة قد علمنا أنه ليس
يخلد في النار وانه ليس كافراً مرتداً بل هو من المسميين واذا كان من
المسلمين وجب أن يكون مؤمناً تام الإيمان به بعض الإيمان لان الإيمان
عندهم لا يتبعض فاجبوا أن يجملوا الإيمان شيئاً واحداً يشترك فيه
جميع أهل القبلة فقال فقهاء المرجئة هو التصديق بالقلب والقول
باللسان فقالت الجهمية بعد تصديق اللسان قد لا يجب اذا كان الرجل
آخرس أو كان مكرها فالذي لا بد منه تصديق القلب وقالت المرجئة
الرجل اذا لم يكن مؤمناً قبل أن يجب عليه شيء من الافعال وأنكر
كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم ان لايمان يزيد
وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن البارك يقول هو يتفاضل
ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لا ينقص رواه
والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه
كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم يعرف
هذا اللفظ الا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجملة من نقصان

دينها انها اذا حاضت لا تصوم ولا نصلي وبهذا استدل غير واحد على
أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من
جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي
أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذي أمر به كل شخص فان
المسلمين في أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك
أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالتبليغ فكان من
الايمان في أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من
الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في
الشريعة الواحدة وأيضا فن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب
عليه من الايمان ان يعلم ما أمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه مالا يجب على
غيره الا مجالا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول
ما يسلم انما يجب عليه الاقرار الجمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه
ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان
وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شيء واحد وانه يستوى
فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء
كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه
كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين ان الايمان الذي أوجبه
الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما فيجب على
الملائكة من الايمان مالا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

ما لا يجب على غيرهم ويجب على العلماء ما لا يجب على غيرهم ويجب
 على الامراء ما لا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من
 العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم
 الاقرار المجمل بكل ما جاء به الرسول فاكثرهم لا يعرفون تفصيل كل
 ما أخبر به وما لم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا وما لم يؤمر
 به العبد من الاعمال لا يجب عليه معرفته ومعرفة الامر به فمن أمر ببيع
 وجب عليه معرفة ما أمر به من أعمال الحج والايان بها فيجب عليه من
 الايمان والعمل ما لا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه
 معرفة ما أمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به ما لا يجب
 على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل ما لا يجب على غيره اذا
 جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا في
 مسمى الايمان كان أبلغ فبكل حال قد وجب عليه من الايمان ما لا يجب
 على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور
 أخرى لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حولت القبلة الى
 الكعبة وطائفة نافقت لما انهزمت المسلمون يوم أحد ونحو ذلك
 ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما
 ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك في سورة البقرة فقال
 مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
 وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا
 فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا إيمانا مجملا ثم يأتي أمورا يؤمن بها
 فيناقق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته
 وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر
 فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى
 عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو
 صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة فلا يمكن المنازعة ان الايمان الذي أوجبه الله يتباين فيه
 أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبي
 صلى الله عليه وسلم في النساء ناقصات عقل ودين وقال في نقصان دينهن
 انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلى وهذا مما أمر الله به فليس هذا القصد
 ديننا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا
 الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان
 من أمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا
 أفضل ديننا وإيماننا وهذا المفضل ليس بعقاب ومذموم فهذه زيادة
 كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب في حق شخص
 وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة وتركها بهذا لا يستحق
 العقاب بتركها وذلك لا يستحق العقاب بتركها ولكن ايمان ذلك أكمل
 قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خاقما
 فهذا يبين تفاضل الايمان في نفس الامر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الايمان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذي يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليدر ايمان السارق والزاني والشارب كايان غيرهم ولا ايمان من أدى الواجبات كايان من أحل ببعضها كما انه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل ديناً وبراً وتقوى فهو كذلك أفضل ايماناً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وقد يجتمع في العبد ايمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لا يتبعض ولا يتفاضل بل هو شيء واحد يستوى فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغاطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا كما تقدم وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلمواؤهم وأئمتهم أحسنهم قولاً وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الايمان لكن ان كان مقرراً بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار

(وهذا القول هو الذي اخصت به الكرامية وابتدعته) ولم يسبقها

أحد الي هذا القول وهو آخر ما أحدث من الاقوال في الايمان وبعض
الناس يحكى عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة
وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار
فيلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها
وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان في
قلبه منقال ذرة من ايمان وان قالوا لا يخلد وهو منافق لزمهم أن يكون
المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر
لهم أولاً تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال
ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله ومانوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان
قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بالسنتهم سرّاً فكفروا بذلك وانما
يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك رده عن الايمان
قيل لهم ولو أضمرنا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالى يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله
مخرج ما يحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم واتهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب
وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
ولما يدخل اليمان في تلوبكم وفي الصحيحين عن سعدان النبي صلى الله
عليه وسلم أعطي رجلاً ولم يعط رجلاً فقلت يا رسول الله أعطيت فلاناً
وفلاناً وترك فلاناً وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أو ثلاثاً وبسط
الكلام في هذا له مواضع أخر وقد صنفت في ذلك مجلداً غير ما صنفت
فيه غير ذلك

وكلام الناس في هذا الاسم ومما به كثير لأنه قطب الدين الذي
يدور عليه وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والدم
والنواب والعقاب أعظم من اسم اليمان والكفر ولهذا سمى هذا الاسل
مسائل الاسماء والاحكام وقد رأيت لابن الهبضم فيه مصنفاً في أنه قول
اللسان فقط ورأيت لابن الباقلاني فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط
وكلاهما في عصر واحد وكلاهما يرد على المعتزلة والرافضة

(والمقصود هنا ان الساف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان)
فلما حدث في الامة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق
والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن
والايمان ولكن على أصول ابتدعتها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد
والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ثم ما ظنوا أنه يوافقها
من القرآن احنجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجردهم اذا احتجوا
بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلائلها ولم يستقصوا ما في القرآن

من ذلك المعنى اذ كان اعتمادهم في نفس الامر الي غير ذلك والآيات التي مخالفهم بشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده ان يفهم مراد الرسول بل ان يدفع منازعه عن الاحتجاج بها

ولهذا قال كثير منهم كأبي الحسين البصرى ومن تبعه كلرازى والآمدى وابن الحاجب ان الامة اذا اختلفت في تأويل الآية على قولين جازمان بعدهم احداث قول ثالث بخلاف ما اذا اختلفوا في الاحكام على قولين فجوزوا ان تكون الامة مجتمعة على الضلال في تفسير اقرآن والحديث وان يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة واتباعون ولكن قالوا ان الله أراد معنى آخر وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا فان أصلهم ان الامة لا تجتمع على ضلالة ولا يقولون قولين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه لكن تد اعنادوا ان يتأولوا ماخالفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية يجوز ان يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ ولم يستشعروا ان المتأول هو مبين اراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى اذا حملها على معنى وكذلك اذا قال يجوز ان يراد بهذا المعنى والامة قبله لم يقولوا أريد بها الا هذا أو هذا فقد جوزوا أن يكون ماأراده الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ماأراده لكن الذى قاله هؤلاء يمتشى اذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بانه مراد وتكون الامة قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله ضالة عن

معرفة وانقرض عمر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية واكن
طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا
المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال ههنا معني يجوز ان
يكون هو المراد فاذا كانت الامة من الجهل بمعاني القرآن والضلال
عن مراد الرب بهذه الحال توجه ماقلوه واسط هذا له موضع آخر
والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصبروا يعتمدون في دينهم
لاعلى القرآن ولا على الايمان الذي جاء به الرسول بخلاف السلف
فلهذا كان السلف أكمل علماً وايماناً وخطوهم أخف وصوابهم أكثر
كما قدمناه وكان الاصل الذي أسسوه هو ما أمرهم الله به في قوله
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله
سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالي
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وهم من خشية مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين فوصفهم سبحانه بانهم لا يسبقونه
بالقول وانهم بأمره يعملون فلا يخبرون عن شىء من صفاته ولا غير
صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً
لخبره وقوله كما قال لا يسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون
الا ما أمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد
وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنضكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شديد لا يعصون الله
 ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا تأكيد وقال
 بعضهم بل لا يعصونه في الماضي ويفعلون ما أمروا به في المستقبل وأحسن
 من هذا وهذا ان العاصي هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على
 الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به امجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون
 الله ما أمرهم لم يكن في هذا بيان انهم يفعلون ما يؤمرون فان العاجز
 ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون ما يؤمرون ليعين
 أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لا يتركونه لا عجزاً ولا معصية
 والمأمور انما يترك ما أمر به لأحد هذين اما أن لا يكون قادراً واما أن
 يكون عاصياً لا يريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الأمر وهو قادر
 وجب وجود فعل ما أمر به فكذلك الملائكة المذكورون لا يعصون
 الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد
 مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما
 خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن
 يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
 فالملائكة مصدقون بخبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى
 يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
 يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان
 البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعملهم
 أن لا يقولوا حتى يقول الرسول ما بلغهم عن الله ولا يعملون الا بما

أمرهم به كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم

قال مجاهد لا فتاتوا عليه بشيء حتى يقضه الله على لسانه تقدموا
معناه تتقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ بقدوموا يقال قدم وتقدم كما
يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم متعبداً أي قدم غيره لكن هنا هو
فعل لازم فلا تقدموا معناه لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين الا تبعاً لما جاء به
الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله
وعلمه تبعاً لامره فهذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين
لهم باحسان وأئمة المسلمين فلهم لم يكن أحد منهم يعارض النصوص
بمقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شيء
من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فنه يتعلم وبه يتكلم
وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع
لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الامر على ما تلقوه عن الرسول
بل على ما رووه أو ذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك
فاذا وحدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلاً

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة
وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن
فيهم من النفاق والبدعة بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله
وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لما قالوا لم يكونوا منافقين بل ناقصي الايمان مبتدعين وخطوهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وان نقصوا به

(فصل) وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده الا جهل وظلم وظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ما أخبر به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في تقيضه وحينئذ فمن اعتقد تقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لا يكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لانظلم فيه فمن نهي عنه فهو نهي عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون ما يخالفه الا جهلا وظلما ظنا وما تهوى الانفس وهو لا يخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناها أن يكون ما شرع قط بل يكون من المبدل فكل ما خالف حكم الله ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبدل ما شرعه الله بل شرعه شارع بغير اذن من الله كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله لكن هذا وهذا قديمان في خفي الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها استفرغوا فيه وسعهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع ما يغمر ذلك كما وقع مثل ذلك من بعض الصحابة في مسائل الطلاق والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلي الامور وجليها لان بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف الرسول وهم معتصمون بحبل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم لا يتقدمون

بين يدي الله ورسوله فضلا عن تعدد مخالفة الله ورسوله
 فلما طال الزمان خفي علي كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ودق
 على كثير من الناس ما كان جليا لهم فكثير من المتأخرين مخالفة الكتاب
 والسنة ما لم يكن مثل هذا في السلف
 وان كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم
 ويشدهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين
 رجلا بعمالها في ذلك الزمان لانهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك
 وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك لكن تضعيف الاجر
 لهم في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم ان يكونوا أفضل من الصحابة
 ولا يكون قاضلهم كفاضل الصحابة فان الذي سبق اليه انصباة من
 الايمان والجهاد ومعاداة أهل الارض في موالاته الرسول وتصديقه
 وطاعته فيما يخبر به ويوجهه قبل ان تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر
 أعوانه وأنصاره ومنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين
 والمنافقين وانفاق المؤمنين وأولهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك
 الحال أمر مابق يحصل مثله لاحد كما في الصحيحين عنه صلي الله عليه
 وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
 ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد اتفاضت النصوص الصحيحة عنه انه قال

خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

﴿ الفرقان اول ﴾

فجملة القرن الاول أفضل من القرن الثاني والثاني أفضل من الثالث
والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من
بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثاني وهل يكون فيمن بعد الصحابة
من هو أفضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين هذا فيه نزاع
وفيه قولان حكاهما القاضي عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في
مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له مزية الصحبة والجهاد
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له مزية فضيلته من العدل والزهد
والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا يعرف وان يتبع الظن وما تهوى
الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان
يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى
وقال في الذين يخبرون عن الملائكة انهم اناث ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة يسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني عن الحق شيئا فأعرض عن تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم انا كما قال وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن
انا انا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وهؤلاء قال عنهم
ان يتبعون الا الظن لانه خبر محض ليس فيه عمل وهناك وما تهوى
الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهناك عبادة وعمل بهوى انفسهم

فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس * والذي جاء به الرسول
كما قال والنجم اذا هوى ماض صاحبكم وما غوى وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي بوحي علمه شديد القوي وكل من خالف الرسول
لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه
حجة يستدل بها كان غاية الظن الذي لا يفتى من الحق شيئا كاحتجاجهم
بقياس فاسد أو نقل كاذب أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله وكان
من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا اما
أن يحتج بادلة عقلية و يظنها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة
مركبة من ألفاظ مجملة ومعاني متشابهة لم يميز بين حقا وباطلها كما يوجد
مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة اما يركب
حججه من ألفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق
من الباطل وهذه هي الحجج العقلية وان تمسك لمبطل يحتج سمعية
فاما أن تكون كذباً على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل
البطول فانه في الاسناد واما في المتن ودلالته على ذكر وهذه الحجة
السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر

وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل
الحق من هؤلاء لهم (له مات صحبة) معاينة كافي الصحبة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن
في أمتي أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا

منهم ما يقولون فانها تجلي لهم أمور صادقة * وفي الترمذي عن أبي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور
الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لايات للمتوسمين * وقال بعض الصحابة
أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم * وفي صحيح البخاري
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ولا يزال عبدي يتقرب
الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها * وفي رواية في
يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشى فقد أخبرانه يسمع بالحق ويبصره
وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه
* وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن
لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور
على نور الايمان مع نور القرآن * وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله
* وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الايمان
وهذا القدر مما أقر به حذاق النظر لما تكلموا في وجوب النظر
وتحصيله لا علم فقيل لهم أهل التصفية والرياضة والعبادة ولنا له يحصل
لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون نظر كما قال الشيخ الملقب بالكبير
(لارازى) ورفيقه وقد قال له ياشيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال
نعم فقالا كيف تعلم ونحن نتناظر في زمان طويل كما ذكر شيئا أفسدته
وكما ذكرت شيئا أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها نجم - لا يعجب ان من ذلك ويكرران الكلام وطلب
أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له
وكان من المعزلة النفاة

فبين له ان الحق مع أهل الانبيات وان الله سبحانه فوق سمواته
وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد
ابن محمد بن خاف المقدسي وذكر ان الشيخ الكبير حكاه له وكان
قد حدثني به عن غيره واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل
هذا كثير وهذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب
ما يعرفون فانهم قد قسموا العلم الى ضروري ونظري والنظري مستند
الى الضروري والضروري هو العلم الذي يلزم نفس الخلق لزوما
لا يمكنه معه الانفكاك عنه وهذا حد القاضي أبي بكر الطيب وغيره
تفصته انه يلزم النفس لزوما لا يمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين
عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لا يمكنه مع ذلك
الانفكاك عنه وقال واردات لانه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة
توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من
حذاق النظر متقدميهم كالصياغى والفرالى وغيرهما ومتأخريهم
كالرازي والآمدى وقالوا نحن لا نتذكر أن يحصل لناس علم ضروري
بما يحصل لنا بالنظر هذا لا يدفعه لكن ان لم يكن علما ضروريا
فلا بد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم
من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان لو دفع ذلك الاعتقاد

الذي حصل له لزم دفع شئ مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لا يلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر والمقصود ان هذا الجنس واقع لكن يقع أيضا ما يظن انه منه كبير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا أو يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان وهو بحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو بحسب انه انسي وقد يقول له أنا الخضر أو الياس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا البس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط في السمعيات والعقليات فهؤلاء يتبعون ظنا لا يفتي من الحق شياً ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجدته وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعاً لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما نهوى الأفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحبه من آبائه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا

على آثارهم مقتدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد
هذا وسلطنا عليه فهم يعملون بهوامهم وارادة نفوسهم بحسب قدرتهم
كالملوك الساطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بما أمر الله فيتبعون
أمر الله وما يحببه ويرضاه لا يتبعون ارادتهم وما يحبونه هم ويرضونه
وأن يستعينوا بالله فيقولون اياك نعبد واياك نستعين لا حول ولا قوة
الا بالله لا يعتمدون على ما أوتوه من القوة والتصرف والجمال فان هذا
من الجبد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عقب الصلاة وفي
الاعتدال بعد الركوع اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجبد منك الجبد

قالا.وق والوجد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بجلاوته
وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوه ذوق ووجد فان لم يكن
ذلك بساطان من الله وهو ما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان
صاحبه متبعاً لهواه بغير هدى وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله وقال تعالى وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر
اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان
كثير الضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين
وكذلك من اتبع ما يرد عليه من الخطاب أو ما يراه من الانوار
والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فانما يتبع ظنا لا يعني
من الحق شيئاً

فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صلى الله عليه

وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم أحد
 قعمر منهم وقد وافق عمر ربه في عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن
 يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل ما يرد عليه حتى يعرضه علي الرسول
 ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين
 له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر
 يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليجه
 كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره من مانع الزكاة
 وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه مايقوله وتذكر الحجة من القرآن
 فيرجع اليها كما جرى في مهور النساء ومثل هذا كثير

فكل من كان من أهل الاطام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل
 من عمر فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعاً لما
 جاء به الرسول لا يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لما ورد عليه وهؤلاء الذين
 أخطؤوا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا ان ذلك
 يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا
 عن الحي الذي لا يموت فيقال له أما ما نقله النقات عن المعصوم فهو
 حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما
 من اليهود والنصارى واما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله
 ومن أين لك انه ليس من وحي الشيطان

والوحي وحيان وحي من الرحمن ووحى من الشيطان قال تعالى

وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم وقال تعالي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي هل انبئكم على من تنزل الشياطين وتد كان المختار بن ابي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمرو وابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحى اليه فقال وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل انبئكم على من تنزل الشياطين فهو لاء يحتاجون الي الفرقان الايماني القرآني النبوي الشرعي اعظم من حاجة غيرهم وهو لاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان اشياء ويسمع اشياء بغير اختياره كما ان النظائر لهم قياس ومعقول واهل السمع لهم اخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هي طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع اغاب علي بعض الناس في الدين وغير الدين كالطب فانه تجربات وقياسات واهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس اصله التجربة والتجربة لا بد فيها من قياس لكن مثل قياس العاديات لا يعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فتمد يغلط

والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه
فان الحس يرى أمرا معيناً فيظن صاحبه فيه شيئاً آخر فيؤتي من ظنه
فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شيئاً وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هي
خيالات وأمثلة فلما عذب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذي يرى نفسه
في مكان آخر يكلم أمواتاً ويكلمونه ويفعل أموراً كثيرة وهو في النوم
يجزم بأنه نفسه الذي يقول ويفعل لان عقله عذب عنه وتلك الصورة
التي رآها مثال صورته وخيالها لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان
ذلك المثال هو نفسه فلما تب اليه عقله علم ان ذلك خيالات ومثالات
ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام ان ذلك في المنام وهذا
كالذي يرى صورته في المرآة أو صورة غيره فاذا كان ضعيف العقل
ظن ان تلك الصورة هي الشخص حتى انه يفعل به ما يفعله بالشخص
وهذا يقع للمسيبان والبله كما يخيل لاحدهم في الضوء شخص يتحرك
ويصعد وينزل فيظنونه شخصاً حقيقة ولا يعلمون انه خيال فالحس
أحسن صحيحاً لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان
العقل قد عقل قبل هذا ان مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم
الشخص بعينه وانه لا يكون في الهواء ولا في المرآة ولا يكون بدنه في غير
مكانه وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود
في الخارج ومالا يكون موجوداً الا في أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه

كل أحد واكن قد يرون في الخارج أشخاصاً براها عيانا وما في خيال
الانسان لا يراه غيره ويخطبهم أولئك الاشخاص ويحملونهم ويذهبون بهم
الى عرفات فيقفون بها واما الى غير عرفات ويأتونهم بذهب وفضة
وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون الي الناس ويأتونهم أيضاً
بمن يطلبونه مثل من يكون له ارادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك اما
محمولاً في الهواء واما بسبي شديد ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث
القوى ما لم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطاباً وقد يقتلون له من يريد
قتله من أعدائه أو يرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من
يعلم ان هذا من الشيطان وأنه من السحر وان ذلك حصل بما قاله ويعلمه
من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا
بتسخير الجن لنا ومنهم من لا يظن أولئك الاشخاص الا آدميين أو ملائكة
فان كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وان يسموا قالوا هذا هو
الخصر وهذا هو اليباس وهذا هو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبدالقادر
أو الشيخ عدي أو الشيخ أحمد الرقاعي أو غير ذلك ظن أن الامر كذلك
فهنأ لم يغلط لكن غلط عقله حيث لم يعرف ان هذه شياطين تمتد على
صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو
غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه اياه من قال انه النبي
أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذي
له عقل وعلم يعلم ان هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمره بما يخالف أمر الله ورسوله
 ونارة يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه
 بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي ونارة
 يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا نصير في الدنيا هكذا
 وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان
 وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحانيته ومن هؤلاء من
 يقول اذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل
 نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذلك جنياً قد
 قال لهذا الميت انك تحيي بعد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته
 يقول له أموراً ومرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين
 كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد
 ودائع وقضى ديونا ودخل الي منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص
 نفسه وانما هو شيطان تصور في صورته

(ومن هؤلاء) من يكون في جنازة أبيه أو غيره والميت على
 سريره وهو يراه آخذاً يمشي مع الناس بيد ابنه وأبيه قد جعل شيخاً
 مد أبيه فلا يشك ابنه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذي رآه هو
 دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمي نفسه
 خالداً وغير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من
 الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه فيقولون
 محمداً الخالدي ونحو ذلك

(فان الجن مأمورون ومنهيون) كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالي يامعشر الجن والانس ألباتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء بومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وضررتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكفرت من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله * قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتم من الانس وأضلناهم قال البغوي قال بعضهم استمتع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الاراحيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأُمور التي يريونها ويسهل سبيلها عليهم واستمتع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزبنون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس * وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة في الدنيا وقال ابن السائب استمتع الانس بالجن استعاذتهم بهم واستمتع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في أنفسهم وعظماً في نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً * قلت الاستمتاع بالشيء هو أن يتمتع به يقال به ما يطلبه ويريده ويهواه ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم لبعض كما قال فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة
ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث
ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك
والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس
ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من
السلف من يتمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمة ومنهم من يتمتع بكسوة
أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى التمتع خادم وأدناها كسوة يجزى
فيها الصلاة

وفي الجملة استمتاع الانس بالجن والجن بالانس يشبه استمتاع
الانس بالانس قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وقال تعالى وتقطعتم بهم الأسباب قال مجاهد هي المودات التي كانت لغير
الله وقال الخليل انما اتخذتم من دون الله آوتانا مودة بينكم في الحياة
الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال
تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالشرك يعبد ما يهواه واتباع الهوي
هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والجن هذا كله
وتارة يخدم هؤلاء هؤلاء في أغراضهم وهؤلاء هؤلاء في أغراضهم
فالجن تأتيه بما يريد من صورة أو مال أو قتل عدوه والانس تطيع
الجن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه
من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس
الذي يخدمه ما يريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن

ونسأئهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسى وقد
يفعل ذلك بالذكران

(وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة) نارة يكون الجنى يحب
المصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل
ونارة يكون الانسى آذاهم اذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون
قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى هذا أشد الصرع وكثيراً
ما يقتلون المصروع ونارة يكون بطريق العيث به كما يعيث سفهاء الانس
ببناء السبيل

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم في الاخبار بالامور الغائبة
كما يخبر الكهان فان في الانس من له غرض في هذا لما يحصل به من
الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تنال
بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهاناً و قدّم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو
أبرق الاسلمى أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر
انه كاهن بل يجع ل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان
فانه لا يخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطبعه
الانسى في بعض ما يريد اما في شرك واما في فاحشة واما في أكل حرام
واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من
الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وان
لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة

والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشايطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذي لا ينفعه فيه ويجب ذلك كما فعل ابليس بأدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتع الانس بالجن استخداهم في احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتع الجن بالانس استعملهم فيما يريد الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتع الانس بالجن استخداهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى في صورة الانسى فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به ياسيدي فلان فينقل الجنى ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسى حتى يظن الشيخ انه صوت الانسى بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المذكور فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه وهو الذي فعل ذلك حتى ان تابع الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجني يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظن ذلك التابع انه شيخه حاضر معه والحق يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ ان يده في ذلك الاناء فاذا حضر المريد ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تعلق ولكن الجني مثل للشيخ ومثل للمريد حتى ظن كل منهما ان أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجني وخيله واذا سئل الشيخ المخدم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطاب منه أن يخبر بحاله أو علة في النساء أو غير ذلك فان الجني قد يمثل ذلك فير به صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدل عليه سرقة من له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذي فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم بظهور صورة المال ولا يكون عليه لان الذي سرق المال معه أيضا حتى يخدمه والجني يخاف بعضهم من بعض كما ان الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجني عليه جاء اليه ارباب السارق فاذوه وأحيانا لا يدل لتكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب مرف الصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما الرغبة يناها منه واما الرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق لكبير بخافه ويرجوه صرف سارقه فهذا وأمثاله من استمتاع بعضهم ببعض

(والجن مكلفون كتكليف الانس) ومحمد صلى الله عليه وسلم
مرسل الى الثقيلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص
واجماع المسلمين (وأما مؤمنهم) ففيهم قولان وأكثر العلماء على
أنهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون في ربضها
يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو
حديث رواه الطبراني في معجمه الصغير يحتاج النظر في استناده
* وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات
مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والنجار في الاحقاف
والانعام * واحتج الاوزاعي وغيره بقوله تعالى لم يطعمهن انس قبلهم
ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في
أمر قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خسرين ولكل
درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك
الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة
ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال
عبد الرحمن بن زبد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات
أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبيا ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من أقيت عبادة ودين بنوع
من قلة العلم كما في الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين
والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع
واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس بشئ * منهم من
يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله
بلاء - لم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من أفعال
الشياطين * ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة اما احضار ماله أو
دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أو دفع من يؤذيه ونحو
ذلك فهذا كاستئمانه الانس بعضهم ببعض في ذلك * والنوع الثالث أن
يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم
بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس
وينهاهم وهذه حال نبينا صلي الله عليه وسلم وحال من أتبعه واقتدي به
من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به
ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا
محمد صلي الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقلين الانس والجن وقد
قال الله له قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني
وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (وعمر رضى الله عنه
لما نادى ياسارية الجبل قال ان الله جنودا يبلغون صوتي) وجنود الله هم
من الملائكة ومن صالحى الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية
وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والانفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول
يا فلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يا فلان وقد يقول لمن هو
بعيد عنه يا فلان احبس الماء تماك البنا وهو لا يسمع صوته فيناديه
الواسطة بمنزل ذلك يا فلان احبس الماء ارسل الماء اما بمنزل صوت الاول
ان كان لا يقبل الاصوته والا فلا يضر بأي صوت كان اذا صرف ان
صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد ارسل جيشا نجاه شخص
وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم
هذا قالوا شخص صفة كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذلك أبو الهيثم
يريد الجن وسيجيء. يريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه اياه فيخرج فيرى
الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون
الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا يذنب لاحد
بمسه وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي صلى
الله عليه وسلم لما نزلت عليه المفرات ايقطع عليه صلته قال فأخذته
فدعته حتى سال لعابه عنى يدي وأردت أن أربطه الى سارية من
سوارى المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فأرسلته (فلم
يستخدم) الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم
القرآن وبلغهم الرسالة وباركهم كما فعل بالانس * والذي أوتيه
صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيه سليمان فانه استعمل الجن
والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض

يرجع اليه الا ابتغى وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً داود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الابرار أصحاب اليمين وكثير من يرى هذه العجائب الخارقة يعتقد أنها من كرامات الاولياء وكثير من أهل الكلام واللم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الخارقة وما لاولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الاسلام جعلوا الخوارق جنساً واحداً وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة اذا اقترنت بدعوى النبوة والاستدلال بها والتجدي بمنزلها

وإذا ادعى النبوة من ليس بنبي من الكفار والسحرة فلا بد أن يسلبه الله ما كان معه من ذلك وأن يقبض له من يعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله بخفاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل اليهم لا يأتون بمثل ما أتى به النبي كان معتاداً للناس قالوا ان عجيز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هي خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأوائك أنبئوا الكرامات ثم زعموا أن المساميين أجمعوا على أن هذه لا تكون الا لرجل صالح أو نبي قالوا فاذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الاجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون لاسحرة ما هو مثلها ويناقضون
في ذلك كما قد بسط في غير هذا الموضوع

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما لاسحرة والكهان وما يفعله
الشياطين من العجائب وظنوا أنها لا تكون الا لرجل صالح فصار من
ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة
الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولي اذا تولى لا يعترض
عليه ففهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك
الصلاة المفروضة وأكل الحبائث كالخمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل
الفواحش والفحش والتفحش في المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير
حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولي من اولياء الله قد
وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلاً من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه
من أعمال الشياطين وان هذه من اولياء الشياطين يضل به الناس
ويغويهم

(ودخلت) الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص
في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لي وأصير شيخك
وأنت تتوب الناس لي ويلبسه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه فلا يشك ان الصديق
هو الذي جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من
الشايع بالعراق والجزيرة والشام وتارة يقص شعره في النوم فيصبح
فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ
نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً ما يستغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت فيأتونه في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكاً تصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضلته الشياطين والملائكة لا تحيب مشركاً وتارة يأتون الى من هو خال في البرية وقد يكون ملكاً أو أميراً كبيراً ويكون كافراً وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة انسي ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون في موضع (كما جرى مثل هذا لي) كنت في مصر في قلعتها وجري مثل هذا لي كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير اني أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هذا جنياً يجننا فيصنع بالترك التستر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما يسر فعلهم معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامى ليظن ذلك اني أنا الذي فعلت ذلك

(قال لي طائفة من الناس فلم لا يجوز أن يكون ملكاً قات لا)
ان الملك لا يكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك (وكثير من الناس) رأى من قال اني أنا الحضرو انما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الحاضر والذين قد صرفوا صدقها يقطعون بحياة الحاضر وكلا الطائفتين مخطيء فان الذين رأوا من قال انى أنا الحاضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطؤا في ظنهم انه الحاضر وانما كان جنياً ولهذا يجرى مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا ما يأتهم في كنائسهم من يقول انه الحاضر وكذلك اليهود يأتهم في كنائسهم من يقول انه الحاضر وفي ذلك من الحكايات الصادقة ما يضييق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأى شخصاً وظن انه الحاضر وانه غلط في ظنه انه الحاضر وانما كان جنياً وقد يقول أنا المسيح أو موسى أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبي صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فان الشيطان لا يتمثل فى صورتي قال ابن عباس فى صورته التى كان عليها فى حياته وهذه رؤية فى المنام وأما فى اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيئ بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة فمن جهله أنى

(ومن هنا) ضلت النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتى الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور فى أناجيلهم وكلاهما تشهد بذلك وذلك الذى جاء كان شيطانا قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشبهه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذى يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ

رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الى السماء
 (واصحاب الحلاج) لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرويه
 في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد ان مات كان
 يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه
 الكتاب الذي أرسله فرأيت بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة
 وفيه كلام من كلام الجن وذلك المعتقد يعتقد ان الشيخ حيّ وكان يقول
 انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بلشرق وكان له خوارق من
 الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه
 هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء عليّ أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان
 يأتي الى بعض أصحابهم حتى في صورته وكذا منتظر الراضة قد يراه
 أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنباً فهذا باب واسع واقع كثيراً وكما كان
 القوم أجهل كان عندهم أكثر في المشركين أكثر مما في النصارى وهو
 في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها
 ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها الى
 ما هو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس
 قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما
 كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فإدماً وقد قال النبي صلى الله عليه
 وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم
 وهذا كان كالحجيج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأى
 فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطن ويقوى بها قلوب كثير من أهل

الحق وان كانت في نفسها باطلة فغيرها أبطل منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه الى ما هو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد يفز وغزوا يظلم فيه المسلمون والكفار ويكون آتياً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذلك كان شراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان في قلبه فنفس ذل الكفر الذي كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانقل الى خير مما كان عليه وخف الشر الذي كان فيه ثم اذا أراد الله هدايته أدخل الايمان في قلبه والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتعليها والنبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون وأكثر المنكلمين يردون باطلاً بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلماً مبتدعاً وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع

ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون علياً ومنهم من يفضل علياً أبي بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ولا أعلم غيرها وقالوا أنه قال لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما فسق أحدهما لا بعينه ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم أعظم علي

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لأجل علي ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة فانهم يقولون إن هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولي عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر ويعظمون الذنوب فهم يحرون الصدق كالخوارج لا يختلفون الكذب كالرافضة ولا يرون أيضاً اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون علي الخوارج والروافض وهم تصدقهم أنبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفي الصفات وإنكار الرؤية والقول بأن القرآن

مخلوق فوانفقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لا يشاء ما يكون
 ويكون ما لا يشاء وانه لم يخلق افعال العباد فنفقوا قدرته ومشيتته وخلقه
 لاثبات العدل وجعلوا من الرحمة نفي امور خالقها لم يعرفوا ما فيها من
 الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق
 لا يكذب اذ كان عندهم قد اخبر بلو وعيد العام فتي لم يقل بذلك لزم
 كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن
 المنكر بالسبف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما قصدوا الخوارج والزبيدي
 فغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارج غير المعجزات قصدوا به
 اثبات النبوة ونصرها وغلطوا فيما سلكوه فان النصر لا يكون بتكذيب
 الحق وذلك لكونهم لم يحققوا خاصة آيات الانبياء والاشعرية مارذوه
 من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وبينوا ما بينوه من تناقضهم
 وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجامة فحصل بما قالوه من بيان
 تناقض اصحاب البدع الكبار ورددهم ما انتفع به خلق كثير

فان الاشعري كان من المعتزلة وبقي على مذهبهم اربعين سنة يقرأ
 على ابي علي الجبائي فلما انتقل عن مذهبهم كان خيرا باصولهم وبالرد
 عليهم وبيان تناقضهم واما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص
 المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية واما خصائص
 المعتزلة فلم يوالهم الاشعري في شيء منها بل ناقضهم في جميع اصولهم
 ومال في مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه
 وكثير من الطوائف كالتجارية اتباع حسين النجار والضرارية اتباع

ضرار بن عمر ويخالفون الممتزلة في القدر والاسماء والاحكام وانفاذ
 الوعيد والممتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والحواريق
 والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر
 مما يبالغون في ذم اليهود وهم إلى اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم
 إلى النصارى أقرب فان النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا
 معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد
 صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مفضوب عليهم والنصارى
 ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف
 اختلافا بين المفسرين وروى بإسناد عن أبي روق عن ابن عباس وغير
 طريق الضالين وهم النصارى الذين أضرهم الله بنبيهم عليه يقول فاهمنا
 دينك الحق وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له حتى لا نفضب علينا كما
 غضبت على اليهود ولا أضلنا كما أضلت انصارى قديسنا كما تمذهبهم
 يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وراقتك وتدرتك ل ابن أبي
 حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وقد قال سفيان
 ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن
 فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

قاهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله فيعظمون
 العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر
 وأهل الزهد يعظمون الإرادة والمريد وطريق أهل الإرادة

فهؤلاء يبنون أمرهم على الارادة وأولئك يبنون أمرهم على النظر
وهذه هي القوة الملمية ولا بد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا
ولا بد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول

فالايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا
عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فغاطوا
من جهة كون جانب الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال
الظاهرة فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر
لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به
وبين النظر البدعي الباطل المنهى عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى
وبالنوافي الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقة لامر الله
ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة النظر
وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين
ولهذا سار هؤلاء يميل اليهم النصاري ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم
اليهود ويميلون اليهم وبين اليهود والنصاري غاية التنافر والتباغض
وكذلك بين أهل الكلام والرأي وبين أهل التصوف والزهد تنافر
وتباغض. هذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين
أنهم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين آمنوا بالله غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين
 (فصل) فان قيل فاذا كان في كتب الانجيل التي عندهم ان المسيح
 صلب وانه بعد الصلب بياض اثنى اليهم وقال لهم انا المسيح ولا يقولون ان
 الشيطان تمثل على صورته فالشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه اثر
 المسامير او نحو هذا الكلام فابن الانجيل الذي قال الله عز وجل فيه
 وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وقال قبل هذا وقفنا على
 آناهم بيسي ابن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة وآتينا
 الانجيل فيه هدى ونور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى
 وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما
 انزل الله فاولئك هم الفاسقون وقد قال قبل هذا وكيف يحكمونك
 وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك
 بالؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
 اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما اسـتـحفظوا من
 كتاب الله وكانوا عليه شـهـداء وقال ايضاً ولو انهم اقاموا التوراة
 والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم
 وقال ايضاً قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة
 والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من
 ربك طغيانا وكفرا فلاتأس على القوم الكافرين وهذا امر للنبي صلى
 الله عليه وسلم بان يقول لاهل الكتاب الذين بعث اليهم وهو من كان
 نبي وقتهم ومن يأتي من بعدهم الي يوم القيامة لم يؤمر ان يقول ذلك

لمن قد تاب منهم وكذات قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها
حكم الله اخبار عن اليهود الوجودين وان عندهم التوراة فيها حكم
الله وكذلك قوله

وايحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان
محمد لاهل الانجيل ومن لا يؤمر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
قيل قبل هذا انه قد قيل ليس في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في
لتوراة والانجيل بل ذلك مبدل فان التوراة انقطع تواتره والانجيل
نما أخذت من أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما في التوراه
او الانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل
لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل
وهذان القولان قال كلا منهما ما كثير من المسلمين والصحيح القول
الثالث وهو ان في الارض نسخة صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلى الله
عليه وسلم ونسخا كثيرة محرفة ومن قال انه لا يحرف شيء من النسخ
فقد قال مالا يمكنه نفيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلى الله عليه وسلم
حرفت فقد قال ما يعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل
الله في التوراة والانجيل ويخبران فيهما حكمه وليس في القرآن خبر
أنهم غيروا جميع النسخ واذا كان كذلك فنقول هو سبحانه قال وليحكم
أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح فاما
حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها في التوراة ذكر وفاة موسى عليه
السلام ومعلوم ان هذا الذي في التوراة والانجيل من الخبر عن موسى

وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك لتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدها عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس

وكذلك لستم على نبي حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كانوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر تاريخه في آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

(ولهذا) أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن وان لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتي كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا ما في الانجيل من الخبر عن صاب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الى الحواريين ليس

هو ما قاله المسيح وانما هو مما رآه من بعده والذي أنزله الله هو ما سمع
من المسيح المبلغ عن الله

فان قيل فاذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب
وانه أنامهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الانجيل والدين فقد
دخلت الشبهة

قيل الحواريون وكل من نقل عن الانبياء انما يجب أن يقبل منهم
ما نقلوه عن الانبياء فان الحججة في كلام الانبياء وما سوى ذلك فموقوف
على الحججة ان كان حقاً قبل والا رد ولهذا كان ما نقله الصحابة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لاسيما المتواتر
كالقرآن وكثير من السنن وأما ما قالوه فما أجموا عليه فاجماعهم معصوم
وما تنازعوا فيه رد الى الله والرسول وعمر قد كان أولاً أنكر موت
النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في
دفنه حتى فضل أبو بكر بالحديث الذي رواه وتنازعوا في تجهيز جيش
اسامة وتنازعوا في قتال مانعي الزكاة فلم يكن هذا قادحاً فيما نقلوه عن
النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا منفقين على صلب المسيح ولم
يشهد أحد منهم صلبه فان الذي صلب انما صلبه اليهود ولم يكن أحد من
اصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم
المصلوب بالمسيح وقد قبل انهم صرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم
كذبوا وشبهوا على الناس والاول هو المشهور وعليه جمهور الناس
وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عمدتهم

على ذلك الشخص الذي جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذلك شيطان وهم يعترفون بأن الشياطين كثيراً ما نجبي ويدعي أنه نبي أو صالح ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطاناً وفي ذلك حكايات متعددة مثل حكاية الراهب الذي جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت لاهدبك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل بها فإن جئت اليوم بشيء يخالف ذلك لم تقبل منك

فامس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وأضاف الخبر عن قتله الي اليهود بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فانهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة اذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم في هذا القول كاذبون وهم آثمون واذا قالوه نخراً لم يحصل لهم الفخر لانهم لم يقتلوه وحصل الوزر لاسئحلالهم ذلك وسعيهم فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالفاتل والمقتول في النار قتلوا يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وقوله وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى والآية تعم الطائفتين وقوله لفي شك منه قيل من قتله وقيل منه أي في شك منه هل صلب أم لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر وقالت النصارى انه اله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب أم لا وهم في شك من ذلك ما لهم به من علم فاذا كان هذا في الصلب فكيف في

الذي جاء بعد لرفع وقال انه هو المسيح
فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا في ايمانهم
فأين المؤمنون به الذين قال فيهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا
على عدوهم فأصبحوا ظاهرين
قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لايقدر في ايمانه اذا كان لم يحرف
ما جاء به المسيح بل هو مقرر بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مریم
وروح منه فاعتقاده بما هذا أنه صلب لايقدر في ايمانه فان هذا
اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبي
لايقدر في نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثيراً من الانبياء وقال تعالى
وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيه وقال تعالى وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد
كثير من مشايخ المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في البقعة
فأنهم لا يكفرون بذلك بل هذا كان يعتقد من هو من أكثر الناس
اتباعاً لسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان
يأتيه من يظن أنه رسول الله فهذا غلط منه لا يوجب كفره فكذلك
ظن من ظن الحواريين ان ذلك هو المسيح لا يوجب خروجهم عن
الايمان بالمسيح ولا يقدر فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسى وأنه لا يموت

حتى يوت أصحابه لم يكن هذا قادحا في إيمانه وإنما كان غاطاً ورجع عنه
 (نصل وقوله تعالى في هذه ما لهم به من علم الا اتباع الظن)
 هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هي الا أسماء سميتوها
 أتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى
 الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وكذلك قوله وما لهم به من علم
 ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وقوله تعالى وما
 يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم
 الا يخرسون وقوله أفمن يهدى الي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى
 الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن
 لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن وكذلك
 قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان يتبعون الا الظن وان أتم
 الا تخرسون قل لله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما
 عنده علم وكذلك قوله نبؤني بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيراً
 ليضلون باهوائهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن
 وقد ثبت في السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين
 وان لم يكن شهود حلف الخصم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن
 بحجته من بعض وإنما أقضى بنحو مما أسمع فمن تضيت له من حق أخيه
 فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد في تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولا بد منه
 حكم ذوى عدل بالمثل في جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند
 الاشتباه ونحو ذلك فلا يقطع به الانسان بل يجوز أن تكون القبلة في
 غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشئ
 من حق الآخر وأدلة الاحكام لا بد فيها من هذا فان دلالة العموم في
 الظواهر قد تكون محتملة للنقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان
 كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا في خبر الواحد
 كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع في العموم كالمعتزلة
 البغداديين وان نازع في العموم والقياس منازع كبعض ارافضة مثل
 الموسوى ونحوه لم ينازع في الاخبار فان الامامية عمدتهم على ما نقل
 عن الاتي عشر فلا بد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغني عن
 الظواهر والاخبار والاقيسة بل لا بد أن يعمل ببعض ذلك مع تجوز
 نقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت
 طرق الناس في جواز هذا فطائفة قالت لا يتبع قط الا العلم ولا يعمل
 بالظن أصلاً وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في
 الظواهر بل يقولون نقطع بخطأ من خالفنا وناقض حكمه كما
 يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما
 الاستصحاب والاستصحاب في كثير من المواضع من أضعف الأدلة وهم
 في كثير مما يحتجون به قد لا يكون ما احتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر
 خلافه فطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح

كنا متبينين للعلم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لا نعمل بالظن وهذه
طريقة القاضي أبي بكر وأتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه أنه العلم بالأحكام الشرعية العملية
وقال الرازي العلم بالأحكام الشرعية العمالية المستدل على أعيانها بحيث
لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

(فان قلت) الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

(قلت) المجتهد اذا غلب على ظنه، شاركة صورة لصورة في مناط الحكم
قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالعلم حاصل قطعا والظن واقع في
طريقه وحقيقة هذا الجواب ان هناك مقدمتين احدهما انه قد حصل
عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن
فالقدمة الاولى وجدانية والثانية عملية استدلالية فليس الظن هناك مقدمة
في الدليل كما توهمه بعضهم لكن يقال العمل بهذا الظن هو حكم اصول
الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذلك الظن الحاصل بالظاهر وخبر
الواحد والقياس والاصول يفيدان العمل بهذا الظن واجب والا
فالفقهاء لا يترضون لهذا فهذا الحكم العملي الاصولي ليس هو الفقه
وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناء على أصله فانه عنده
كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل
يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالي وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس
الى أحد القولين دون الآخر كمثل ذي الشدة الى قون وذو اللين الى

قول وحيث قد فعندهم متى وجد المجتهد ظنا في نفسه محكم الله في حقه
اتباع هذا الظن وقد أنكر أبو المعالي وغيره عليه هذا القول إنكارا
بليغا وهم معذورون في إنكاره فان هذا أولا مكابرة فان الظنون عليها
أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهذا أمر
معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شيئا على شيء والكلام
في شيئين في اتباع الظن وفي الفقه هل هو من الظنون

أما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ما أمر
الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الحفية عليه أن ينظر
في الأدلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عند أمر
مقطوع به وان قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل
به واذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على ان هذا راجح
وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان
فقد يكون عاما وقد لا يعمل حتى يعلم الرجحان واذا ظن الرجحان
أيضا فلا بد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر
ورجحان هذا غير معلوم فلأن ينهى الأمر الى رجحان معلوم عنده
فيكون متبعا لما علم انه أرجح وهذا اتباع لعلم بالظن وهو اتباع
الاحسن كما قال نفعها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها وقال الذين
يسمعون اقول فیتبعون أحسنه وقال واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم
من ربكم فاذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الاحسن
وهذا معلوم

قالوا يجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره وهو
 العمل بأرجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الأبا العلم وهذا جواب
 الحسن البصري وأبي وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع إلا الظن فلم يستند
 ظنه إلى علم فإن هذا أرجح من غيره كما قال ما لهم به من علم إن يتبعون
 إلا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن
 وهكذا في سائر المواضع يذم الذين إن يتبعون إلا الظن فعندهم ظن
 مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعاليه عقلاء
 الناس أنهم لا يعلمون إلا بعلم بان هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان
 اعتقادا عمليا لكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو
 الثابت في نفس الأمر وهذا كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث
 قال وامل بمضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وإنما أقضي بنو بما
 أسمع فإذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر
 بشاهد معها كان الحاكم عالما بان حجة هذا أرجح فما حكم إلا بعلم
 لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أولا يحسن أن بينها مثل أن
 يكون قد رضاء أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أولا
 يذكرها أولا يجسران يتكلم بذلك فيكون هو المضيع بحقه حيث لم يبين
 حجته والحاكم لم يحكم إلا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه
 وتفریطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الأحكام فإذا تعارض خبران أحدهما
 مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا
 معلوم لأن المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا

ضبطه كشاهدين زكى أحدهما ولم يزك الآخر فهذا المزكى أرجح
وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد
انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا على هذا ليس ممن لم يتبع الا
الظن ولم يكن تين له الا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك الحديث
وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد
يكون هذا الشاهد عدلا ونحن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوى لكن
معنا عدم العلم بمدالتهما وقد لا به لم عدالتهما مع تقويتها ورجحانها في
نفس الامر فمن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد لكن هذا لا سبيل الي أن
يكافه العالم أن يدع ما يعلمه الي أمر لا يعلمه لا مكانه ثبوت في نفس الامر
فاذا كان لا بد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هذا الذي علم
ثبوتة على ما لا يعلم ثبوتة وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما اذا تعارضا
وكانا متناقضين فانبات أحدهما هو نقي الآخر فهذا الدليل المعلوم قد
علم أنه ثبت هذا وبنفي ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لا بد من
الترجيح وجب قطعاً ترجيح المعلوم ثبوتة على ما لم يعلم ثبوتة ولكن
قد يقال انه لا يقطع بثبوتة وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان
الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل الا بذلك العلم
وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هذا الاعتقاد على
هذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن من قال الله فيه ان يتبعون الا
الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذلك وهذا الظن هو
الراجح ورجحانه معلوم بحكم بما علمه من الظن الراجح ودليله الراجح

وهذا معلوم له لا يظنون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب لظنون فقد أجاب طائفة منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه التي يحتاج اليها الناس ويفتقون بها هي ثابتة بالنس أو الاجماع وانما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود في -أثر العلوم وكثير مسائل الخلاف هي في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما ما لا بد للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه واخرجه من الفقه قول لم يعلم أحد من المتقدمين قاله ولا احترز بهذا الفيد أحد الا الرازي ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأياها فكون الشيء معلوما من الدين ضرورة أمراضا في حديث المهدي بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلا عن كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد لله وهو وقضى بالدية علي العاقلة وقضى أن الولد للفراس وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

التي هي الجواب الثاني أن يقال الفقه لا يكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو علمه برجحان هذا الدليل وهذا الظن ليس الفقه قطعه بوجوب العمل أى بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولي يتكلم في جنس الأدلة ويتكلم كلاما كليلا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بأرجحهما ويقول أيضا اذا تعارض المسام والخاص فالخاص أرجح واذا تعارض المسند والمزول فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شؤله الافراد أرجح من عدم شؤله ويجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيشكلم في دليل معين في حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم خاص في أهل الكتاب وتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لا تناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصا فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذى يختص به الفقيه وهو علم قطعي لا ظني ومن لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتقاد المقلد ليس بفقه ولهذا قال المسند على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والمسؤل عنه وحيث لا يعلم الرجحان فهو متوقف لا يقول له واذا قبل له فقد قال ولا تمسكوا

بعصم الكوافر قال هذا نزل تام الحديدية والمراد به المشركات فان
سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعاً و-ورة المائدة به ذلك فهي
خاص متأخر وذلك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المتقدم
ولهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فارق عمر امرأة منسركة
وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول
هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل
على أن آية البقرة بعد آية المتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة فهذا
النظر وأمثاله هو نظر الغيبة العالم برجحان دليل وظن على دليل
وهذا علم لا ظن

فقد تبين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم
بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذي لا يعلم
رجحانه فلا يجوز تباعه وذلك هو الذي ذم الله به من قال فيه ان
يتبعون الا الاظن فهم لا يتبعون الا الاظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين
بأنه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الاظن
والله أعلم

﴿فصل﴾ فهنا ثلاثة أشياء، أحدها الظن الراجح في نفس

المستدل المجتهد

والثاني الأدلة التي يسميها بعض المتكلمين أمارات التي تعارضت

وعلم المستدل بأن التي أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها

الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر على القول الآخر

لم يعلم به المسلم - تبدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل
 قديس مع نصابا كما سمع ابن عمر وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
 نهى عن قطع الخفين وانه امر ان لا يخرج احد حتى يودع البيت او ان
 النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا
 راجع على الاستصحاب النسائي لتحريمه فعملوا به - هذا راجح وهم
 يعلمون قطعا ان النهي اولي من الاستصحاب لكن يجوز ان يكون مع
 الاستصحاب دليل خاص ولكن ما لم يعلموه لم يجز لهم ان يعدلوا عما
 علموه الى ما لم يعلموه فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع وعليها
 قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وابن الزبير كان يحرمه
 على الرجال والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في
 الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه
 وسلم رخص للحائض أن تنفر بلا ووداع وانها تلبس الخفين وغيرهما
 نهى عنه المحرم ولكن تجذب النقاب والتفازين وانه رخص في موضع
 أصبعين أو ثلاث أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح في رواية
 عمر ولم يعرف به ابنه عبد الله وكان له حية مكفوفة بالحرير فلما سمع
 ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجحوا وعلموا حينئذ انه كان في
 نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذي يستصحبوه ولم يعلموا به وهم
 في الحالين انما حكموا به لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا
 رجحوا العموم على استصحاب البراءة الاصلية وهذا ترجيح يعلم فان
 هذا راجح بلا ريب والشرع طافح بهذا

فما أوجبته الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي
 نصوص عامة وما حرمه كالبينة والدم ولحم الخنزير حرمه بنصوص عامة
 وهي راجحة ومقدمة على البراءة الأصلية النافية للوجوب والتحريم فمن
 رجع ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدلائل المعلوم الرجحان ولم
 يكن ممن لم يتبع الا الظن لكن لتجويزه أن يكون النص مخصوصا صار
 عنده ظن راجح ولو علم انه لا تخصيص هناك قطع بالعموم وكذلك لو
 علم ارادة نوع قطع بانتفاء النصوص وهذا القول في سائر الأدلة مثل
 أن يتمك بنصوص وتكون منسوخة ولم يبلغه الناسخ كالذين نهوا عن
 الانتباذ في الاوعية وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص الناسخ
 وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم النسخ مثل من
 كان من المسلمين بالبوادي وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير
 الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاة الى القبلتين بعضها الى هذه
 القبلة وبعضها الى هذه القبلة لم يبلغهم النسخ وهم في أثناء الصلاة
 فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة من جهة
 الشام الى جهة اليمن

فالقاضي أبو بكر ونحوه من الذين ينفون أن يكون في الباطن حكم
 مطلوب بالاجتهاد أو دليل عاينه يقولون ما ثم الا الظن الذي في نفس
 المجتهد والامارات لا ضابط لها وليست أمانة أقوى من امانة فانهم اذا
 قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذي عمل بالمرجوح دون الراجح مخطئا
 وعندهم ليس في نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعه والجمهور فيقولون بل الامارات
بعضها اقوى من بعض في نفس الامر (وعلى الانسان أن يجتهد)
ويصلب الاقوى فاذا رأى دليلاً اقوى من غيره ولم ير ما يمارضه عمل
به ولا يكاف الله تعالى الا وسمعها واذا كان في الباطن ما هو أرجح منه
كان مخطئاً معذوراً وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه
وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على
معرفة فمن عجز عن معرفته لم يؤخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الأثم فليس المجتهد بمخطئ بل كل مجتهد مصيب
مطيع لله فاعمل ما أمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس
الامر فالصيب واحد وله أجران كافي المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا
الى أربع جهات فالذي أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله
كان أكمل من غيره واؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف
ومن زاده الله علماً وعملاً زاده أجراً بما زاده من العلم والعمل قال
تعالى وتلك - حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ
أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي
علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم وانبعوا العلم وان الفقه
من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لا يتيمون الا الظن لكن بعضهم
قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع ما لم يسمع الا آخر

وأما بان فهم ما لم يفهم الآخر كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكما في
الحرث اذ نقتت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع
ولم يفرق أحد من السلف والائمة بين أصول وفروع
بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا في الصحابة
والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذي
استفرغ وسعه في طلب الحق ياتم لافي الاصول ولا في الفروع ولكن
هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل
ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن العنبري انه قال كل مجتهد
مصيب ومراده انه لا ياتم

وهذا قول عامة الائمة كابي حنيفة والشافعي وغيرها
ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء ويصلون خلفهم ومن ردها
كالك وأحمد فليس ذلك مسئلما لانهما لكن المقصود انكار المنكر
وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان
ذلك مناله من اظهار البدعة ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية
لابدعة المظهر لها وغيره وكذلك قال الحرقي ومن صلى خاف من يجهر
ببدعة أو منكر اعاد وبسط هذا له موضع آخر
والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكروا ضابطا يميز بين
النوعين بل تارة يقولون هذا قطعي وهذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قطعي وكثير من مسائل الاصول ظني عند بعض الناس فان
كون الشيء قطعيا وظيفيا امراضا في وتارة يقولون الاصول هي العمليات
الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من ججدها كفر
كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات
وهذه سميات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخيط فان الكفر
حكم شرعي يتعلق بالشرع وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم
ما ليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك ما تقدم في الاصول
الحسنة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام
وانفاذ الوعيد وهي التي توالي المنزلة من وافقهم عليها ويبرؤن ممن
خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب وثبات عدله وحكمته
ورحمته وصدقه وطاعة امره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه
الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك
مسلكهم كابن الحسن الاشعري واصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول
الحسنة وكان عندهم علم ليس عند اولئك وكان عند اولئك علم ليس
عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما في الكتاب والسنة من
بيان هذه الامور بل علموا بعضها وجهلوا بعضها فان هؤلاء المجبرة
هم في الحقيقة لا يثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا فاولئك
قصدوا اثبات هذه الامور اما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم
عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شيء وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهى
 عنه وهو لانهاى له ويجوزون الامر بكل شيء وان كان منكرا وشركا
 والنهى عن كل شيء وان كان توحيدا ومعروفا فلا ضابط عندهم للتعامل
 فلهذا ألزموهم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن
 ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقا بين المعجزات وغيرها ولا ما به
 يعلم صدق انبي صلى الله عليه وسلم الا اذا نفضوا أصلهم وقد قال الله
 تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وعندهم
 هذا لافائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائما بهذا دون
 هذا وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع

وكذلك الحكمة عندهم لاتعمل لحكمة وقد فسروا الحكمة اما
 بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيما ويكون
 غير حكيم كذلك المريد قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم
 يطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان
 الله حكيم وكذلك الرحمة ما عندهم في نفس الامر الا ارادة ترجيح
 احد المتلين بلا مرجح نسبتها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس
 عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أيضا وقد بسط هذا في غير هذا
 الموضوع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع
 نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وناقض كل من أثبت
 بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نفاة الارادة أعظم تناقضا منهم
 فان الرازي ذكر في المطالب العلية مسألة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة المتفلسفة على أصول أصحابه الجهمية
 والمعزلة ففر اليهم وكذلك في غير هذامن المسائل فهو تارة يرجح قوله
 قول المتفلسفة وتارة يرجح قول المتكلمة وتارة يحار ويقف واعترف
 في آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لانشى عليلا ولا تروى غليلا
 وقال قد تأمات الطرق الكلامية والمناهج الفاسفة فما رأيتها نشى
 عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في
 الانبات الرحمن على العرش استوى اليه بصمد الكلم الطيب وقرأ
 في النى ليس كمثل شئ ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتى
 عرف مثل تجربتى فقد تبين انهم لا يثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا
 رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله
 صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق فى الكلام النفساني واجب لانه
 يعلم الامور ومن يعلم يمتنع أن يقوم فى نفسه خبر بخلاف علمه وعلي
 هذا اعتمد الغزالي وغيره فقل لهم هذا صنف لوجهين أحدهما الصدق
 فى ذلك المعنى لا ينفع ان لم يثبت الصدق فى العبارات الدالة عليه ويتميز
 بين الافعال عندهم الثانى انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبرك
 بالكذب فيقوم فى نفسه معنى ليس هو العلم وهو معنى الخبر فهذا يقتضى
 انهم يقولون ان العلم قد يقوم فى نفسه خبر بخلاف علمه والرازى
 لما ذكر مسألة انه لا يجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا
 للحشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لا يعنى بكلامه
 شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب ان فى

هذا زاعا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص
والله منزّه عنه فقيس له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات
المخلوقة أما الاول فلا يجوز ارادته هنا لان المثلثة هي فيمن يتكلم
بالحروف المنظومة ولا يعني به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى
وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك
أن يخلق كل شيء ليس منزها عن فعل من الافعال والعيب عندك هو مالا
تریده فهذا ممتنع فبين انه ليس لهم حجة لاعلى صدقه ولا على تنزيهه
عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون بمن تنزيهه عن بعض الافعال
وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه
والمعتزلة قصدتهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات
كما يذكرها أبو الحسين البصرى وغيره كما ذكر في أول صور الأدلة
خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
أنفسهم يظلمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأظن فيها اثبات صدقه ولهذا
يكفرون من يجوره أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في
مواضع كثيرة كما قد نبه على هذا في غير موضع فتكلا الطائفتين هما
حق وباطل ولم يستوعب الحق الامن اتبع المهاجرين والانصار وآمن
بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء
هم أهل الرحمة الذين لا يختلفون بخلاف أولئك المختلفين قال تعالى
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

(فصل) والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفي الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعري وأبي العباس انقلاني ومن تبعهم أثبتوا الصفات
 لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون
 فعله الاختياري يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد
 ايمانهم ويغضب ويغضب الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال
 العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى وقل اسملوا فسمي الله عملكم
 ورسوله والمؤمنون فانبت رؤية مستقلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم
 خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادي
 موسى حين أتى لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته فان المعتزلة والجهمية
 يقولون خلق نداء في الهواء والكلائية والسالمية يقولون النداء قام بذاته
 وهو قديم لكن سمعه موسى فاستجدوا سمع موسى والا فزال
 عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها يخالف هذا
 وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه يتكلم بمشيئته في وقت بكلامه وبين
 كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
 وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خاقه من تراب ثم قال له
 كن فيكون والقرآن فيه مثنون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما
 الاحاديث فلا تحصى وهذا قول ائمة السنة والسلف وجهور العقلاء
 ولهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل
 متكلمنا ادا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلهذا اتفقوا
 على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم يعرف عن أحد من

السائق أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم
كثير منهم من لم ينصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في علمه
ومنهم من يقول قديم أي متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث
لأنه أزلى لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد
بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع
أصوات عباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خلقه لهم بمشيئته
وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم وقد جاء في القرآن والسنة
في غير موضع أنه ينظر بالناظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا
يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم ملك
كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك في الاستماع قال تعالى وأذنت
لربها وحقت أي استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله
لشيء كاذنه لبي حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به وقال الله أشد اذنا
إلى صاحب القرآن من صاحب التينة إلى قينته فهذا تخصيص بالأذن
وهو الاستماع لبعض الأصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله
سمع الله لمن حمده وقول الحليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربي سميع
قريب يقتضى التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب
والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند
النفاء هو تخصيص باسم مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من
يجب ومحبه بالناظر والاستماع المذكور يقتضى ان هذا النوع منتف

عن غيرهم

(اكن مع ذلك هل يقال) ان نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجوده - - - موع ومرئي الا وقد تعلق به كالمعلم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته فيمكنه أن لا ينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لا يجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والسموع وجب تعلق الادراك به

(والقول الثاني) ان جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لا ينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال ما نظر الله الى شيء من خلقه الا رحمة ولكنه قضى أن لا ينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذ كرني اذ كرم وفي الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان أناني بمنى آيته هرولة فهذا الذكر يختص بمن ذكره فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشتة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسروا هذا النسيان بأنه وهذا النسيان ضد ذلك المذكور في
الصحيح في حديث الكافر بحاجبه قال أفضننت أنك ملاقي قال لا قال
قال يوم أسألك كما أسئتي فهذا يقتضى أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته
هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضاً وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم
ما يعمل قبل أن يعمل وما عمل علم ما عمل ورأى عمله فهذا النسيان
لا يناقض ما علمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال
والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان
يجعل ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه وبه
يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما
سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه
فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملاً
لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء
الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يمسك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ما قام عليه الدليل) والنافع منه ما جاء به الرسول وقد
يكون علم من غير الرسول لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب
والفلاحة والتجارة وأما الامور الالهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

ما أخذ عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق
بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة
والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوي الرسول اما أن يكون
في علمه بها نقص أو فساد واما أن لا يكون له ارادة فيما علمه من ذلك
فلم يبينه اما الرغبة واما الرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا
ايس بيانه البيان عما صر منه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة يبين الادلة العقلية الدالة عليها
والقرآن مملوء من الادلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الالهية
والمطالب الدينية وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات
البيّنات والدلائل اليقينية على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لا يقول
عليه الا الحق وان الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق
مصدوق فيما بانه عنه والادلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متبوعة
وهي أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول
بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن
القرآن اشتمل على الادلة العقلية في المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك
في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتاجون بالادلة
السمعية الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول
وجب تصديقه فيما يخبر به

(والعلوم ثلاثة أقسام) منها ما لا يعلم الا بالادلة العقلية وأحسن
الادلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغي أن يعرف

أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول فإن من
 الناس من يذهل عن هذا فهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقاً لأنه
 قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من المتكلمين
 ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه
 لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن إنما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن
 يعلم بالعقل قبل ذلك نبوت النبوة وصدق الخبر حتى يستدل بعد ذلك
 بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها ما لا يعلمه غير الأنبياء إلا بخبر الأنبياء
 وخبرهم المجرد هو دليل سمي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الأمور
 الإلهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل ما يؤمر به وينهى
 عنه فإما نفس اثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيتته وحكمته
 ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالأدلة العقلية وإن كانت الأدلة والآيات
 التي يأتي بها الأنبياء هي أكمل الأدلة العقلية لكن معرفة هذه ليست
 مقصورة على الخبر المجرد وإن كان أخبار الأنبياء المجردة تفسد العلم
 اليقيني أيضاً فيعلم بالأدلة العقلية التي أرشدوا إليها ويعلم بمجرد خبرهم
 لما علم صدقهم بالأدلة والآيات والبراهين التي دلت على صدقهم
 (وقد تنزع الناس في العلم بالمعاد وبحسن الأفعال وقبحها) فكثر
 الناس يقولون أنه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بأن العقل يعلم به
 الحسن والقبح أكثر من القائلين بأن المعاد يعلم بالعقل قال أبو الخطاب
 هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول بالمعاد والحسن
 والقبح لا يعلم إلا بمجرد الخبر وهو قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم

من أتباع الأئمة كالفاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد
التاجي وغيرهم وكأهم وتفقهون على أن من العلوم ما يعلم بالعقل والسمع
الذي هو مجرد الخبر، بل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة
وكون رؤيته ممكنة أو ممتنة ونحو ذلك وكتب أصول الدين بجميع
الطوائف مملوءة بالاحتجاج بالأدلة السمعية الخبرية لكن الرازي طعن
في ذلك في المطالب العالمة قل لان الاستدلال بالسمع مشروط بان
لا يعارضه عقلي فاذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه قال والعلم
بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو انما يثبت بالسمع ما علم بالاضعار ان
الرسول أخبر به كالمعاد وقد يظن أن هذه طريقة أئمة الموافقة في
الوعيد كالشمري والفاضي أبي بكر وغيرها وليس كذلك فان هؤلاء
انما وقفوا في اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لا يفيد القطع اولانهم
لا يقولون بصريح العموم وقد تعارضت الادلة والا فهم يثبتون
الصفات الخبرية لله كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر ولم يختلف قول
الاشعري في ذلك وهو قول أئمة اصحابنا نكن أبو المعالي وأتباعه لا يثبتون
الصفات الخبرية بل فيهم من ينفها ومنهم من يقف فيها كرازي والآمدي
فيمكن أن يقال قول الاشعري ينزع من قول هؤلاء بأن يقال لا يعرف
أنهم استمدوا في الاصول على دليل سمي لكن يقال المعاد ينجون عليه
بالقرآن والاحاديث ولكن الرازي هو الذي سلك فيه طريق العلم
الضروري ان الرسول جاء به وفي الحقيقة فجميع الادلة اليقينية توجب
علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا بأخبار

الرسول لكن منها ما تكثر أدلته كخبر الاخبار المتواترة ويحصل به علم ضروري من غير تعيين دليل وقد يعين الأدلة ويستدل بها وبسط هذا للموضع آخر

والمقصود هنا أن يؤخذ من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعها وعقلها ويجعل ما جاء به هو الاصول لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية على أن مقاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاءلامها تدل على ذلك جملة وتفصيلا الأدلة العقلية الموجودة في القرآن والحديث يدل على ذلك تفصيلا وأيضاً فإن الانبياء والرسول إنما بعثوا بتمر يف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضاً فمن جرب ما يقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفيهم كما قال الرازي مع انه من أعظم الناس طعنا في الأدلة السمعية حتى ابتدع قولاً ما صرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لا تثبت اليقين ومع هذا فإنه يقول لقد تأملت الطارق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروى غليلاً ووجدت أقرب الطارق طريقة القرآن أقرأ في الآيات إليه يصمد الكلام الطيب الرحمن على العرش استوى واتراً في النفي ليس كمنه نبي ولا يجيطون به علماً قال ومن جرب مثل تجربتي صرف مثل معرفتي وأيضاً (فمن اعتبر ما عند الطوائف) الذين لم يتصموا بتعليم الانبياء وارشادهم واخبارهم وجددهم كلهم حائرین ضالین شاكين مرتابين أوجاهلين جهلاً مركبا فهم لا يخرجون عن المثليين الذين في القرآن والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظامآن ماء حتى إذا جاءه

لم يجده شياً ووجد الله عنده فوفاه حساباً والله سريع الحساب أو
كظلمات في بحر لحي ينشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن أم يجهل
الله نورا فماله من نور

﴿ فصل ﴾ وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وهم
كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع
ومشبه في العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون في الكتاب
مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يخرجون بالمشابهة من
الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموفقة من أهل الضلال
تجمل لها ديناً وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك
القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقاداً لا اعتماداً وان خالفه
فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل
أثمهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل
طامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ما جاء به الرسول يجملون أقوالهم
البدعية بحكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما
جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويجعلون
كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله
أولا يعرف معناه الا الراسخون في العلم والراسخون عندهم من كان
موافقاً لهم على ذلك القول وهو لاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من
آيات الكتاب ويترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم
 متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من
 المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) فيجعلون ما يتدعوه هم برأيهم هو المحكم
 الذي يجب اتبائه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة
 ما يوافقهم ويجعلون ما جاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه
 بالضرورة يجعلونه من المشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من
 جميع أهل البدع حتى قال يورث بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرها
 كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين
 وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة
 والقدرية وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى يقال منه آيات
 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاة في المتشابهات قولان أحدهما
 أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس والثاني وهو الصحيح ان التشابه
 أمر نسبي فقد تشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات
 محكمات لا يتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرفت معناها صارت
 غير متشابهة بل القول كما محكم كما قال أ- كمت آياته ثم فصلت وهذا
 كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لا يعلمهن كثير من
 الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد
 على الزنادقة والجهمية فيما كتبه من متشابه القرآن وتأولوه على
 غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذهبهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على
 غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التي سأل عنها نافع بن الأزرق لابن العباس قال الحسن البصري
 ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وماذا عني بها ومن قال
 من الساف ان المنشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده
 بالتأويل ما استأثر الله بملامه مثل وقت الساعة ومجيئ. اشراطها ومثل
 كيفية نفسه وما أعده في الجنة لأولياءه وكان من أسباب نزول الآية
 احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله انا ونحن وهذا يعرف العلماء
 أن المراد به الواحد المعظم الذي له أعوان لم يرد به ان الآلهة ثلاثة
 فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه
 ايا وما قيل فيه ان الدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما
 كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ولهذا لا يقول قايانا فاعبدوا ولا
 ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر
 نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة
 قال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه تتلو عليك من نبي
 موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة ما دل
 عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد
 بسط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل
 ويتدبر معناه ويمقل ويعرف برهانه ودليله اما العقلي واما الخبري السمي
 ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه
 وتخالفه متشابهة بجملة فيقال لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا بهما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا
 بها ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والتمهيز والجوهر والجهة
 والعرض ونحو ذلك وانفط الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد
 في الكتاب والسنة بالمعنى الذى يريد به أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة
 أيضا بل هم يختصمون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعانى
 بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعانى بعبارات أخرى ويبطن ما دل عليه القرآن
 الادلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من
 الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ما ففقه من مقدمات مشتركة
 يأخذون اللفظ المشترك فى احدى المقدمتين بمعنى وفى المقدمة الاخرى
 بمعنى آخر فهو فى صورة اللفظ دليل وفى المعنى ليس بدليل كمن يقول
 سهيل بعيد من الثريا لا يجوز أن يقترن بها ولا يتزوجها والذى قال

* أيتها المنكح الثريا سهيلا *

أراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان * هى شامية اذا ما استقلت

* وسهيل اذا استقل يمان *

وهذا لفظ مشترك فجعل يعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ

المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة فى غير موضع

والاصل الذى نبى عليه نقاة الصفات وعطلوا ما عطلوه حتى صار

منهاهم الى قول فرعون الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى فى

أن الله كلمه هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والائمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والائمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين

(والسلف لم يذموا جنس الكلام) فان كل آدمي يتكلم ولاذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاماً هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل

فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفي عليه بطلان هذا الكلام فتهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أو الايتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخاطر يخاف على سالكه فصاروا يعيونه كما يعاب الطريق الدويل والطريق الخفيف مع اعتقادهم أنه يوصل إلى المعرفة وأنه صحيح

في نفسه * وأما الحذاق العارفون بحقيقته فعلموا أنه باطل عقلاً ونسراً
 وأنه ليس بطريق موصل إلى المعرفة بل إنما يوصل لمن اعتقد صحته إلى
 الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله إلى الحيرة والشك
 ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون إلى الحيرة والشك إذ كان حقيقته
 أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا
 مكابرة فإن الوجود مشهود وهو إما حادث وإما قديم والحادث لا بد له
 من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين

وكذلك ما ابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال
 بالممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا
 الموضوع وحقيقته أن كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود
 بنفسه مع أنهم جمعوا هذا طريقاً لإثبات الواجب بنفسه كما يجعل أولئك
 هذا طريقاً لإثبات القديم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس
 في واحد منهما إثبات قديم ولا واجب بنفسه مع أن ثبوت موجود
 قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء إلى أن
 للموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن
 لا يكون العالم رب مابين للعالم إذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لا بد
 منه على كل قول وفرع ونحوه ممن أنكر الصانع ما كان ينكر هذا
 الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود
 قديم ولا واجب لكنهم لا يعرفون أن هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا
 الدليل على إثبات القديم الواجب بنفسه

(ولكن وصفوه) بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطار ويعرف أن هذا صفة المعدم الممتنع لاصفة الموجود فدليلهم في نفس الامر يستلزم انه ممتنع قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما أثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهةهم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماه الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحـدد الممكن والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والائمة ورددوه وأما حقيقة قولهم فهو النفي أن لا داخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم تسمعه الائمة ولم يعرفوا أنه قولهم الامن باطنهم ولهذا كان الائمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان ويجكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها * قد حليت بمجانس الاشياء.

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف ما يعلمه كل أحد ببديهة عقله فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بانفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحوادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شيء من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير طاقة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق

(ومعرفة الفطر) أن المحدث لا بد له من محدث أظهر فيها من أن كل محدث لا بد له من مادة خلق منها وغاية خالق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم ينازع في الاول طاقة قال ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع واما أن يقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لا يعرف عن طاقة معروفة وانما يحكى عن لا يعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد في عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفي بعض الامور ولكن أمة من الامم كلهم سوفسطائية في كل شيء هذا لا يتصور فلهذا لا يعرف عن أمة من الامم انهم قالوا بحدوث العالم من غير محدث وهؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ما قامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث ويمكن لزمهم القول بحدوث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفاً بما يقوم به من الصفات والامور الاختياريات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته ويخلق ما يخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ما قامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لا يخلو

من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قديم واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لا يشار اليه ولا يتعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لاحقيقة له في الخارج وانما هو في الذهن فكان ما أثبتوه واعتقدوا أنه الصانع للعالم انما يتحقق في الاذهان لافي الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم في أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بحلوله في كل شيء وقال آخرون منهم هو وجود كل شيء ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله في العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد في اللبن وكالزيت والشيرج في السمسم والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذي أضلهم قولهم ما قامت به الصفات والافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لا يخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لا يخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لا يخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لا يخلو عن الاعراض والاعراض كماها حادثه وهي لاتبقي زمانين وهذه طريقة الآمدى وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم
وامكانه وذكروا في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق
وانهم هم يبنوا فساد جميع ما استدل به على حدوث الجسم وامكانه وبنوا
فسادها طريقاً طريقاً بما ذكرناه كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما المشامية والكرائية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد
شاركوهم في أصل هذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا
قالوا ان التجسم لا ينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسماً
قديمًا وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام ان
القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام في
الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السلف والائمة في ذم الجهمية كثير
مشهور فان مرض التعطيل شر من مرض الجسم وانما كان السلف
يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واهل حق
ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كعصرى ويد كيدى
وقدم كقدمى وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التي لا تثبت بمشيتته
وقدرته فينفونها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثاً لان
ما قبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هذه الحوادث لم
يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثاً

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصره لم يبن الحجاج
أثبت انه يوصف بالصفات الاختياريات ويتكلم بمشيتته وقدرته ولكن
عنده يمتنع انه كان في الاول متكاملاً بمشيتته وقدرته لا تمتنع حوادث

لا أول لها فلم يقل بقول السالف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه صار يتكلم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعد ان لم يكن كذلك وقال هو وأصحابه في المشهور عنه ان الحوادث التي تقوم به لا يخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منه وما لم يخل من الحوادث فهو حادث وانما يقبل علي أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط كما يقبل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تخل منه كما لم يلزم أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم حادث لا يحدث لان المحدث يقتصر الي احداث بخلاف الحدوث وهم اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث بل يقولون السكون أمر عدمي كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر وجودي بخلاف ما يقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودي كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فانما عدم الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع وهم يقولون انه يمتنع عدم الجسم وعندهم ان الباري يقوم به احداث المخلوقات وانماؤها فالحوادث التي تقوم بهم تقوم به لو افناها لقام به الاحداث والافناء فكان قابلا لان يحدث فيه حادث ويفنى ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من احداث وافناء فلم يخل من الحوادث وما لم يخل منها فهو حادث وانما كان كذلك لان المقابل للنفي لا يخلو عنه وعن ضده كما قالت الكلابية لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لا يخلو عنه

وعن الآخر وهو لا يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو
 عدمي وإنما الوجودي هو الاحداث والافناء فلو قبل قيام الاحداث
 والافناء به لكان قابلا لقيام الاضداد الوجودية والقابل للشيء لا يخلو
 عنه وعن ضده وهو لا لما أراد منازعهم ابطال قولهم كان عمدتهم يان
 تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالي وأتباعه وكما ذكر الآمدي
 تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع وغايتها أنها
 تدل على مناقضتهم لاعلى صحة مذهب المنازع

← ونم طائفة كثيرة تقول انه تقوم به الحوادث وتزول وانه كلم موسى
 بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف
 وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان والافعال قول بفناء الصوت
 الذي كلم به موسى من جنس القول بقدمه كما يقول ذلك من يقوله
 من أهل الكلام والحديث والفقهاء السلفية وغيرهم ومن الخبيلية
 والشافعية والمالكية يقول انه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك
 الصوت قديم وهذا القول يعرف فساد بهيئة العقل وكذلك قول
 من يقول كلمه بصوت حادث وان ذلك الصوت باق لا يزال هو وسائر
 ما يقوم به من الحوادث هي أقوال يعرف فسادها بالبهية

→ وإنما أوقع هذه الطوائف في هذه الأقوال ذلك الأصل الذي
 تلقوه عن الجهمية وهو أن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث وهو
 باطل عقلا وشرعا وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه
 استطاعت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا

بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وساطوا عليهم
وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والديهية والملاحدة بسبب غاظهم
في هذا الاصل الذي جعلوه اصل دينهم ولو اعصموا بما جاء به الرسول
لوافقوا المقول والمعتول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول
فحرموا الوصول والاصول اتباع ما جاء به الرسول

وأحدثوا اصولا ظنوا انها اصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين
مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين آمن أس بنيانه على
تقوى من الله ورضوان خير آمن أس بنيانه على شهقا جرف هار
فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل
حين باذن ربها وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء والاصول مأخوذة من اصول الشجرة
وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل ما يبنى عليه غيره أو ما يفرع
عنه غيره

فالاصول الثابتة هي اصول الانبياء كما قيل

أيها المغتدي لتطلب علما * كل علم عبس لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول
واقه يهديننا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الأصول بنيت عليها مافي القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هي قضية جازمة وعقيدة جامعة ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فوائح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والآخرة على أمم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهي العقيدة الإيمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فمثل أصول الإيمان ثابت في قلب المؤمن كنبات أصل الشجرة الطيبة وفرعها في السماء اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قاب المؤمن وطها فرع عال وهي ثابتة في قاب ثابت كما قال ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن منسده يقين وطمانينة والإيمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الإيمان مستقر لا يتحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الارض استوصلت واجثت كما يقطع الشئ بجثت من فوق الارض ما لها من قرار لا مكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى بأش القرار وقال جعل لكم الارض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أى ثبات وقد فسر القرار في الآية بهذا وهذا
 فالباطل ليس قوله ثابتاً في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى
 في المثل الآخر فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في
 الارض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذى يشرك بالله
 فعند الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الافعال
 الباطلة التي يعتقدونها الانسان عند الحقيقة يخونه ولا تنفعه بل هي
 كالشجرة الحثينة التي اجثت من فوق الارض ما لها من قرار فمن كان
 معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الى الله فانه سبحانه
 اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل
 ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصول ولهذا نجد أهل البدع
 والشبهات لا يصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق والذين
 يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباط كفيه الى المساء ليبلغ
 فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال

والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود
 وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسوله
 وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصف به
 رسوله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه
 وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا
 تمثيل والذين يشكرون بعض ذلك ما فادروا الله حق قدره وما عرفوه
 حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ما قدروا الله حق قدره في ثلاث مواضع أثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وليثبت ما أنزله على رسوله فقل في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال في الحج ضمف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره وقال في الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء والمواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقائه وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقائه والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذي أمركم به وحق تقائه التي أمركم بها واقدروه قدره الذي بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما ما يخرج عن طاقة البشر فذلك لا يذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة ابن الحريصة على اللهو * ودات الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شيء قدير فتهد قدر الله حق قدره

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارضين على أصبع والحبال على أصبع والشجر والنري
على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم تعجبا وتصديقا لقول الخبر وقرأ هذه الآية ←

وعن ابن عباس قال مر يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه والارض على ذه
والحبال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات يمينه رواه الامام أحمد والترمذى من حديث أبى الضحى عن
ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضى ان عظمته أعظم مما وصف ذلك الخبر فان الذى فى
الآية أبلغ كفاي الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا
الملك أين ملوك الارض وفى الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطفى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المشكرون ورواه
مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبى نزا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن
عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود فى صفة الرب
تبارك وتعالى فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفته التي وصفوا بها شركا
وقال حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعني أبا معاذ عن الحسن
قال عمدت اليهود فنظروا في خلق السموات والارض والمسالك
فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله
حق قدره وهذا يدل على انه أعظم مما وصفوه وانهم لم يقدروه حق قدره
وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من
الاشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمنزل ما يوصف به الخالق
فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الاشياء فعدل بربه
والرب تعالى لا كفو له ولا سمى له ولا مثل له ومن جعله مثل المعدوم
والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معطل بمنزل والمعطل شر من المشرك
(والله نبي نعمة فرعون) في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس الى
الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلوم لم
يحصل مثله لاحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر الله تعالى وليس
لله صفة يمانه فيها غيره فلماذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمسك
ولا قياس السموك الذي يستوى افراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه
بالمخلوق بل قياس الاولى فانه سبحانه له المثل الاعلى في السموات
والارض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه
عن صفات النقص وقد بسط هذه الامور في غير هذا الموضع وبين
ان من جعله الوجود المطلق والمقيد بالسلب أو ذاتا مجردة فهو لاء مثلوه
بأنقص المعقولات الذهنية وجعلوه دون الموجودات الخارجية والنفاء

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسم لم يثبتوا بذلك
حدوث شيء كما قد بين في موضعه

ثم انهم جعلوا عمدتهم في تزويه الرب عن النقائص على نفى الجسم
ومن سلك هذا السلك لم يتره الله عن شيء من النقائص البتة فانه
مامن صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم ونكون من صفات الاجسام
الايقال له فيما اثبتته نظير ما يقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا
لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي ينفيها كالقول فيما اثبتته
فان كان هذا تجسيما وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا اثبت هذا
على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت
أنا اثبتته وأنفى التجسيم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق
بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفى الصفات كالمترلة قيل له في
الصفات ما يقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا علما قادرا وهو
لا يعرف من هو متصف بذلك الاجساما كان اثبات ان له علما وقدرة
كما نطق به الكتاب والسنة كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء
ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قبله فلا بد أن تثبت موجودا
قائما بنفسه وأنت لا تعرف ذلك الاجساما وان قال لا اسميه باسم لا اثبات
ولا انفي قبله سكوتك لا ينفى الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات
فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأبضا
فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تتكلم وان عرفت فلا بد أن تميز بينه
وبين غيره بما يختص به منسل أن يقول رب العالمين أو القديم الازلي

أو الموجود بنفسه ونحو ذلك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه
وأثبتته فاعلا وأنت لا تعرف ما هو كذلك الا الجسم وان قدر انه جاحد
له قيل له فهذا الوجود مشهود فان كان قديما أزليا موجودا بنفسه
فقد يثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ما فررت منه وان كان
مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولا بد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت
الموجود القم بنفسه القديم الأزلي على كل تقدير وهذا مبسوط
في غير هذا الموضع

وهنا قد نهينا على ذلك وانه كل من نفي تنزيهه للرب عن انتقائس
والميوب على نفي الجسم فانه لا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا بهذه
الحجة وكذلك من جعل عمدته نفي التركيب

ومن تدبر مذكروه في كتبهم تبين له انهم لم يقيموا حجة على
وجوده فلام أثبتوه وأثبتوا له ما يستحقه ولا تزعموه ونفوا عنه ما لا يجوز
عليه اذ كان إثباته هو اثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك ليلا والنفي
اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفي
كونه جسما فكيف اذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما يتبين لك ان من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه
علم لاعقلي ولا سمى لاسيما في هذا المطلوب الاعظم لكنهم قد يكونون
معتقدين لعقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن
ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ما تثبت وتنفى ما تنفى بناء على هذه الفطرة
المكاملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أسلا ولكن استفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر
 وبيان تناقضه ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا برودونها
 بان ذلك تجسيم كما فعل القاضي أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره
 فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً بما يقول اليهود بأنه
 تجسيم وقد كان اليهود عند انبي صلى الله عليه و لم بالمدينة وكانوا أحيانا
 يذكرون له بعض الصفات كحديث الحبر وقد ذم الله اليهود على أشياء
 كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وغير ذلك ولم يقل النبي صلى الله
 عليه وسلم قط انهم يجسمون ولا ان في التوراة تجسماً ولا انهم بذلك
 ولا رد هذه الافوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من
 النفاة فيبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث
 الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهلها من جنس الذين قالوا لو
 كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقد بينا في غير هذا الموضع
 فساد ما ذكره الرازي من ان طريقة الوجود والامكان من أعظم
 الطرق وبيننا فسادها وانها لا تفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلاً على اثبات
 واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها وانها اعتماد المقتلاء
 قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بأنه قد تأمل الطرق
 الكلامية والمتاهج الفلسفية فما وجدها نشئ عابلاً ولا تروى غلباً
 ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجود والامكان لم
 يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المنكلمين الذين قسموا
 الوجود الى محض وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن ليكنه القول

بأن الفك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغسبر
سلفه وخالف نفسه فانه قد ذكر في المتعلق ما ذكره سلفه من أن الممكن
لا يكون الا محدثا كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع

(ثم) ان هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم الى قول
فرعون فان فرعون جحد الخالق وكذب موسى في أن الله كاه وهؤلاء
ينتهي قولهم الى جحد الخالق وان أنبتوه قائلوا انه لا يتكلم ولا ينادي
أحدأ ولا ناجاه وعمدتهم في نفي ذاته على نفي الجسيم وفي نفي كلامه
وتكليمه لموسى على أنه لا يحمله الحوادث فلا يثبت عندهم رب ولا مرسل
حقيقة قولهم تناقض شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان
الرسول هو المبلغ لرسالة مرسله والرسالة هي كلامه الذي بعث به فاذا
لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الانبياء على أن الله يتكلم ومن
لم يقل انه يتكلم بمشيتته وقدرته كلاماً يقوم بذاته لم يقل انه يتكلم والنفاة
منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعنى أنه مخلوق بائن عنهم ومنهم من يقول هو
صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لا يتكلم بمشيتته وقدرته وكل
طائفة مصيبة في ابطال باطل الاخرى

والدليل يقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب
يتكلم بمشيتته وقدرته فادلة من قال انه صفة فعل كلاهما انما تدل على
أنه يتكلم بقدرته ومشيتته وهذا حق وأدلة من قال انه صفة ذات انما
تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا حق وأما من أثبت أحدهما كمن

قال ان كلامه مخلوق او قال انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته فهو لاء في الحقيقة لم يثبتوا انه يتكلم ولا اثبتوا له كلاما ولهذا يقولون مالا يعقل هذا يقول انه معنى واحد قائم بالذات وهذا يقول حروف او حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بأن ٤

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم منى قولهم من الناس ولم يعرفوا عين هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أو بحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم ان الهري في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ما جاء به الرسول وهو المرفق امر يريح الممقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسبيا والقلوب تطلب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عنائهم وفيما صنفوه في أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنفوا في أصول الدين ما صنفوه ولما تكلموا في مسألة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم أو هو الحروف والاصوات أو معنى قائم بالذات نهوا عن هذه الاقوال وقالوا الواجب ان يقال ما قاله المسلمون كلهم ان القرآن كلام الله وبمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك ولهم رغبة في العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول المنزلة والكلابية والسالية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من النساد ما يوجب الامتناع من قبوله ولم يعلموا قولاً غير هذه
فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب
ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على
حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها
من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على إمكانها
بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون
جسماً بهذه الطريقة وذلك نفي منه أنه جسم بتلك الطريقة وحدائق النظر
الذين كانوا أخيراً بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالاً بها وبغيرها قد
صرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله
سبحانه يجزي الإنسان بحسن عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف
الرسول عوقب بمنزل ذنبه فإن كان قد قدح فيهم ونسب ما يقولونه إلى أنه
جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلى في عقله وعلمه وظهر من جهله
ما عوقب به ومن قل عنهم أنهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال
أنهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى
أنه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون أهلاً
بالقتل وصار يسفه بالعيوب كقوله وقال فرعون ذروني أقتل موسى
وليدع ربه أني أخاف أن يبديل دينكم أو ان يظهر في الأرض الفساد

وقال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين عليك الله
 فرعون وأظهر كذبه واقترأه على الله وعلى رسوله وأذله غاية الاذلال
 وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل
 كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو
 كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جهل أمك به نفسه وأتباعه
 في الدنيا والآخرة

(والذين) قالوا عن الرسول انه أبتروا وتصدوا انه يموت فينقطع
 ذكره عوقبوا بانبتارهم كما قال تعالى ان شأنك هو الا بتر فلا يوجد من
 سنا الرسول الا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر
 ابن عيش ان بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من
 جلس للناس جلس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكركم
 وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا
 فرعون في جحده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى
 تكلمها كما قال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب
 السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاطنه كاذبا وكان فرعون جاحداً
 للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى
 وانى لاطنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن
 السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال ته الى وقال فرعون يا أيها
 الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل

لي صرحا لعلی أطاع الى الله موسى واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم البنا لا يرجعون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون
الي النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلى الله عليه وسلم لما صرح به الي ربه وفرض عليه الصلوات
الخمس ذكر انه رجع الي موسى وان موسى قال له ارجع الي ربك
فسله التخفيف الي أمتك كما تواتر هذا في أحاديث العراج فموسى صدق
محمد في أن ربه فوق وفرعون كذب موسى في ان ربه فوق فالمقرون
بذلك منيعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون
وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهي مما اعتمد
عليه أبو الحسن الأشعري في كتابه في الابانه وذكر عدة أدلة عقلية
وسمعية على ان الله فوق العالم وقال في أوله
فان قال قائل قد أنكرتم قول الجهمية والقدريه والحوارج
والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم
التي بها تدينون

قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا
وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وبما كان يقول به
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون
فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق وأوضح به

المزاهج وقع به يدع المتدعين وزيدغ الزائفين وشك الشاكين فرحمه
الله من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذكر جملة
الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤية ومئة القرآن
ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون
في ذلك على ما جاء به الرسول اذ كان ما جاء به الرسول انما يتضمن
الانبات لا النفي لكن يعتمدون في ذلك على ما يظنونه آلة عقلية
ويعارضون بذلك ما جاء به الرسول وحققة قولهم ان الرسول لم يذكر
في ذلك ما يرجع اليه لامن سمع ولا عقل فلم يخبر بذلك خبرا بين به
الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب في ذلك على
زعمهم بخلاف غير هذا فاتهم معترفون بان الرسول ذكر في القرآن
أدلة عقلية على نبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون ايضا انه
أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ما ذكره من النبي لم يذكره
الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الانبات
وليس هو في نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض
فلما نسبوا ما جاء به الرسول الي انه ليس فيه لادليل سمعي ولا عقلي
لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عاقبهم الله بجنس ذنوبهم فكان
ما يقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من
العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجده من الشبهات الشيطانية
من جنس شبهات أهل السفطة والاحاد الذين يتدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع نخلافهم له ظاهر لكل أحد وإنما يظن من
 معظمهم ويتبعهم أنهم أحكموا العقليات فادحقق الأمر وجددهم كما قال
 أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وكما قال تعالى
 والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه
 لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله - يع الحساب
 أو كظلمات في بحر لحي بنشاه موج من فوقه موج من فوقه - حجاب
 ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل
 الله له نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قولهم ان القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب
 دليل - سمى ولا عقلي سلهم الله في هذا الباب معرفة الادلة السمعية
 والعقلية حتى كانوا من أضل البرية مع دعواهم أنهم أعلم من الصحابة
 والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون أنهم أعلم من النبيين وهذا
 ميراث من فرعون وحزبه الاميين

وقد قيل ان أول من عرف انه أظلم في الاسلام التعطيل الذي
 تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله
 القسري وقال أيها الناس فمخوا تقبل الله فمخاياكم اني مضح بالجعد بن
 درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خايلا ولم يكلم موسى تكليما
 تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبجه وشكر له علماء
 المسلمين ما فعله كالحسن البصري وغيره وهذا الجعد اليه ينسب مروان
 ابن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية وكان شوومه عاد عليه حتى زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن
خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا
الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو
حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا
يتظاهرون به الرفض فكانوا خيارهم وأقربهم الى الاسلام الراضية
وظهر بسببهم الرفض والاحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بنى
حمدان العالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بنى بويه في المشرق
وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك
اشتغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن
بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمي حينئذ بامير المؤمنين
الاموى الذي كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول
لا يكون للمسلمين خليفتان فلما ولي المقتدر قال هذا صبي لا نصح
ولايته فسمى بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القديح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن
هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم
بخلاف الاموى والعباسى فان كلاهما نسبة صحيح وهم مسلمون كما نالهم
من خائفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت
عليهم الاعداء فخرجت الروم النصرانية الى الشام والجزيرة مرة بعد
مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوء حال بين الكفار النصاري والمنافقين الملاحدة إلى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الإسلام والطهارة والجهاد لاعدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصاري فأنجدهم وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة

فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا خيرا الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبدع ساطع عليهم الكفار ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لما كان أهل المشرق قائلين بالإسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والاحاد والفجور ساط عليهم الكفار قال تعالى
 وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعتان
 علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادنا اولي باس شديد
 فجاسوا خلال الديار وكان وعدنا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم
 وامددناكم باموال وبنين وجعناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنم
 لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم
 وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ماءلو اتقبروا عسى ربكم
 ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشايخ يقول هولاء هو ملك الترك التتار الذي قهر
 الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف
 ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول
 هو للمسلمين بمنزلة بخت نصر لبنى اسرائيل

وكان من اباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الاحاد والنفاق
 والبدع حتى انه صنف الرازي كتابا في عبادة الكواكب والاصنام
 وعمل السحر سماه السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم ويقال
 انه صنفه لام اسلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين
 خوارزم شاه وكان من اعظم ملوك الارض وكان لرازي به اتصال
 وى حتى انه وصى اليه على اولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة
 العلائية في الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستحارة التي علمها النبي

صلى الله عليه وسلم المسلمون كما قال حابر في الحديث الصحيح الذي
رواه البخاري وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة
في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذ هم احدكم بالامر
فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك
واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت
تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خيرا لي في ديني ومالي وعاقبة
امري فاقدره لي ويسره ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا
الامر شر لي في ديني ومالي وعاقبة امري فاصرفه عني واصرفني
عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به (وأهل التجوم) لهم
اختيارات اذا اراد احدكم ان يفعل فعلا أخذ طالعا بعيدا فعمل
فيه لك العمل لينجح بزعمهم وقد صنف الناس كتابا في الرد عليهم
وذكروا كثرة ما يتع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به وياثرون
به وكم يخبرون من خبر فيكون كذبا وكم يأمرون باختيار فيكون شرا
والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر
وغير ذلك كما ذكر في السر المكتوم في عبادة الكواكب ودعوتها مع
الوجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم
والنقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفوق والاصيان
فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء وحو
ذلك بما حرمه الله وروله وهذا في نفس الامر يقرب الى الشياطين
الذين يأمرونهم بذلك ويقولون لهم ان الكواكب نفسه يجب ذلك والا

قال كواكب مسخرات بأمر الله مطبوعة لله لا تأمر بشرك ولا غيره من المعاصي ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك ويسمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هي شياطين فلما ظهر بأرض المشرق نسب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه ما ظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أي ان القرآن حق وقال سأريكم آياتي فلانستعجلون وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجهد المعطل وغيره من الاسباب التي أوجبت ادبارها وفي آخر دولتهم (ظهر الجهم بن سفوان) بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المسلمين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبد الله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام في الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوى أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ما تلقاه

ثم لما ولي الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ودعا الى قولهم في آخر عمره

وكتب الى بغداد وهو (بالثغر بطرسوس) التي ببليديس وكانت اذ
ذاك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين بقصدها أهل الدين
من كل ناحية ويرابطون بهارابط بها الامام أحمد رضى الله عنه والسررى
السقطى وغيرها وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاؤها أيضا صالح بن
أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما
فكتب من الثغر الى نائبه بهمداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب
كتابا يدعوا الناس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم
كتب كتابا نانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وارساله اليه فأجاب أكثرهم
ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا
الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوها اليه فمات قبل أن يصل اليه
ثم أوصى الى أخيه أبى اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي
أحمد في الحبس الى سنة عشرين فجري ماجرى من المناظرة حتى قطعهم
بالسجدة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب الفلاة الجهمية
وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعوه العطاء وعزلوه من
الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتكوا الاسرى يتمحنون الاسير
فان أجابهم افتدوه والالم يفتدوه
وكتب قاضهم أحمد بن أبى داود على ستارة الكعبة ليس كمنه شئ
وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير
ثم ولى الواثق واشتد الامر الى أن ولى المتوكل فرقع المحنة وظهرت
حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان ائمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية ينسوه
حتى قال عبداقة بن المبارك انما نحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع
ان نحكى كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشیطان دعا الناس جهرة * الى النار واشتق اسمه من جهنم
وقبل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه
قيل له يحرق قال يحرق وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن
راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من ائمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق
وتمطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل
جلاله ويقول ما علمت انكم من اله غیری ويقول لموسى لئن اتخذت
الها غیری لاجعلنك من المسجونين ويقول انا ربكم الاعلى وكان ينكر
ان يكون الله كام موسى اولا يكون موسى اله فوق السموات ويريد ان
يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية
المعطلة انفاة يؤول الى قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب العالمين
وانكار عبادته وانكار كلامه حتى ظهروا بدعوى التحقيق والتوحيد
والمرقان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والوجود القديم
الازلى الخالق هو الموجود المحدث المخلوق والرب هو البسد مانم
رب وعبد وخالق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يميون
على الانبياء وينقصونهم يميون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرها
ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضون بأن تعبد الاصنام حتى يقولوا ان عباد الاصنام لم يعبدوا
 الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فجدوا
 الرب وأبطلوا دينه وأمره ونهيه وما أرسل به رسوله وتكليمه لموسى وغيره
 وقد ضل في هذا جماعة ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف
 المناسب لذلك كابن سبئين والصدر القونوي تلميذ ابن عربي والبياني
 والنلماني وهو من حذاقهم علماء ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل
 في شرب الخمر ويأتي المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي وكان يظنه
 من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه رآه يخالف القرآن قال فقلت له
 هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في
 كلامنا وكان يقول ثبت عندنا في الكشف ما يخالف صريح المقول
 وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له فقرأ على كلب أجرب ميت
 بالطريق عند دار العلم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال
 وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قلوبهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان
 يخالف أحداً فيناقضه فلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان
 يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب الملو في الارض والظلم دعاه
 الى الجحود والانكار كما قال فلما جاتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر
 مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان
 حاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه يناقضون المساميين فلا يمكنهم

اظهار جحود المانع ومن وجههم ضلال يحسبون أنهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الاحقاد والجحود ويوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاماً أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسي يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعاني الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذكرني بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاسد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثني بهذا فقلت له ما ظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع قرار الخصم يحتاج الى بينة قال عبد السيد فقلت له لا ادع موسى وأذهب الى فرعون فقال ولم قلت لان موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكوني فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم فعمتك اليهودية يهودي خير من فرعوني وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لا يفهمون حقيقة قولهم بل يحسبون أنه تحقبق ما جاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله فيحسبون هؤلاء من جنس أولئك من جنس الفضيل بن عياض
 وإبراهيم بن آدم وأبي سليمان الداراني والسري السقطي والجنيد بن
 محمد وسهل بن عبد الله وأمنال هؤلاء

وأما عرفانهم الذين يعلمون حقيقة قولهم فيعلمون أنه ليس الأمر
 كذلك ويقولون ما يقول ابن عربي ونحوه أن الأولياء أفضل من الأنبياء
 وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء وأن جميع الأنبياء يستفيدون
 معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء وأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ
 منه الملك الذي يأتي خاتم الأنبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون
 أقوال الفسفة والجهمية في قلب الكشف وعند المتفلسفة أن جبريل
 إنما هو خيال في نفس النبي ليس هو ملكا يأتي من السماء والنبي عندهم
 يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الأولياء في زعمهم فانه يأخذ من العقل
 المجرد الذي يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه
 الملك الذي يوحى به إلى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ما قاله
 صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت
 وإن جاز في العرف الزاموسى لذلك قال أنا ربكم الأعلى أي وإن كان
 الكل أربابا بنسبة ما فانا الأعلى منهم بما أعطيت في الظاهر من الحكم فيكم
 قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له
 بذلك وقالوا له اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا قال فصح
 قول فرعون أنا ربكم الأعلى وإن كان فرعون عين الحق

وحدثني الثقة الذي كان منهم ثم رجع عنهم أن أبغض الناس إليهم

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب
سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد
ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجبه - لوه كسائر المظاهر وأنتم
تعظمون المظاهر كلها أو اكتبوا عنه قال فقالوا لي محمد نبفضه فانه
أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا في مذهبهم
الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم
يصرحون بالامنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس
عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكاً واذا سمعتم
نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا فهم
اذا سمعوا نهيق الحمار ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون
سجودهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جليل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من
هؤلاء الذين يسبون الانبياء وقد صنف كتاباً سماه فك الازرار عن أعناق
الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم
قد غلبتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لي قصة تعجبت منها مع
شيخ منكم فاني تجليت له فقلت أنا الله لا اله الا أنا فسجد لي فتعجبت
كيف سجد لي قال هذا الشيخ فقلت له ذلك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم
تعرف قصده مارأي في الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحد لا يميز بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذاك الذي سجد
لابليس لا يميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من
الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم

ولهذا عاب ابن عربي نوحاً أول رسول بعث الى أهل الارض
وهو الذي جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة
وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين
عاماً وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ما عبدوا الا الله
وان خطاياهم خطت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادة يتنقص
الانبياء ويمدح الكفار كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وابراهيم وموسى
ومرون وغيرهم ومدح عباد المعجل وتنقص مرون واقتضى على موسى
فقال وكان موسى أعلم بالامر من مرون لانه علم ما عبده أصحاب المعجل
لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد الا اياه وما قضى الله بشيء الا وقع
فكان عتب موسى أخاه مرون لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه
فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فذكر
عن موسى انه عتب على مرون أنه أنكر عليهم عبادة المعجل وانه لم
يسمع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه
عين كل شيء

وهذا من أعظم الافتراء على موسى ومرون وعلى الله وعلى عباد
المعجل فان الله أخبر عن موسى أنه أنكر المعجل انكاراً أعظم من انكار
مرون وانه أخذ بلحية مرون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفة

قال تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أرى
وصحبت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم
السامري فرجع موسى الي قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم
ربكم وعدا حيننا أفضال عليكم المهدي أم أردتم أن يحل عليكم غضب
من ربكم فأخلفتم ووعدي قالوا ما أخلفنا موعداك بملكنا ولا كنا حملنا
أوزارا من زينة القوم فقد فتنناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا
جسده خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فندى أفلا يرون أن لا يرجع
اليهم قولا ولا بملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا ان
نبرح عليه طاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ
رأيتهم صدوا ألا تبين أفمصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم تر قب قولي
قلت لبيض هؤلاء هذا الكلام الذي ذكره هذا عن موسى
وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه قلت فأختر
انفسك اما القرآن واما كلام ابن عربي وكذلك قال عن نوح قال لو
أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أي ذكر لهم فدعاهم جهارا
ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو
لانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الى الله فهذا عين المكر
على بصيرة فبه ان الامر كله لله فاجابوه مكرا كما دعاهم نجاة الحمدي
وعلم أن الدعوة الى الله ما هي من حيث هو يتسه وانما هي من حيث

أسماءه فقال يومئذ المنقذين إلى الرحمن وقد أفضوا به بحرف الغاية
 وقرنها بالاسم ففرقنا ان العالم كان تحت حيطه اسم الهي أوجب عليهم
 أن يكونوا متقين فقالوا في مكرهم لا تذرنا أنفسكم ولا تذرنا ودا
 ولا سوانا ولا يغوث ويغوث وانسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من
 الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجه يعرفه
 من يعرفه ويجهله من يجهله كما قال في الحمديين وقضى ربك
 أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أي حكم فالعارف يعرف من
 عباد في أي صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالأعضاء
 في الصورة المحسوسة وكالتقوي المعنوية في الصورة الروحانية فما عبد غير
 الله في كل معبود

وهو دائما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال في هذه القصة مما
 خطاياهم فهم التي جعلت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وهي الخيرة
 فدخلوا نارا في عين الماء في الحمديين واذا البحار سحرت سحرت
 النور أوقدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم
 فهلكوا فيه إلى الأبد وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه بمعنى أمر
 وأوجب وفرض وفي القراءة الاخرى ووصى ربك أن لا تعبدوا الا
 اياه فجعل معناه انه قدر وشاء أن لا تعبدوا الا اياه وما قدره فهو كأن
 فجعل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ما عبد غير الله قط وهذا من
 أظهر القرية على الله وعلى كته به وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله
 في غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
 ميّن وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم واقعد أضل منكم جيلا كثيرا
 أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال يا صاحبي السجن
 أ أرباب متفرقون خير أم الله اواحد القهار ما تعبدون من دونه الا
 أسماء سميتوها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا
 لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس
 لا يعلمون وقال تعالى وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فأتوا علي قوم
 يعكفون علي أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آله قال
 انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال
 أغير الله أبنيكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ
 قال لا يبيّه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ياأبت
 اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ياأبت لا تعبد
 الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت اني أخاف أن يمسك عذاب
 من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم
 لئن لم تنته لأرجنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي انه
 كان بي حفيّا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربّي عسى
 أن لا أكون بدعاء ربّي سقيّا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
 وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وفضلنا
 لهم لسان صدق عليا

فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهؤلاء

الملحدون يقولون ما عبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له
خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما
سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
لتكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هي لكل مفتر الى يوم القيامة أن يذله الله

والجهمية الذميمة كلهم مفترين كما قال الامام أحمد بن حنبل انما
يقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله
فان القائمين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن
يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد
وهوان الخالق متحد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئان
متباينان ثم أحد أحدهما بالآخر كما بقوله النصارى من اتحاد اللاهوت
مع الناسوت وهذا انما يقال في شيء معين وهؤلاء عندهم ما هم وجود
لغيره حتى يتحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون
ما هم غير ولا سوى ويقول السبينية ليس الا الله بدل قول المسلمين
لا اله الا الله ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لا يرون هـ اذا فاذا كان ما هم
غير ولا سوى فن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب
وعما حجب فقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا
بمحجوبين وأما انكشف هؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم منتم انسان ولا وجودان كما حدثني الثقة انه قال لاتماساني فعلى قولكم لافرق بين امرأة الرجل وأمه وبنته قال نعم الجميع عندنا - واه لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فقليل لهم فمن المخاطب له محجوبين أهوهم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم منتم غير وهؤلاء انتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أى يعنى واحد كلى وهذا الكلى لا يكون كليا الا في الذهن لاني الخارج فضئوا هذا الكلى ثابتا في الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلى مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلى فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه فحيوانية الحيوان وانسانية الانسان - واه قدرت معينة أو مطلقة هي صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن العيان على رأى من أثبت المثل الانلاطونية فنثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات ويدعى انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذى جعله مجردا هو مجرد في الذهن وليس في الخارج كلى مجرد واذا قدر نبوت كلى مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحدثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لا يكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال فلا يوصف بأنه حي عالم قدبر اذ ليس وصنه بذلك باولى من

وصفه بأنه عاجز جاهل ميت والخالق لا بد أن يكون حيا عابدا قديرا
 سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو
 الخالق فهذا غير الاعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما
 غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق
 ولا يمكن جرد وجود الاعيان المعبودة ولكن الواحد من هؤلاء قد
 تغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه فيظن ان ما لم يشهده
 قد عدم في نفسه وفي وليس كذلك فان ما عدم وفي شهوده له وعلمه
 به ونظره اليه فالمعدم الفاني صفة هذا الشخص والا فالموجودات
 في نفسها باقية على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس علما بالمعدم وعدم
 المشهود ليس شهودا للمعدم ولكن هذه الحال يعترى كثيرا من السالكين
 يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا
 فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لانها في نفسها
 ثابتة ومن قال فني ما لم يكن وفي ما لم يزل فالتحقيق اذا كان صادقا انه
 فني شهوده لما لم يكن وفي شهوده لم يزل لان ما لم يكن فني في نفسه
 فانه باق موجود واكن يتوهمون اذا لم يشهدوه انه قد عدم في نفسه
 ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر
 الله حتى يقلب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى له
 مذكور مشهود لقلبه الا الله ويفني ذكره وشهوده لما سواه
 فيتوهم أن الاشياء قد فويت وان نفسه فثبت حتى يتوهم انه هو الله
 وان الوجود هو الله

ومن هذا الباب غاط أبو يزيد ونحوه حيث قال ما في الجية الا الله
وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالغناء عن ثلاثة أمور
أحدها أنه يعني بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبمحبته وطاعته وخشيته
ورجائه والتوكل عليه عن محبة ما سواه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل
عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب
وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله فقد فني من قلبه التثنية لغير الله وفي
في قلبه تاله الله وحده وفي من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل
على غير الله وبقي في قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهذا
الفناء يجامع البقاء فيحلى القلب عن عبادة غير الله مع نجلى القلب بعبادة
الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم لم لرجل قل أسأمت لله وتخلت وهو
تحقيق شهادة أن لا اله الا الله باننى مع الاثبات نفي الهية غيره مع اثبات
الهية وحده فانه ليس في الوجود اله الا الله ليس فيه معبود يستحق
العبادة الا الله فيجب أن يكون هذا ثابتا في القلب فلا يكون في القلب من
ياله القلب ويعبده الا الله وحده ويخرج من القلب كل تاله امير الله ويثبت
فيه تاله الله وحده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله
مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالى عن
الخليل عليه السلام واذا قال ابراهيم لابييه وقومه اننى براء مما تعبدون
الا الذى فطرني فانه سميع عليم وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
وقال أفرايم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدمون فانهم عدوى
الارب العالمين

وقال تعالي قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا اقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض ما خاطبته من شيوخ هؤلاء قول الخليل اني برآء مما تعبدون ممن تبرأ الخليل تبرأ من الله تعالي وعندكم ما عبد غير الله قط والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالي قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الاقول ابراهيم لايه لا استغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقد قال صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وهذا تصديق قوله تعالي ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالي فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ما أريد به وجهه وقد قال سبحانه ولا يصدك عن آيات الله بما أنزل اليك

وادع المربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر والاله هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد الاله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والجمال بمعنى المراكب والمحمول وكان الصحابة يرمجون في حفر الخندق يقولون

هذا الجمال لاجمال خبير * هذا أبر ربنا وأظهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذى يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى لابراهيم انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين فعهد بالامامة لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتم به فى ظلمه ولا يركن اليه كما قال تعالى ولا تركزوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمن اتم بمن لا يصلح للامامة فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله الها آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقد غلط) طائفة من أهل الكلام فظنوا ان الاله بمعنى الفاعل وجعلوا الألية هى التمرد والربوبية فالاله هو القادر وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون * فالذين يقولون بوحدة الوجود منازعون فى أمور لكن امامهم ابن عربى يقول الاعيان ثابتة فى العدم ووجود الحق قاض عليها فلهذا قال فنحن جعلناه بمألوهيتنا الها فزعم ان المخلوقات اجعلت الرب الها لها حيث كانوا مألوهين ومعنى مألوهين عندهم مربوبين وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة فى العدم وفى كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يخصي فتعالى الله عما يقين - ظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شيء والمعدوم ليس بشيء في الخارج
ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره ويجريه فيكون
سببا في العلم والذكر والكتاب لافي الخارج كما قال انما أمره اذا أراد
شيئا أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو
الذي خلق خلق الانسان من علق وهو الاكرم الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم ولو قدر أن الاله بمنى الرب فهو الذي جعل الرب
مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله
ربا بل ربوبيته صفة وهو الذي خلق الربوب وجعله مربوبا وهو اذا
آم بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبلغ ربا
سوى الله ولم يتخذ ربا - واه كما قال تعالى قل أغير الله أنبي ربا وهو
رب كل شيء وقال تعالى أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض
وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي أمركم
بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله
غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ
الها غيره قال تعالى فلا تجعل مع الله الها آخر فتكون من المذمومين وقال
تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر فتعبد مذموما مخذولا وقال ابراهيم
لابيه آزر أتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين فالمحبوب
ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذها الها وجعله الها وسماه الها وذلك كله
باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يقضى وغير الله
لا يصلح أن يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه
لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجبد منه الخبد ومن دعا من
لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من
سوى الله امانه لا يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فان
غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون منقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل
قد يكون له شفاعة اذ كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن
لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن
للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح
من سواه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله
الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

(فصل) وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم
للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال
بمساجد به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدى بين الأدلة العقلية
ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بمقولهم وهؤلاء المنفلسفة
يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدالاته وأما خاطب خطابا جمهوريا
ليصلح به العامة فيتقدوا في الرب وانما اعتقادهم فمهم وان كان كذبا

وباطلا وحقبة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما تخبر به لكن كذبا
 للمصلحة فامتنع ان يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن اخبارهم مطابقة
 لما يخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا به والمتكلمون
 الذين يقولون انهم لا يخبرون الا بصديق ولكن يسلكون في العقليات
 غير طريقهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على لادلة العقلية
 فكيف هؤلاء الملاحدة المغترين ولهذا لا يثبتون بالقرآن ولا تفسيره
 ولا بالحديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شيئا فلاجل تعلق
 الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره لا لاعتقادهم موجه في الباطن وهذا
 بخلاف طوائف الملكنة فانهم يظنون القرآن في الجملة وتفسيره مع
 ما فهم من البدع ولهذا لما استولى ائتار على بغداد وكان الطوسي
 منجما هولاء كوا استولى على كتب الناس الوقف والملا فكان كتب
 الاسلام مثل التفسير والحديث والفقهاء والرقائق يهدمها وأخذ كتب الطب
 والنجوم والفاسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة وكان بعض
 من أعرفه قارئا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية
 سخريه حتى يستخدم الجن وكان بعض الشياطين التي اليه ان هؤلاء
 يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يا فلان عن قليل
 يرى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبي والرياض
 والالهى ثم يرضيه فيقول والعربية أيضا والعربية انما احتاج المسلمون
 اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا عرض عن الاصل كان أهل العربية
 بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع في الاسلام بعد مقتل سيدنا
 عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق على ومعاوية على التحكيم أنكرت
 الخوارج ، قالوا لاحكم الا لله وارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن
 عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس
 واحتلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كلنا قتله فقاتلهم علي وأصل
 مذهبهم تعظيم القرآن وطلب أتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة
 فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها يخالف القرآن كالرجم ونصاب
 السرقة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه والله قد أنزل
 عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبي أن يكون ظالما فلم ينفذوا
 لحكم النبي ولا لحكم الأئمة بعده بل قالوا ان عثمان وعلي ومن والاهما
 قد حكموا بغير ما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون
 فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفبرهم وتكفبر سائر أهل البدع
 مبني على مقدمتين باطلتين احدهما ان هذا يخالف القرآن والثانية ان
 من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئا أو مذنبا معتقدا للوجوب
 والتحريم

وبازاتهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل
 شيء وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ما جاءت به الرسل فلا يمرجون
 لاعلى القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوما وانتهي
 الامر الى الاثام بامام معدوم لاحقيقة له فكانوا أضل من الخوارج فان
 أولئك يرجعون الي القرآن وهو حق وان غلطوا فيه وهؤلاء لا يرجعون

الى شئ بل الى ممدوم لاحقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض
الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ولهذا كانوا
أكذب الطوائف والحوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث
الشيعة من أكذب الحديث ولكن الحوارج دينهم المعظم مفارقة
جماعة المسلمين واستحلال دماهم وأموالهم والشيعة تختار هذا لكنهم
عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لا نقل
الا تحت راية امام معصوم والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة
والباطنية وغيرهم ولهذا وصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا في
البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم
كانوا يستترون بالتشيع أو صوابا يدخل على المسلمين من باب التشيع
فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب
والمنافيين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا
في مواضع

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين
كتاب الله فحضر على كتاب الله ثم قال وعترتى أهل بيتى أذكر كم الله
في أهل بيتى ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون
اليهم فانحلت الحوارج كتاب الله وانحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير
متبع لما انحله فان الحوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها
وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بمواليتهم ولهذا ناول سعد بن أبى
وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد

الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وصاروا يتتبعون للمتشابه من القرآن فيتأولونه غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة للجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل البيت فكثيرة جدا قد بسطت في مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية فكانت الخوارج تتكلم في حكم الله الشرعي أمره ونهيه وما يتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهي مسائل الاسماء والاحكام وسموا محكمة لخواصهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لاحكم الله قالوا هو محكم أي خائض في حكم الله نخاض أولئك في شرع الله بالباطل وأما القدرية نخاضوا في قدره بالباطل وأصل ضلالهم ظنهم أن القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يعطون الشرع والامر والنهي والوعد والوعيد واتباع ما يحبه الله ويرضاه وهجر ما يفضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الخوارج ما أمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبين حزبيا يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه أو ينفي بعضه وحزبا يغلب القدر فينفي الشرع في الباطن أو ينفي حقيقته

ويقول لافرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الامر الجميع سواء وكذلك أولياؤه واعدائؤه وكذلك ما ذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة بأمر بهذا ونهى عن مثله فوجدوا الفرق والفصل الذي بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجمع وأنكروا أن يكون الله على كل شيء قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شيء وأن يكون ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعلا لما يشاء وأثبتوا الغير الله الاقتراد بالاحداث وشركاء خلقوا تخلفه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لا يمكن الايمان بأمره ونهيه الا مع تعجيزه أو تجهيله وانه لا يمكن أن يوصف بالاحسان والكرم ان لم يجعل حاجزا والالزم أن يكون بخيلا كما أن القدرية المجبرة قالوا لا يمكن أن يجعل طالما قادرا الا بتسفه ونجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيبته أو قدرته ومشيبته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس في الاشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لو شاء الله ما أشركنا الآية وهؤلاء منتهى توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيد الربوبية فاما توحيد الالهية المتضمن للامر والنهي ولكون الله يجب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه فهم ينكرونه ولهذا هم أكثر انبساطا لاهوائهم وأكثر شركا

ونجوزا من المعترلة ومنتهى متكلمهم وعبادهم نجوز عباداة الاصنام
وان العارف لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما ذكر ذلك
صاحب منازل السائرين وأما عبادة الاصنام فباح بها متأخروهم كالرازي
صنف فيها مصنفوا ابن عربي وابن سبعين وأما لما بصر حون بجواز
عبادتها وبالانكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك فالقدري
أصلهم انه لا يمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادراً لفعل عين
ما فعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا يثبت حكمته كما يثبت
حكمه لان نفي ذلك يوجب السفه والظلم وهو منزّه عنه بخلاف ما لم يقدر
عليه فانه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقال المجبرة بل قدرته ثابتة
بلا حكمة ولا يجوز أن يفعل الحكمة لان ذلك انما يكون لمن يحتاج الى
الفعل وهو منزّه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم بل كل ما يمكن فعله فهو
عدل وليس في الافعال ما هو حسن ينهى الامر به وقبيح ينهى النهي
عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شئ وينهى عن كل شئ
ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكليّة وأنكر النبوات مع أنه
مضطر الى أن يأمر بشئ وينهى عن شئ فان هذا لازم لجميع الخلق
لا يجدون عنه محبصاً لكن من اتبع الانبياء بأمر بما ينفعه وينفع غيره
وينهى عما يضره ويضر غيره ومن خالف الانبياء فلا بد أن يأمر بما
يضر وينهى عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان
منهم مقرأ بالنبوة فأنكر الشرع في الباطن وقال العارف لا يستحسن
حسنة ولا يستقبح سيئة فصار منافقاً يظهر خلاف ما يبطن ويقول

الشرع لاجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سمو الملاحدة باطنية
فان كلاهما يبطن خلاف ما يظهر بيطون تعطيل ما جاء به الرسول من
الامر والنهي

فتمتھی الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما منافقون
فيبطنون الشرك ولهذا يظنون بالله ظن السوء وانه لا ينصر محمداً واتباعه
كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين
بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم
وساءت مصير اوهم به فقلون بقوله لا يبطل عما يفعل وانه يفعل ما يشاء
ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر في عبادهم وعلماهم
من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الاسلام اما باطنياً
وظاهراً واما باطنياً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا
يحتجون لمن هو معظم للرسول عما يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من
الشرك والخروج عن الشريعة والالقاء المشركين وأهل الكتاب والدخول
في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتهم شياطينهم
بما يخيلون لهم انه مكتوب من نور وان الرسول أمر بقتال المسلمين
مع الكفار لكون المسلمين قد عصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل
الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين برجال التيب وان لهم خوارج
يقنضى أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب حزب
يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس ونبت ذلك عن عاينهم أو
حدته الثقة بما رأوه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وحزب عرفوهم ورجعوا الى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً
الى الله غير طريقة الانبياء وحزب ما، كنهم أن يجعلوا أولياء الله خارجاً
عن دائرة الرسول فقالوا يكون الرسول هو ممددا للباطن لهؤلاء وهؤلاء
فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه والذين تباهم بجوزون
لاتباع دين غير دينه وطريق غير طريقه

وكانت هذه الافوال الثلاثة بدمشق لما فتحت مكة ثم تبين بعد
ذلك ان هؤلاء من اتباع الشياطين وان رجل الغيب هم الجن وان
الذين مع الكفار شياطين وان من وافقهم من الانس فهو من جنهم
شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء كما قال تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف
القول غروراً

وكان سبب الضلال عدم الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء
الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسمون بين المخلوقات فلا يفرقون
بين المحبوب والمسخوط ثم أنه بعد ذلك جرت أمور بطول وصفها
ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخرى فظهر أن
اليونانية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفاراً مع الكفار

وحضر عندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الاسلام وحدثني
بفصول كثيرة فقلت له لما ذكر لي احتجاجهم بما جاءهم من أمر
الرسول فهب ان المسلمين كاهل بغداد كانوا قد عصوا وكان في بغداد
بضعة عشر بنى فالحيش الكفار المشركون الذين جاؤا كانوا شرأ من

هؤلاء فان هؤلاء كن يزني اختياراً فأخذ أولئك المشركون عثرات
 ألوف من حرائر المسلمين وسرارهم بغير اختيارهم ووردوهم عن الاسلام
 الي الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصنام ودين الصاري وتعظيم
 الصليب حتى بقي المسلمون مهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع
 نضاعيف ما كان يفعل من المعاصي فهل يأمر محمد صلي الله عليه وسلم
 بهذا ويرضى بهذا فتبين له وقال لا والله وأخبرني عن ردة من ارتد
 من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة
 في الباطن وتعذبهم ان لم يرتدوا

فقال كل هذا اضمف ايمانهم وتوحيدهم ولمادة التي يشهدونها
 من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين
 وهذا وأمثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين بل أنهم رجال من رجال
 الغيب الانس وكلهم الله بنصريف الامر

فبينت لهم ان رجال لغيب هم الجن كما قال تعالي وأنه كان رجال
 من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ومن ظن أنهم من
 انس فمن جهله وغلظه فان الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون انما
 يحتجب الانس أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الانس بخلاف
 الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وكان غير
 هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هو لا كو
 ملك المشركين لما دخل بغداد رأي ابن السكران شيخاً مخلوق الرأس
 على صورة شيخ من مشايخ الدين والطريق آخذاً بفرس هو لا كو قال

فلما رأته أنكرت هذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين
 يقول فرس ملك المشركين لقتل المسلمين فقلت يا هذا أو كلمة نحو هذا
 فقال تأمر بأمر أو قال له هل يفعل هذا بأمر أو فعات هذا بأمر فقلت
 نعم بأمر فسكت ابن السكران وأتبعه هذا الجواب وكان هذا لقلة علمه
 بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما يؤمر به الشيوخ
 في قلوبهم هو من الله وان من قال حديثي قلبي عن ربي فان الله هو
 يناجيه ومن قال أخذتم علمكم متاعن ميت وأخذنا علمنا عن الحي
 الذي لا يموت هو كذلك وهذا أضل من ادعى الاستفتاء عن الانبياء
 وانه لا يحتاج الي واسطتهم

وجواب هذا أن يقال له بأمر من تأمر فان قال بأمر الله قيل بأمر
 الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم بأمر وقع في قلبك فان
 قال بالاول ظهر كذبه فانه ليس فيما بأمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار
 المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبهم وأخذ أموالهم لاجل
 ذنوب فعلوها ويجعل الدار تبعدهم الاوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويقتل
 قراء القرآن وأهل العلم بالسرع ويعظم النجسية علماء المشركين وقساقسة
 النصارى وأمثال ذلك فان هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم
 وهو من جنس مشركي العرب الذين قاتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من
 عصاة أمته وان كان فيهم منافقون كثيرون فالمنافقون يبطنون نفاقهم وان
 قال بأمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحمتي ولم
 لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا وقد علمت أن ما يقع في قلوب

المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان فان رجيع الى توحيد الربوبية
وان الجميع بمشيئته قيل له فحينئذ يكون ما يفعله الشيطان والمشركون وأهل
الكتاب هو بالامر ولا ريب انه بالامر الكوني القدرى فجميع الخلق
داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الامر لا بامر الرسول فانما
يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله في
الدنيا والآخرة وهو طابذ لغير الله متبع لهواه وهو ممن قال الله فيه
لاملان جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين ومن قال فيهم الشيطان
فبمزتلك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس
له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عابها آباءنا والله امرنا
بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون فكيف
تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على
المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لا يأمر الله به كما لا يأمر بالفحشاء
فان هذا من أخس الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل ما يعظم
قبحه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة في الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ يعلبك الشيخ عثمان شيخ
دير ناعس يأتيه خفير الفرنج التصاري راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه
ويقول يا شيخ عثمان وكنت بحفظ خنازيرهم فيعذره عثمان وأتباعه في

ذلك ويرون ان الله أمره بهذا كما أمر الحضرة أن يفعل ما فعل كما عذر
ابن السكران وأمثاله لحقراء المشركين التثار

والجواب لهذا كالجواب لذلك يقال له وكلك الله تعالى بهذا أنزل
علي لسان نبيه الدين أمر أن يوالي المسلمين وأن لا يتخذ اليهود وانتصاري
أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن
تتوكل بحفظ خنازيرهم فان قال هذا ظهر كذبه ون قال بل هو أمر
التي في قلبي لم يكذب وقيل له فهذا من أمر الشيطان لامن أمر الرحمن
الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسوله ولكنه من الامر الذي كونه وقدره
كشرك المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من بظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين
وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة
الموكلة بيني آدم المعبودات

فقات اشبه كان من شيوخهم محمد أرسل الى التقيين الانس والجن
ولم يرسل الي الملائكة فكل انسى أو جفى خرج عن الايمان به فهو
عدو لله لاولى لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لا يعاونون الكفار على المعاصي ولا على قتال
المسلمين وانما يعاونوهم على ذلك الشياطين ولكن الملائكة قد تكون
موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان ذلك ليس بمصيبة فهذا الجواب
بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لامن جنس الملائكة وكان

هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدي
نسبة الى شيطان كان يقربه يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من
الانس من رجاء الغيب

وحدثني الثقة عنه انه كان يقول الانبياء ضيعوا الطريق ولعمري
لقد ضيعوا طريق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ لذين
يحبون المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم
خفراء الكفار و يظنون أنهم من اولياء الله اشتركوا هم وهم في أصل
ضلالة وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات
الرحمانية ولم يفرقوا بين اولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يمش عن
ذكر الرحمن نقبض له شيطانا فهو له قرين فهو هؤلاء وهؤلاء عشوا عن
ذكر الرحمن الذي أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذي أوحاه
الله الى نبيه الذي جعله الله نورا يهدي به من يشاء من عباده وبه يحصل
الفرق بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء
ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية
المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجملون الله بحب ما أمر
به ويفض ما نهى عنه بل يجعلون كل ما قدره وقضاه فانه يحبه ويرضاه
فتبقي جميع الامور عندهم سواء وانما يتميز بنوع من الخوارق فمن كان
له خارق جعلوه من اولياء الله وخضعوا له اما اتباعا له واما وافقة له
ومحبة واما ان يساموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم
يبق فيها من الايمان ما يعرفون به المعروف وينكرون به المنكر في هذا

الموضع

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضف الايمان وفي رواية لمسلم من جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وميت الاحياء الذين لا يعرفون . مروفا ولا ينكرون منكراً وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم ان الفتنة تعرض على القلوب كعرض الصبر عودا عودا فايما قلب أنكرها نكنت فيه نكنة بيضاء وأبما قلب أشربها نكنت فيه نكنة سوداء حتى تبقى القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة مادامت السماء والارض وقلب أسود مر باد لا يعرف . مروفا ولا ينكر منكراً الا ما أشرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بأرائهم وذوقهم ووجدتهم لا بالامر والنهي منهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لاسيما اذا كانت حقيقتهم هي قول الجهمية المجبرة فرأوا أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة ولم يميز بعضها عن بعض فان الله يحب هذا ويرضاه وهذا يفضه وبسخطه فان الله يحب المعروف ويفض المنكر فاذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سود سود قلوبهم فيكون المعروف ما هوونه ويحبونه ويمجدونه ويذوقونه ويكون المنكر ما هوون بفضه وتفر عنه قلوبهم كالمشركين الذين كانوا عن

التذكرة . معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الأسد ولهذا يوصفون بأنهم إذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ إبراهيم بن عاصد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونانية والاحمدية يا خنازير يا أبناء الخنازير ما أرى لله ورسوله عندكم راحة بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفا منشرة كل منهم يريد أن يحدّثه آله عن ربه فيأخذ عن الله بلا واسطة الرسول وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين للرسول ومنهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له . موضع آخر

والمقصود هنا ان القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ما عندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الامر والنافية تنفي القدرة العاوة والمشيئة التامة وتزعم انها تثبت

الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما نافلا للحكمة والعدل والمشية والقدرة كما قد بسط في مواضع وأولئك يعلقون بقوله لا يسأل عما يفعل والله يفعل ما يشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرة لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه ان يفعل ما يشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضه اذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل ما يشاء بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فان الله لا يكره له ولكن يعزم المسئلة وذلك انه انما يقال افعل كذا ان شئت ان قد يفعله مكرها فيفعل مالا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لا يكره له الا يفعل الا ما يشاء فقوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء ويفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على ما يشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ كل ما كان بل لا يشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الآيات التي تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي تحتج بها النفاة التي تدل على أنه حكم عادل لا يظلم. يقال ذرة وأنه لم يخلق الخلق عبنا ونحو ذلك يدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه ما يدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ما تحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذي نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يمارون في القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكانما فقي في وجهه حب الرمان فقال أهبذا أمرتم أم الى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد في بعض مناظراته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض أنا قد نرى عن هذا

فمن دفع نصوصا يحتاج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتاج
صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حال أهل الأهواء هم مختلفون في الكتاب مخالفون لا الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الأقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا أنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زيرا كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوه فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه ما أخبر به وما أمر به * وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هي الاصول العقلية كالقدريية المجبرة

والنفاة فكلاهما يجمل ما أحسنوه من الكلام في الاصول وهو الذي
يسمونه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع فالمعتزلة يجعلون
العقليات هي الخبريات والامرئيات جميعا قالوا اجبات الشرع لكن يقولون
أيضا ان الشرع أوجبها ولكن لهم فيها تحايط ليس هذا موضعه
وكذلك ما ابتدعوه في الخبريات كانبات حدوث العالم بطريقه الاعراض
واستلزامها للاجسام وهم ينفون الصفات والقدر و يسمون ذلك
التوحيد والمدل

وجههم بنصفوان وأتباعه هم أعظم نفيا منهم فانهم ينفون الاسماء
مع الصفات وهم رؤس المجبرة والاشعرية وافقهم في الجبر لكن
تأزعوهم نزاعا لطيفا في انبات الكسب والقدرة عليه وهم يرون أن
هذه الاصول العقلية وهي العلم بما يجب للرب ويمتدح عليه وما يجوز عليه
من الافعال هي أعظم العلوم وأشرفها وانهم برزوا بها على الصحابة وان
النبي لم يعلمها الصحابة اما لكونه وكلها الى استنباط الامنة واما لكون
الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد واما لكونه قال لهم في ذلك ما لم
يباغوه ولم يشغلهم بالادلة لا تتفاهم بالجهاد

وهذه هي الاصول العقلية التي يعتمدون عليها هم ومن يوفقهم
كأقاضي أبي يعنى وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي تبعا للأقاضي أبي بكر
وأمثاله وهو وأتباعه يناقضون عبد الحيار وأمثاله كما ناقض الاشعري
وأمثاله أباعلى وأبا القاسم

وكل الاصول العقلية التي ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة في العقل

والشرع وان كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها أعظم الدين
ويقدمونها على الأصول الشرعية فانهم في ذلك بمنزلة ما بعظمه العباد
والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية ويفضلونها على
العبادات الشرعية والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك
كلها باطلة وان كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا نهاية
الصوفي ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء المولى وكذلك صاحب منازل
الساثرين يذكر في كل باب ثلاث درجات فالاولى وهي أهونها عندهم
توافق الشرع في الظاهر والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق والثالثة
في الاغلب تخالف لاسيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا
الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد
يفضل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد

لله رب العالمين

(تمت الرسالة الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية)

(ويلها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ لامام العالم تقي الدين أوحى المجتهدين أحمد بن تيمية
 قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق متأخراً
 الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
 أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا
 هادي له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً
 عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين
 أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله) فان هذا الاصل هو أصل
 أصول العلم والايان وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الاصل كان أولى
 بالحق علماً وعملاً ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملاً كالقرامطة
 والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية
 والكلية وإنما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون
 خاصة النبوة هي التخيبيل ويجمعون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور
 لا عند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل بشر بن
 فاتك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يمتدحون بأن الرسول علم
 الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخيبيل فيجعلون
 التخيبيل في خطابه لاني علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون
 يمتدحون بأن الرسل علموا الحق وبنوه لكن يقولون لا يمكن معرفته
 من كلامهم بل يعرف بطريق آخر اما المعقول عند طائفة واما المكاشفة
 عند طائفة اما قياس فلاسي واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يعوض واما أن يؤول
وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار
الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل
والكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه
طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق
بين جحود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة
السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق
ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة لتأويلين خيار الفلاسفة وهم
الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا
في نظير ما فر وامنه نسبه الى التلبيس والتعمية واضلال الحق بل
الى أن يظهر الاطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات
الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخييل وقال انه
خطاب الجمهور بما يخزن اليهم مع علمه أن الحق في نفس الامر ليس
كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق
ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من
هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم
بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم ولايمان فتنفقون على أن
الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بأنهم أعلم الخلق بالحق
فهم الصادقون المصدقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا
للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ما عملوا

من الحُرِّ والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصاحبة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لا يفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافلكل منهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون لا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكنوا عن بيانه لكان أقل الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعارض التي يعنى بها انتكلم بمعنى صحيحاً لكن لا يفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أقل الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذبا في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهى معارض لقلوبه عن سارة لهما أختى اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهى (١) وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء بما أخبروا به عن الغيب كذب من المعارض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

(١) ذكر احدى الثلاث والثانية قوله انى سقيم والثالثة قوله بل فعلمه كبيرهم هذا

دون التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم ما يدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

وبين ان أصول الدين الحق الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهي الأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الإلهية ويهاجمون أنبات ربوبية الله ووحدايته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وان كان لا يحتاج إليها كثيراً من الأمور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الأدلة العقلية الدالة عليها بجمع بين الطريقين السمي والعقلي

وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلائل الحقائق وهداياهم إلى الآيات والبراهين والأدلة المينة لأصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا إذا صنفوا في أصول الدين أحزاباً

حزب يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل
وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الي ما هو
الاصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام
وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثاني عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو متلزم مخالفة
الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى
في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمة فصنفوا
كتباً قدموا فيها ما يدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من
القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخالطون
الآثار صحيحةا بضميفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً
فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالاته فلا
يذكرون ما فيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد
وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم أصول
السنة والشرعية ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج
أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبواهم إلى الجهل اذ لم
يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك
إلى البدعة بل إلى الكفر لكونهم أصولاً أصولاً يخالف ما قاله الرسول
والطائفتان يلحقهما الملام لكونهما عرضتا عن الاصول التي بينها الله
بكتابه فانها أصول الدين وأدله وآياته فلما عرض عنها الطائفتان وقع
بينهم العداوة كما قال الله تعالي ففسدوا حقاً مما ذكرنا به فاضربنا بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

وحزب ثالث قد عرف تفریط هؤلاء وتمدى أولئك وبدعتهم فذمهم
وذم طالب العلم الذكى الذى اشقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج
عن التقايد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها
ونحو ذلك بما يقتضى ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على امر مجمل
لا تبين دلالة على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه
بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التى ذكرها الله فى القرآن التى تبين ان ما جاء
به الرسول حق ويخرج الذكى بمعرفة عن التقليد وعن الضلال والبدعة
والجهل فهؤلاء أضل بفرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات
الله التى بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة قال
الله تعالى وكم من آية فى السموات والارض يمسرون عليها وهم عنها
معرضون وقال تعالى وما أتى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون
وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالالباب
وقال تعالى ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى
وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون بالبينات والزبر الآية وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسلى من
قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلىهم
بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير بسطه مواضع آخر

والمقصود ان هؤلاء الغاطلين الذين أعرضوا عما في القرآن من
الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لا يذكرون النظر والدليل والعلم الذي
جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك وامتلكون بعترفون بأن في
القرآن من الأدلة العقلية الدالة على أصول الدين ما فيه لكنهم يسلكون
طرقاً أخرى كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غلط
والمتفلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطائية والمقدمات
الاقناعية التي تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية
ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني وهم أبعد عن البرهان في الالهيات
من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالهيات
والكليات ولكن للمتفلسفة في الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به
بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق
فيها وكلام ارسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم وجل غث
على رأس جبل وعمر لا سهل فبرئقي ولا سبين فبقي وهذا مبسوط
في غير هذا الموضع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات لينات وهي الدلائل
اليقينية وقد قال الله تعالى لرسوله أذع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم
المنطقية في البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت
في غير هذا الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقلوب

التي طافهم وقصدت دعوى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به
 وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه
 فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب والترهيب
 من الباطل والوعظ أمر ونهى بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو أنهم
 فعلوا ما يوعظون به وقال تعالى بعظمتكم الله أن تعودوا لمثله أبدا فالدعوة
 بهذين الطريقتين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فإنه يجادل بانتي هي أحسن
 والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا إذا جادل يسأل ويستفهم عن
 المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب
 بالحق ولا اعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله أم خلقوا من غير شيء أم
 هم الخالقون وقوله أفعمينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
 وقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم
 وقوله أنحسب الانسان أن يترك سدى ألميك نطفة من منى يعني نعم كان
 عاقبة نخلق فسوي فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك
 بقادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن
 الخالقون وقوله وقالوا لو لاياتنا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف
 الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقوله أولم
 يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألمنجعل له عينين ولسانا
 وشفنين وهدينا للنجدين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير
 المضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب
 فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يعلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية
والقرآن لا يحتاج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة
الجدلية عند أهل المتطوق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها
الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدلائل
على صحتها كقوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من
شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
تجملونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب
ومع من كرها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع
وعلى قراءة من قرأ يبدونها كابن كثير وأبي عمر وجعلوا قوله وعلمتم ما لم
تعلموا والاحتجاج على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى
وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ما قرر بين بعضه في غير
موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله
علمتم ما لم تعلموا بيان لما جاءت به الانبياء ما أنكروه فعلمهم الانبياء ما لم
يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما صرفوه من أخبار الانبياء وما لم يعرفوه
وفدق سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي
هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم
فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم
بالاضطرار انها من الله وابتاعت عصاه الحبل والعصى التي أتى بها

السحرة بعد ان جاؤا بسحر عظيم وسحر واعين الناس واسترهبوا
 الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا آما رب العالمين
 رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمتهم به قبل أن آذن لكم انه
 لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف
 ولا صابنكم في جذوع النخل ولتعلمن آينا أشد عذابا وأبقى قالوا ان نؤثرك
 على ما جاءنا من البينات من الدلائل اليقينية القطعية وعلى الذي فطرنا
 وهو خالقنا وربنا الذي لا بد لنا منه لن نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية
 وعلى خالق البرية فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا آما
 ربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى
 وقد ذكر الله هذه القصة في عدة موضع من القرآن يبين في كل
 موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى
 الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه
 الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء
 النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفي
 ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس
 في لاسم الآخر وان كانت لذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك
 القرآن اذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور
 ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك
 أسماء الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
 الحبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الاسماء المنفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخرى وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفات متعددة ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الأخر

وليس في القرآن تكرار أصلا وأماما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلولم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض وأن يلقها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله مثاني لما قيل لم نيت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هي التويع والتجنيس وهي استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبندعون والملحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفى عابلا

ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات
اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي ليس
كمنه شيء ولا يحبطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي صرف
مثل معرفتي

✓ والخير والسعادة والكمال والصالح منحصر في نوعين في العلم
التافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى
ودين الحق كما قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار فذكر النوعين قال الوالي
عن ابن عباس يقول اولو القوة في العبادة قال ابن ابي حاتم وروى عن
سعيد بن جبيرة وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقناة
وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه في
الدين وقال مجاهد الابصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن جبيرة
قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراساني اولي الأيدي
والابصار قال اولو القوة في العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجاهد
وروى عن قناة قال أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين

✓ وجميع حكماء الامم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان
والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل
الصالح هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم
والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فإلم التافع هر الایمان والعمل
الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل
بأمر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد
الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثاني أن يشرك بالله ما لم ينزل به
سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وإيس كل مسلم مؤمنا قالت
الاصحاب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تهضل
هذين النوعين لكن الذي جاء به الرسول هو أفضل ما فهمما كما قال ان
هذا القرآن يهدي لاقى هي أقوم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر تارة سورة
الاحلاص وقل يا أيها الكافرون ففي قل يا أيها الكافرون عبادة الله
وحده وهو دين الاسلام وفي قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال
فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولى وذلك
هو التوحيد العلمى

وكان تارة يقرأ فهما في الاولى بقوله في البقرة قولوا آمنا
بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق
بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفي الثانية قل يا أهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
قال أبو العالية فى قوله فلنألهم أجمعين عما كانوا يعملون قال
خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجيبت المرسلين

فالأول تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والثاني تحقيق الشهادة بأن محمدا
رسول الله

والصوفية بنوا أمرهم على الإرادة ولا يبد منها لكن بشرط أن
تكون إرادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر للفتوى بالعلم ولا يبد منه لكن
بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الأدلة التي دل
بها الرسول هي آيات الله ولا يبد من هذا وهذا

ومن طلب علما بلا إرادة أو إرادة بلا علم فهو ضال ومن طلب
هذا وهذا بدون اتباع الرسول فهما فهو ضال بل كمن قال من السلف
الدين والإيمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الأعمال
الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد
يتكلمون في قصد الإنسان وإرادته وأهل النظر والكلام وأهل
العتقاد من أهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والمعرفة والتصديق
الذي هو أصل الإرادة ويقولون العبادة لا يبد فيها من القصد والقصد
لا يبد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلا يبد من معرفة
المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباهم لهم
عبادات وزهاديات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وإنما القصد والإرادة
لنافعة هو إرادة عبادة الله وحده وهو إنما يعبد بما شرع لا بالبدع
وعلى هذين الأصلين بدور دين الإسلام على أن يعبد الله وحده
وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن يعرف ما أخبر به الرسول ويعرف أن ما أخبر به حق أما لعلمنا
بأنه لا يقول إلا حقاً وهذا تصديق عام وأما لعلمنا بأن ذلك الخبر حق
بما أظهر الله من آيات صدقه فإنه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس
آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق

(فصل) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقهاء
فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فمأمر الله به أو نهى عنه أو
حلله أو حرمه إلا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم
دينكم وقال تعالى ما كان حدينا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك
الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى
كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله
لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم
ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا
فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه
الكتاب إلا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب
مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه
من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب وقال
تعالى وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون
قد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال وقد فصل لكم ما حرم

عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى
الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله او الى سنة الرسول بعد موته
وقوله فان تنازعتم شرط والفعل نكرة في سياق الشرط فاي شئ تنازعوا
فيه ردوه الى الله والرسول ولو لم يكن بيان الله والرسول فاصلا للزاع
لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما
ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمته الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم
الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وامر ازواج نبيه بذلك
ذلك فقال واذا كن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فآيات
الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على انه منزل من الله فهو
علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة
وقال أيضا طائفة كالك وغيره هي معرفة الدين والعمل به وقيل غير
ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المأمور والمحذور والحق
والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق
بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من
الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء
ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بهدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في
الحديث والآثار يذكرونه في الكتب التي يذكر فيها هذا الآثار كما يذكر
مثل ذلك غير واحد فيما يصنفونه في السنة مثل ابن بطوة واللالكائي والعليني
وقبلهم المصنفون في السنة كما صحاب احمد مثل عبد الله والترمذي وحرب

الكرمانى وغيرهم ومثل الخلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الامة فهو في نفسه حق لا يجتمع الامة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسوله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفه ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهى الامثال المضروبة ماينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق لنص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما أنزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق لا يجتمع الامة والله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك فى الكتاب والسنة فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك فى قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين فى قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الامة فى الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف فى ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الخيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنائز فأنشأ عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بجنائز فأنشأ عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت قال هذه الجنائز أنتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنائز أنتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أتم شهداء الله في الأرض

فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فإذا شهدوا إن الله أمر بشيء فقد أمر به وإذا شهدوا أن الله نهي عن شيء فقد نهي عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الأرض بل زكاهم الله في شهادتهم كما زكى الأنبياء فيما يبلغون عنه أنهم لا يقولون عليه إلا الحق وكذلك الأمة لا تشهد على الله إلا بالحق وقال تعالى واتبع سبيل من أناب إلى والامة منيية إلى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فرضى عنهم السابقين إلى يوم القيامة فدل على أن متابعتهم عامل بما رضى الله والله لا يرضى إلا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر من بعده سننا
 الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله ومعونة على دين
 الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع
 غير سبيل المؤمنين ولاة الله تعالى ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
 والشافعي رضى الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه
 الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن
 عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق
 للوعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى مستحق للوعيد
 ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرد فلو لم يكن الوصف
 الآخر يدخل في ذلك لكان لافائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثة أقوال قيل أتباع غير سبيل المؤمنين هو بمجرد
 مخالفة الرسول المذكورة في الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم
 فكذلك أتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل أتباع غير سبيل
 المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآية لكن هذا لا يقتضى مفارقة
 الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو في
 نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل
 المؤمنين وهذا كما في طاعة الله والرسول فان طاعة الله واجبة وطاعة
 الرسول واجبة وكل واحد من معصية الله ومعصية الرسول موجب
 للذم وهما متلازمان فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث
 الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله

ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى
أميري فقد عصاني وقال إنما الطاعة في المعروف يعني إذا أمر أميري
بالمعروف ونهية من طاعني وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فإن الرسول
يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل
ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد
عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لأن كل رسول
يصدق الآخر ويقول أنه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب
رسولا فقد كذب الذي صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته
ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا معاشر الانبياء ديننا واحد
وقل تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ولذي أوجيننا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون
عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم
بينهم فزرأكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى فاقم وجهك للدين
حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين البواقي وأقيموا الصلاة ولا
تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما
لديه فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير
موضع وهو الاسلام لله وحده وذلك إنما يكون بطاعته فيما أمر به

في ذلك اوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذلك واستقبال
 بيت المقدس كل من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة
 صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين
 الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا
 طاعة الله واتبعوا رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ
 وهكذا كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لا يتبع الا ديناً مبدلاً
 أو منسوخاً مبدلاً ما خالف ما جاء به الرسول ان يكون ذلك قد كان مشروعاً
 لني ثم نسخ على لسار محمد واما أن لا يكون شرعاً فهذا كالاديان التي
 شرعها الشياطين على السنة اولياهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم
 من الدين ما لم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحيون الى اولياهم
 ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل
 نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
 ضرورا ولو شئ ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة
 اذا قال أحدهم برأيه شيئاً يقول ان كان صواباً فمن الله وان كان خطأً
 فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ابن مسعود
 وروى عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول
 موافقاً لقول الرسول أولاً يكون واما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما
 أن لا يكون فهذا التل المبدل كالاديان المشركين والنجوس وما كان شرعاً
 لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت ونحر ريم كل ذي ظفر
 وشحم الثرب والكائتين فان اتخذ السبت عيداً ونحر ريم هذه الطيبات

قد كان شرعا فموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولا حبل لكم بعض
الذي حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما
في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذي يجذونه مكتوبا عندهم في
النوراة والأنجيل يأمرهم بالعرف وبنهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الجبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه
أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط
كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
أنه لا اله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن
كالسائبه والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر
الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على
الله وذكر تعالى ما حرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام
قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة
فقال أودما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيتهم وانا اسادقون
وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا مخصصنا عليك من قبل

فبين ان ما حرمه المشركون لم يجرمه على لسان موسى ولا لسان
محمد وهذان هما اللذان جا آ بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل
فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله
كتاب موسى املنا ورحمة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء
به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه
وقالت الحن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من عند موسى
مصدقا لما بين يديه بهدى الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة
ابن نوفل ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجنا من مشكاة واحدة
وكذلك قال النجاشي فالقرآن ولتوراة هما كتابان جا آمن عند الله لم
يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذي فيهما
دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته
وحده لا شريك له ففيه التوحيد قولا وعملا كما في سورتي الاحلاس
قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور
ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح
فانه قال ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات
وهو في الاكثر متبع اشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن أتبع المسيح
من ان يقرأ التوراة ويتبع ما فيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر
بل اشتمل على جميع ما في الكتب من الحسن وعلى زيادات كثيرة

لا توجد في الكتب فلماذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا
عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخه الله
فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن
فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم
المقرر والانبيا كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق
سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب
والمعصية لا يجوز أن يكذب نبي نبي بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق
بكل ما نزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته * ولهذا
كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي
ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك
سيلا أولئك هم الكافرون حقا * وقال تعالى أفئذ منون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة
الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما لله بغافل عما تعملون
ومن كذب هؤلاء تكذيبا يجنس الرسالة فقد صرح بأنه
يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل
إلهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغمرناهم
وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما
قدمنا بأن يزعم أنهم لم يعلموا الحق أو لم يدينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذا اغلال في اعنقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوايد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا-بحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقا وكثير من لا يكذب الرسل تكذيب صريحاً من الفلاسفة والباطنية وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضاهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أو انهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أو ان النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الف-مال من جنس ما يراه التام ولا يقر بملائكة منضلين ولا بالجر ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض بما أتوه دون بعض لا يقرون بجميع ما أتوه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهود والنصارى الذين أفروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذي أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وأكثراذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خلق السموات والارض في ستة أيام ويقرون بقيام القيامة ويقرون بأنه نجب عباده وحده لا شريك له ويقرون بالشرايع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وانما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين الى الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من التناقى بحسب ما فهم من الكفر والتناقى يتبعه الكفر يتبعه وبزيد وينقص كما ان الايمان يتبعه وبزيد وينقص قال الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر وقال واذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أياكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقال وايزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا * وقال وبزيد الله الذين هتدوا هدى * وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على أهل الكتاب الا ما يقولون انه يعلم بالعقل مثل تليث النصارى ومثل تكذيب محمد

ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة
 لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ما خالفوا به الانبياء ويذمهم على
 ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة
 والنبوة فاذا تبين ما خالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون
 لما أصلوا لهم ديننا بما أحدثوه من الكلام كالأستدلال بالأعراض على
 حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو أصول الدين ولو كان ما قالوه حقا
 لكان ذلك جزءا من الدين فكيف ان كان باطلا

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم مع
 مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ولهذا قيل فيهم
 الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح بخاطبتهم في مقامين
 أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطابهم في تكذيبهم من
 بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في
 قوله ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن
 مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلاما جاءكم رول بما لا تهوى
 أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل
 طبع الله عليها بكفرهم فقليل ما يؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من
 عند الله مصدق لما همم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
 جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الى أن ذكر انهم
 أصرضوا عن كتاب الله معانقا واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول

من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وزاء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا مآثر الشياطين على ملك سليمان إلى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبسوا منسجوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا وتقوا لماثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى نذهم على الغلو والشرك الذي ابتدئوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانة التي ابتدئوها ولا تحمدهم عليها إذ كانوا قد ابتدئوها وكل بدعة ضلالة لكن إذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعنى عنه فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذي يمدح صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فإن المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فإنه المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل أن اليهود قالوا له إن تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة إن جهنم طبقات فالعيا لعصاة هذه الأمة والتي تليها للنصارى والتي تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بأن المشركين واليهود يوجدون أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا أنا نصارى وشدة العداوة زيادة في الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وإن كان النصارى أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم إذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين ولعنوا وطردهوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فمعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ملامر به فيكون له اجر على اجتهاده وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما لاحاديث ضميقة ظنوها صحيحة واما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها واما لرأى رأوه وفي المسئلة نصوص لم تبلغهم واذا اتى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسيتنا أو اخطانا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذاه موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حتى فانها لا تجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حتى يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها علي الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما نولى

ومن الناس من يقول أنها لا تدل على مورد النزاع فإن الذم فيها لمن جمع
الأمرين وهذا لا نزاع فيه أو لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا
مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لا نزاع فيه أو أن سبيل المؤمنين
هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لا نزاع فيه فهذا ونحوه قول
من يقول لا تدل على محل النزاع وآخرون يقولون بل تدل على وجوب
اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا ذلك ما تكلفوه كما قد صرف من كلامهم ولم
يحيوا عن أسئلة أوائلك بأجوبة شافية

والقول الثالث الوسط أنها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين
وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاققة الرسول من بعد
ما تبين له الهدى وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم نكن
لا تنفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم إما
أن يكون لاحقا لمشاققة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو
أن يكون الذم لا يلحق بواحد منهما بل بهما إذا اجتمعا أو يلحق الذم
بكل منهما وإن انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر
والأولان باطلان لأنه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر
ضايفا لا فائدة فيه وكون الذم لا يلحق بواحد منهما باطلا قطعاً فإن
مشاققة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عن أتباعه ولحوق الذم
بكل منهما وإن انفرد عن الآخر لا تدل عليه الآية فإن الوعيد فيها إنما
هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو أن كلا من الوصفين يقتضي
الوعيد لأنه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

ومخالفة القرآن والاسلام فيقال من خالف القرآن والاسلام أو من
خرج عن القرآن والاسلام فهو من أهل النار ومثله قوله ومن يكفر
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان
الكافر بكل من هذه الاسول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر
بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ
كذب رسوله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب
والرسل فكان كافرا وكذلك قوله بأهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما
مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل
فقطاه به فقلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين أنه باطل اذ لو بينه
زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاققة الرسول واتباع غير سبيل
المؤمنين من شقاه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهرا ومن اتبع غير
سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على أنه
وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا
والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاققة الرسول قلنا
لانهم امتلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون، خصوصا
عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول
مخالف لله ولكن هذا يفرض ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا
هو الصواب

فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة في القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاسول يدل على الحق مع تلازمها فان ما دل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فمن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسألة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لاسيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان اصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يامر بما لم يامر به غيره قبل النبوة كما امر بما لم يامر به غيره بعد النبوة وكان اكثرها مضاربة مع ابي سفيان وغيره فلما جاء الاسلام امرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه يسافرون بما لم يامر به غيره مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقرارها فلما امرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما ارسل ابو موسى بما لم يامر به غيره لانيه وانجرافيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خسرهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المالك كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجبه له مضاربا

فجمع له مضاربة وانما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والمهد
 بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم على عهد
 الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والحجارة
 وعلى مذاق المسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها
 نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم
 وابن جرير وطائفة يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن
 الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لانشرط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل
 الاخبار لكن استقر أن موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير
 من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتاج بقياس وفيها
 اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون في المسئلة نص خاص وقد
 استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات
 الاحمال أجلهن أن يضمن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء
 القصري نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضمن
 حملهن يقتضى لتخصيص الاجل في ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بأبعد
 الاجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها وعلى ابن عباس وغيرها أدخلوها
 في عموم الآيتين وجاء النص الخاص في قصة سبيعة الالمية بما يوافق
 قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل
 أفق ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت

واشقي بما يوافق ذلك وقد خالفه على وزيد وغيرها فقالوا لامهر لها
 قُبت ان بعض المجتهدين قد يفتي بعموم أو قياس ويكون في الحادثة
 نص خاص لم يعلمه في واقفه ولا تعلم مسألة واحدة انفقوا على انه لانص
 فيها بل عامة متنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئك يحتجون
 بنص كالتوفي عنها الحامل وهو لاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرين
 قالوا انما يدخل في آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما
 ان آية القروء في غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا في الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم
 ما أحل الله لك تبني مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض
 الله لكم نحلة أيامكم

وكذلك لما تنازعوا في الميتوة هل لها نفقة أو سكنى احتج هؤلاء
 بحديث فاطمة وبن السكفي التي في القرآن للرجعية وأولئك قاوا بل هي
 لهما ودلالات النصوص قد تكون خفية تخص الله بفهمهم بعض
 الناس كما قال على الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه

وقد يكون النص بينا وبذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين
 في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال
 الحاضر مادري عبد الله ما يقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم في هذا
 لا وشك أحدهم اذا وجد المرء البردان يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة
 بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هي الرجعية بدليل قوله لا تدري
 لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأي أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأنموا الحج والعمرة
 لله واحتج بهذه الآية من منع النسخ وآخرون يقولون إنما أمر
 بالانتماء فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من
 فسخ العمرة الي غير حج فلم يتمها أما اذا فسخها ليحج من عامه فهذا
 قد أتى بما تم مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج
 ولو لم يكن هذا اتماما لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام
 حجة الوداع

وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء
 ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه

وأما مسألة مجردة افتقوا على أنه لا يستدل فيها بنص جلي ولا خفي
 فهذا ما لا أعرفه

والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما
 أخرج أبو بكر من الجنة وقال ابن عباس لو كانت الجن تظن ان الانس
 تسمى أباالاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا نقول انما هو أب لكن
 أب أبعد من أب

وقد روى عن علي وزيد أنهما احتجا بقياس فن ادعى اجماعهم
 على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعى ان من
 المسائل ما لم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان
 كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم فن رأى دلالة الكتاب ذكرها
 ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لا تناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو
ضعف أحدها على بعض العلماء.

والصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم
معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين
فإنهم شهدوا التنزيل وعينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله
وأحواله ما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين
لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من إجماع أو قياس
ومن قال من المتأخرين إن الإجماع مستند معظم الشريعة فقد
أخبر عن حاله فإنه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج إلى ذلك وهذا
كقولهم إن أكثر الحوادث يحتاج فيها إلى القياس لعدم دلالة النصوص
عليها وإنما هذا قول من لا معرفة له بالكتاب والسنة ودلالتهما على الأحكام
وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه إنه ما من مسألة إلا وقد تكلم
فيها الصحابة أو في نظيرها فإنه لما فتحت البلاد وانتشر الإسلام حدثت
جميع أجناس الأعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وإنما تكلم بعضهم
بالرأي في مسائل قليلة والإجماع لم يكن محتج به عامتهم ولا يحتاجون
إليه إذ هم أهل الإجماع فلا إجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر
إلى شريح أقض بما في كتاب الله فإن لم تجر فيما في سنة رسول الله فإن لم
تجد فيما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فيما أجمع عليه الناس وعمر
قال قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ما قال عمر
قدم الكتاب ثم السنة ثم الإجماع وكذلك ابن عباس كان يفتي بما في

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من
بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من
أشهر الصحابة لفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين
قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولاً في الاجماع فان وجده لم يلتفت الي غيره
وان وجد نصاً خالفاً اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبالغه وقال بعضهم
الاجماع نسخته

والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه نص فلا بد
أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذلك منسوخ فاما أن يكون
النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المذخور فهذا لا يوجد قط
وهو نسبة الامة الي حفظ ما نهيت عن اتباعه واضاعة ما أمرت باتباعه
وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تستعذر كثيراً أو غالباً فمن ذا الذي يحيط بأقوال
المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يفتنون
بالكتاب أولاً لان السنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شيء
منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم
غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة
شيء منسوخ الا والسنة نسخته لا ينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا
تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لا يجد
مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له ان لم يجده

في القرآن أن يطلبه في السنة وإذا كان في السنة لم يكن ما في السنة
معارضاً لما في القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لا يعارض كتاباً ولا سنة
تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير برية محمد وآله

تمت الرسالة الثانية

وبلها الرسالة الثالثة التيدان في نزول القرآن

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن حنبل)

(رحمه الله تعالى ورضي عنه)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﴾

(وآله وصحبه أجمعين)

(أما بعد فهذا) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر في كتاب الله تعالى فان كثير آمن الناس فسر وا النزول في مواضع من القرآن بغير ما هو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان حال ثم أنزله من ذلك المكان ومن الكلائية من يقول أنزله بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذي قالوه باطل في اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا

ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لابهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان أحدهما لاحذف في الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله العزيز الحكيم والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد وغيره واليه يعود أي هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن منه أي لم يخلقه في غيره فيكون مبتدأ منزلاً من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لا من مخلوق فهو الذي تكلم به خلقه

وأما النزول المقيد بالسماء بقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم جنس لكل ماعلا فإذا قيد بشئ معين لقوله في غير موضع من السماء مطلق أي في العلو ثم قد بينه في موضع آخر بقوله أنتم أنزلتموه من المزن وقوله فتري الودق يخرج من خلاله أي أنه منزل من السحاب وما يشبه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بلوحى من أمره الذي هو كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها بناسب قوله فيها يفرق كل أمر حكيم أمر آمن عندنا أنا كنا مرسلين فهذا شبهه بقوله قل نزله روح القدس

وأما المطلق ففي مواضع منها ما ذكره من انزال السكينة لقوله
فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة
في قلوب المؤمنين الي غير ذلك

ومن ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجهه
المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو ما يوزن به
ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في
القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحى ربك الي
الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا فذلك الثبات نزل في القلوب بواطة
الملائكة وهو السكينة قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء
واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله
عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو
ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضى الله عنه الذي في الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة في جذر قلوب الرجال
فعلموا من القرآن وعلموا من السنة والامانة هي الايمان أنزلها في
أصل قلوب الرجال وهو كانزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله الحديث الي آخره فذكر أربعة عشر غشيان الرحمة
وهي أن تغشاهم كما يغشى اللباس لابسه وكما يغشى الرجل المرأة والليل

النهار ثم قل ونزلت عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحفهم الملائكة
أى جلست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار
وقوله فلما نفشاً ما حملت حملاً خفيفاً وقوله والمؤتفة أهوى فغشاها
ماغشى وقوله إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا
كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم
ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم
أمنة نعاماً يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر إذ يغشاكم
النعاس أمنة منه والنعاس ينزل في الرأس بسبب نزول الابخرة التي
يدخل في الدماغ فتعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الأشعري ومن أتبعه من
أصحاب مالك والشافعي وأحمد جعلوا النزول والاتبان والحجى حـدنا
يحدته منفصلاً عنه فذاك هو آتيانه واستواءه على العرش فقالوا استواؤه
فعل بفعله في العرش يصير به مستويًا من غير فعل يقوم بالرب لكن
أكثر الناس خالفوهم وقالوا المروف أنه لا يحجى شيء من الصفات
والاصراض الا بحجى شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقد جاء الهواء
الذي يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحجى

فالحملى حر وبرد تقوم بعين قائمة بسبب أخلاط تحرك وتحول من حال الى حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذي يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لا يقل في هذا جاء به الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر وإذا كان كذلك فانزله تعالى العدل والسكينة والنعاس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا أفضى بها اليهم فاعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحى والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل غير الملائكة كالهواء الذى نزل بالاسباب فيحدث الله منه البخار الذى يكون معه النعاس فكان قد أنزل النعاس سبحانه ما يحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد بخلق في المعادن وما يذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكابشان والميعة والمطرفة والابرة فهو كذب لا يثبت مثله

وكذلك الحديث الذى رواه الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض فانزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب فى اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان التورى رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال ابن الجوزي هو يفي بن محمد بن أخت سفيان النوري بروي
 عن الثوري وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كذاب
 يضع الحديث وقال مرة ليس بشيء وقال يحيى كان كذابا خيئا وقال
 مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال الدارقطني ضعيف متروك والناس
 يشهدون ان هذه الامة تصنع من حديد المعادن ما يريدون فان قيل ان
 آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهذه مكابرة للبيان وان قيل
 بل نزل معه آلة واحدة وتلك لا تعرف فأى فائدة في هذا لسائر الناس
 ثم ما يصنع بهذه الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود بطرق بهذه
 الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت منه هذه الآلات مع أن المأثور
 ان أول من خط وخط ادريس عليه السلام و آدم عليه السلام لم يخط
 نوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الاكبر بذكر الحديد
 هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك
 الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من
 السماء فان قيل نزات الآلة التي يطبع بها قيسل قاله أخبر انه أنزل
 الحديد لهذه المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة
 يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس
 حتى قال قطرب رحمه الله معناه جعله نزلا كما يقال أنزل الامر على فلان
 نزلا حسنا أى جعله نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام
 ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان النزول انما يطلق على ما يؤكل لاعلى

ما يقابل به قال الله تعالى فنزل من حميم والضيافة سميت نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا فينزل في مكان يؤتى اليه بضيافته فيه فسميت نزلا لاجل نزوله ونزل بيني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب انزلي منزلا مباركا وانت خير المنزلين لانه كان راكبا في السفينة وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة تبع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته فان الحديد انما يخلق في المعادن والمعادن انما تكون في الحيات فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الحيات لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فمنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها مخلوق من الماء فان به يكون النبات الذي ينزل أصله من السماء وهو انساء وقال قطرب جمعناه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لانه فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أسلاب آباتها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب أنزله وهو على جنب اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب أنزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا انه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من ذلك المحل كالحديد والانعام

وقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
الآية وفيها ترانان احدهما بالنسب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا
وأما قراءة الرفع فلا وكتاها حق وقد قيل خلقناه وقبل أنزلنا أسبابه
وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الأقول ضعيفة فان النبات الذي ذكروا
لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل ما يصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا
الدور وأنزلنا العايخ ونحو ذلك وهو لم يقل انا أنزلنا كل لباس ورياش
وقد قيل ان الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى
واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والحصص والمعاش وارتاش
فلان حسنت حاله

والصحيح ان الريش هو الاناث والمتاع قال أبو عمرو والعرب تقول
أعطاني فلان ريشه أي كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام
العرب الاناث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض
المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد
جمالا وهذا لانه مأخوذ من ريش الطائر وهو ما يروش به ويدفع عنه
الحر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك ما يبيت فيه الانسان من الفرش
وما يبسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذي يلبس
على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
الآية فامتن سبحانه بما ينفعون به من الانعام في اللباس والانات وهذا
والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والاوز والاشجار ويتنفع به بنو آدم من اللباس والرياش
 فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب فهي
 لدفع الحر والبرد وأعظم مما يصنع من القطن والكتان والله تعالى
 ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول
 النعم التي لا يعيش بنو آدم الا بها وذكر في آياتها تمام النعم التي لا يطيب
 عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ما يدفع
 البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم
 في آتاء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة
 والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم
 سكنا الآية ثم ذكر انعامه بالظلال التي تقيهم الحر واليباس فقال والله
 جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا لي قوله كذلك
 يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لانه قد
 ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا يقدر
 أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى
 لكنه لا يقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرها
 وأهله أيضا لا يحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه ال دبل أدنى رقابة
 كقبيهم وهم في الليل وطرف في النهار ولا يتأذون به تأذيا كثيرا بل
 لا يحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سراويل تقيكم
 الحر وسراويل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى
 كما يفطن من لم يحسن القرآن بل لفظه آتم اللفظ ومعناه أكمل المعاني

فإذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة
من الاصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فإنه على ظهور
الانعام لا ينفع به بنو آدم حتى ينزل

فقدتين ان ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول الا فيه معنى
النزول المعروف هذا هو اللائق بالقرآن فإنه نزل بلغة العرب ولا
تعرف العرب منزولا الا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطايا
بغير لغتها ثم هو استمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان
وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي
أخبر الله تعالى انه ياتيه وجعله هدي للناس وليكن هذا آخره والحمد
لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم
تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الاديان عند الموت هل
لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم
تفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعباد بالله تعالى هل
يجازى باعماله الصالحة قبل الرد أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الاديان على العبد وقت الموت فليس
هو أمرا عاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس
من تعرض عليه الاديان ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام
وذلك كله من فتنة الحيا والمات التي أمرنا أن نستعين منها في مسالمتنا
منها ما في الحديث الصحيح الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن

نستعيد في صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن
 فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون
 الشيطان أحرص ما يكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقد قال
 النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الاعمال بخواتمها وقال
 صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
 وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل
 النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان
 أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت يقول لاعوانه دونكم هذا فانه
 ان فاتكم لن تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه
 وهو يقول لا بئد لا بئد مشهورة ولهذا يقال ان من لم يهجم بخائف عليه
 من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال من ملك زاد او راحلة تباغته الى بيت الله الحرام ولم يهجم فليمت
 ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى والله على الناس حج البيت
 من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة
 لما نزلت هذه الآية ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت
 اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم والله على الناس حج البيت
 فقالوا لانحججه فقال الله تعالى ومن اكفر فان الله غني عن العالمين
 وأما الفتنة في القبور ففي الامتحان والاختبار لاميت حين يسأله
 الملكان فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك ويقولان له

ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدي قآمنا به واتبعناه فينهرانه انهاره شديدة وهي آخر فتنة التي يفتن بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد توارت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضى الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقليل لا يفتنون لان المحنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضي أبو يعلى وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حنيفة وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى اصول الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كنيافانه اذا مات عنى ذلك والعياذ بالله تعالى حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه قيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت
 ليحبطن عملك والمراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ولكن التنازع فيما
 إذا ارتد ثم عاد إلى الإسلام هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة
 ويجب عليه قضاؤها أم لا تحبط إلا ذمات مرتداً على قولين مشهورين
 هما قولان في مذهب الإمام أحمد والحبوط مذهب الإمامين مالك
 وأبي حنيفة وهو الراجح والوقف مذهب الشافعي وتنازع الناس
 أيضاً في المرتد هل يقال كان له إيمان صحيح فحبط بالردة أم يقال بل بالردة
 تبين أن إيمانه كان فاسداً وإن الإيمان الصحيح لا يزول البتة على قولين لطوائف
 من الناس وعلى ذلك يبنى قول المستثنى أنا مؤمن إن شاء الله

هل يعود الاستثناء إلى كمال الإيمان في الحال أو

يعود لي الموافقة في المال والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاءه وتوفيقه

﴿ تمت الرسالة الثالثة ﴾

﴿ ويلها الرسالة الرابعة له أيضاً ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبي الاسم القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي يتفضل
 سيدنا الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المبدع
 المغرب المغرب المنصوح أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين
 أبو العباس أحمد بن نيمية أبقى الله علينا بركته بأن بوصيفي بما يكون فيه
 صلاح ديني ودنياي ويرشدني الي كتاب يكون عليه اعتمادي في علم
 الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية ويفهني على أفضل الاعمال
 الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد
 الايمان والاختصار والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته
 قال شيخ الاسلام ببحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه
 الحمد لله رب العالمين (اما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله \checkmark
 ورسوله لمن عقلها واتبعها قال الله تعالى وانفذ وصينا الذين أوتوا الكتاب
 من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ووصي النبي صلى الله عليه وسلم معاذ لما
 بعثه الي اليمن فقال يا معاذ اتق الله حينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
 وخالق الناس بحلق حسن وكان معاذ رضي الله عنه من انبي صلى الله
 عليه وسلم بمنزلة علية فانه قال له يا معاذ والله اني لأحبك وكان يردفه
 وراءه وروي فيه انه أعلم الامة بالحلل والحرام وأنه يحشر أمام العلماء
 برتبة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبالغاً عنه
 داعياً ومنقهاً ومفتياً وحاكماً الي أهل اليمن وكان يشبهه بإبراهيم الخليل
 عليه السلام وإبراهيم امام الناس وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
 ان معاذ كان أمة قانتاً حنيفاً ولم يك من المشركين أشبهاً له بإبراهيم ثم

أنه وصاه هذه الوصية فعلم أنها جامعة وهي كذلك لمن عقلها مع أنها
تفسير الوصية القرآنية

أما بيان جمعها فلان العبد عليه حقن حق لله عز وجل وحق
لعباده ثم الحق الذي عليه لا بد أن يخل ببعضه أحيانا أما ترك مأمور به أو
فعل منهي عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه
كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوي في السر
والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمجها فان الطيب متى تناول
المريض شيئا مضرا أمره بما يصاحبه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فالكيس
هو الذي لا يزل يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات وانما قدم في لفظ الحديث
السيئة وان كانت مفعولة لان المقصود هنا محوها لافعل الحسنة فصار
كقوله صبوا على بوله ذنوبا من ماء

ويبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فانه أبلغ في المحو
والذنوب بزول موجبها بشيء * أحدها التوبة * والثاني الاستغفار من غير
توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يقب فاذا اجتمعت التوبة
والاستغفار فهو الكمال * الثالث الاعمال الصالحة المدفوعة أما الكفارات
المقدرة كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات
الحج أو تارك بعض واجباته أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي
أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما
قال حذيفة لعمر فتنه الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة
والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد دل على

ذلك القرآن والاحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له ما تقدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلفاها من السنن خصوصاً ما صنف من فضائل الاعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين يبلغ خصوصاً في هذه الازمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين قد يناطخ من أمور الجاهلية بمدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه لتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسرى في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلي به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزل على أحوال الناس واذا كان الامر كذلك فن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لا يد أن يلاحظ أحوال الجاهلية

وطرفي الامتين المغضوب عليهم والضايقين من اليهود والنصارى فيرى
أن قد ابتلى ببعض ذلك

فأنفع ما للخاصة والعامّة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات
وهو اتباع السيّات الحسنات والحسنات مانذب الله اليه على لسان خاتم
النبیین من الاعمال والاخلاق والصفات وما يزيل موجب الذنوب
المصائب المكفرة وهي كل ما يؤلم من هم أو حزن أو أذى في مال أو
عرض أو جسد أو غير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضى بهائين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح
الفاقد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس
وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام
والاكرام والدعاء له ولا تغفار والتناء عليه والزياره له وتعطي من
حرمك من اتعلم والمنفعة والمال وتعفو عن ظلمك في دم أو مال أو
عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم
فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره
وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحقيقه المبادرة الى امثال ما يحب الله تعالى بطيب نفس وانسراح صدر
وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع
فعل كل ما أمر الله به ايجاباً واستحباباً وما نهى عنه تحريماً وتزيباً وهذا
يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية

العذاب المقنضية للانكفاف عن المحارم جاء منسراً في حديث معاذ
وكذلك في حديث أبي هريرة رضى الله عنهما الذى رواه الترمذى
ومحججه قبل يارسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله
وحسن الخلق وقيل ما أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجو فان القم
والفرج وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل للمؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً
فجعل كل الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الايمان كله تقوى
الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فانها الدين
كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في
قوله اياك نعبد و اياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفي قوله
عليه توكلت واليه ائيب وفي قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
واشكروا له بحيث يتطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعهم أو عملاً
لاجابهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب
من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم
هذا فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك

وأما سألت عنه من أفضل الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف
باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب
جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالأجاء بين العلماء بالله وأمره
ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة وعلى
ذلك حديث أبي هريرة الذى رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

ائمة ومن المفردون قال المذاكرون الله كبيراً والذاكرات وفيما رواه
 أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم
 وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا
 أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله والدلائل
 القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن
 يلازم العبد الأذكار الماثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه
 وسلم الأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند
 الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند
 الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء
 والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك وقد صنفت له
 الكتب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا اله
 إلا الله وقد تدرّس أحوال يكن بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله
 والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه ثم يعلم أن كل ماتكم
 به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر
 بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من استغل بطلب
 العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جالس مجاساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه
 الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك
 إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف
 وما أشبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة ثم أندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يدخل
فيقول قد دعوت فلم يستجب لي ولينجر الاوقات الناضلة كما خر الليل
وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

(وأما أرجح المكاسب) فالنوكل على الله والثقة بكفايته وحسن
الظن به وذلك أنه ينبغي للمهم بأمر الرزق أن يلجأ فيه الى الله ويدعوه
كما قال سبحانه فيما ياتر عنه نبيه كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني
أطعمكم بإعبادي كلكم عار الا من كونه فاتكسوني أكنكم وفيما
رواه للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شبع نعله اذا انقطع فانه
ان لم يسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله
وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
الله وهذا وان كان في الجملة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله أعلم
أمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح
لي أبواب رحمتك واذا خرج أن يقول اللهم اني أسألك من فضلك وقد
قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا
له وهذا أمر والامر يقتضى الاجاب فالاستعانة بالله واللجأ اليه في أمر
الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه
باشراف وهاع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج اليه من
غير أن يكون له في القلب مكانة والسعي فيه اذا سعي كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره من أصبح والدنيا أكبر
 همه شئت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأت من الدنيا الا ما كتب
 له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في
 قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال بعض السلف أنت محتاج الى الدنيا وأنت
 الى نصيبك من الآخرة أحوج فان بدأت بنصيبك من الآخرة مر على
 نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
 الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق
 ذو القوة المتين

فأما تعيين مكسب علي مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو رانة
 أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما
 لكن اذا عن للانسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة
 عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان فيها من البركة ما لا يحاط به ثم
 ما يتيسر له فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية

وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا
 مختلف باختلاف نشأ الانسان في البلاد فند يتيسر له في بعض البلاد من
 العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير
 أن يستعين بالله سبحانه في تلقى العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم
 فانه هو الذي يستحق أن يسمى عالما وما سواه اما أن يكون عالما فلا
 يكون نافعا واما أن لا يكون عالما وان سمي به ولان كان عالما نافعا فلا بد
 أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه ما هو مثله وخير

منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فاذا
اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله
تعالى ولا مع الناس اذا أمكنه ذلك

وليجهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل ما نوره عن النبي
صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع
بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت
تهدي من تشاء الي صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه
رسوله يا عبادي كلنكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع مني في أثناء المذاكرة
ما يسرره الله سبحانه وما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح
محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لا يقو بأصول العلم ولا
يقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم اذ لا بد من معرفة أحاديث
أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الامور التي يختص بعلمها بعض
العلماء وقد أوعبت الامة في كل فن من فنون العلم ايعابا من نور الله
قلبه هدايا بما يبلى من ذلك ومن أعماه لم تزد كثرة الكتب الاحيرة
وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الانصاري أوليت
التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تفنى عنهم فاسأل الله

العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويأمننا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن
لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لده رحمة انه هو الوهاب
والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين

﴿ وجد بأصله مانصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الائمة الاعلام شيخ الاسلام
سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسامين مفتي الفرق علم الهدى تقي الدين
أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله
عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام
العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الدباهي وعز الدين عبد
العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين
محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق
الانصاري ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الرحبي
الكناني وزين الدين عبادة بن عبد الغني بن منصور بن منصور بن
ابراهيم بن سلامة الحراني وجربير بن سعيد بن حميد النساني وعبد المجيد
ابن محمود بن أحمد الجبلي وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغني بن
العلائق الحراني وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي في ليلة
ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة بدار الحديث

بالتصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على

محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

﴿ تمت الرسالة الرابعة ويلها الخامسة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مسئلة في النية في لطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق
والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر
بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت
صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخائف اماما
كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أولا أو قال أحد
من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنية بطلت
صلاته وان كانت غير واجبة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون في ذلك واذا
أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتدع مخالف
لشريعة الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عايه اذا لم
ينته أم لا

فأجاب عنها الشيخ الامام الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام
مفتي الانام أوحد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمد
ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه وأرضاه
في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمد لله رب العالمين محل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة
المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج
والعتق والجهاد وغير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف منوى في قلبه كان
الاعتبار بما نوى لا بما لفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يجز ذلك باتفاق أئمة المسلمين فإن النية هي من جنس القصد والعزم
تقول العرب نواك الله بخبر أي قصدك بخير وقول النبي صلى الله عليه
وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي فمن كانت هجرته إلى
الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها
أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه مراده صلى الله عليه
وسلم بالنية النية التي في القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الأئمة
الأربعة وغيرهم وسبب الحديث يدل على ذلك فإن سببه أن رجلاً
هاجر من مكة إلى المدينة ليتزوج امرأة. يقال لها أم قيس فسمى مهاجر
أم قيس فخطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر وذكر هذا
الحديث فهذا كانت نيته في قلبه

والجهر بالنية لا يجب ولا يستحب باتفاق المسامحين ولا تبطل صلاة
من لم يجهر بها عند أحد من المسلمين بل الجهر بالنية مبتدع مخالف
للشريعة إذا فعل ذلك معتقداً أنه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق
التعزير والعقوبة على ذلك إذا أصر على ذلك عند تعزيره والبيان له
لأنها إذا آذى من إلى جانبه برفع صوته أو كرر ذلك مرة بعد مرة
فإنه يستحق التعزير البليغ على ذلك ولم يقل أحد من المسلمين إن
صلاة الجهر أفضل من صلاة الخفاتها سواء كان اماماً أو مأموماً
أو منفرداً وأما التلفظ بها سرا فلا يجب أيضاً عند الأئمة الأربعة وسائر
أئمة المسلمين ولم يقل أحد من الأئمة إن التلفظ بالنية واجب لافي طهارة
ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلي

الظهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا
ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفي أن تكون نيته في قلبه والله يعلم منى
اقلوب وكذلك نية النفس من الجنابة والوضوء يكفي فيه نية القلب
وكذلك نية الصيام في رمضان لا يجب على أحد أن يقول بلسانه أنا
صائم غدا باتفاق الائمة لى يكفي نية قلبيه والنية نبايغ العلم فمن علم
ما يريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فاذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو
من يصوم رمضان فلا بد أن ينوى الصيام فاذا علم ان غدا لم ينو الصيام
تلك الليلة وكذلك الصلاة اذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر
وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوى تلك الصلاة لا يمكنه
أن يعلم انها الفجر وينوى الظهر وكذلك اذا علم انه يصلى اماما أو مأموما فانه
لا بد أن ينوى ذلك وان علم انه يصلى وحده فلا بد أن ينوى ذلك والنية
يتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا اذا كان يعلم ما يريد أن يفعله فاذا كان يعلم
انه يريد أن يصلى الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن
يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق تنوى الصلاة في وقتها تبين ان
الوقت قد خرج اجزائه صلواته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى
الصلاة بعد الوقت فتبين انها في الوقت اجزائه الصلاة باتفاق الائمة
وإذا كان قصده أن يصلى خلف الامام بعينه مثل زيد فكان الامام
غيره لم يكن قد صلى خلف ذلك وانما اذا كان قصده ان يصلى خلف
الامام الحاضر أى امام كان واعتقد انه زيد فظهر انه عمر لم يضره ذلك
وكذلك لو كان مقصوده أن يصلى على الجنازة الحاضرة أى جنازة كانت

فظنها رجلا فكانت امرأة صحت صلواته بخلاف ما اذا كان مقصوده
 أن لا يصلى الا على من يعتقد أنه فلان فصلى على من يعتقد أنه فلان فتبين
 غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر
 والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الأئمة ولكن
 بمض المتأخرين خرج وجهها من مذهب الشافعي لوجوب ذلك غلطه
 جماهير أئمة أصحاب الشافعي وكان غلطه ان الشافعي قال ان الصلاة لا بد
 من النطق في أولها فظن هذا الغالط ان الشافعي أراد النطق بالنية ففعله
 أصحاب الشافعي جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان
 معروفان للفقهاء منهم من استحبه التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره
 من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا التلفظ بها أكد واستحبوا
 التلفظ بها في الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب
 التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك وأحمد وغيرهما وهذا
 هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرهما من الأئمة وقال أبو داود قلت
 لأحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان
 النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ
 بالنية لافي الصلاة ولا في الحج ولا غيرها من العبادات ولا خلفاؤه
 ولا أمر أحدا أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاة اذا قامت الى
 الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاة كبر كما في الصحيحين عن عائشة
 رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة
 بالتكبير ويفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

بنية ولا غيرها ولا علم ذلك أحدا من المسامحين ولو كان ذلك مستحبا
لفعله ولعلمه للمسلمين وكذلك في الحج إنما كان يفتح الاحرام بالتلبية
ويشرع للمسامحين أن يلبوا في أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حبي
واشترطى فقولي لبيك اللهم لبيك ومحلي حيث حبستني فامرها أن
تشرط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا لا يقول
اللهم اني أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره
على وتقبل مني ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا
ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل
التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتكبير في الصلاة وكان هو وأصحابه
يقولون فلان أهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بهم كما يقال كبر للصلاة
والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تليته لبيك عمرة وحج
فيسمى ما يريد فعله بعد التلبية لاقبلها وجميع ما أحده الناس من التلطف
بالتلبية قبل التكبير وقبل التلبية وفي العاهارة وسائر العبادات فهي البدع
التي لم يشرعها وكل ما يحدث في العبادات المنسروعة من الزيادات التي
لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم في العبادات
على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث
اعتقاد المعتقدان ذلك مشروعا مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع
أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فينبغي حقيقة هذا القول
أن ما فعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم واتد
سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف نايه

العتة فقال له السائل وأي فتنة في ذلك وإنما هي زيادة امتثال في طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن في نقلك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال من رغب عن سنتي فليس مني أي من ظن أن غير سنتي أفضل من سنتي فرغب عما سنفته معتقدا أن ما رغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني إلا (ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال ان هدي غير محمد أفضل من هدي محمد فهو مقتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يمتدوا به وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه وأنه لا أفضل من ذلك فمن لم يمتد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد هلك المتطمعون قالها ثلاثا وقال أبي بن كعب وابن مسعود انفساد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه قال صلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أي من اعتقد أن الركعتين في السفر لا تجزئ المسافر فقد كفر

الوجه الثاني من حيث المداومة على خلاف ما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات فإن هذا بدعة باتفاق الأئمة وإن ظن

الظان ان فيه زيادة خبير كما أحدث بعض المتقدمين الاذان والاقامة في العيدين فهى عن ذلك وكرهه أئمة الاسلام وكما لو صلى عقب السعي ركعتين قيا-ا على ركعتي الطواف وقد استحب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى واستحب بعض المتأخرين من أصحاب أحمد في الحاج اذا دخل المسجد المرام أن يفتتح بحجة المسجد بخالف الأئمة والسنة وانما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذي يريد الصلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة قال النبي صلى الله عليه وسلم قدأ كمل الله له ولامته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعل عملا واجبا ما لم يوجبه الله ورؤيه أو مستحبا ما لم يستحبه الله ورؤيه فهو غلط كما أن جعل حراما أو مكروها ما لم يحرمه الله ورؤيه أو لم يكرهه الله ورؤيه فهو غلط فجماع الدين لأحكام الأما حرمه الله ورؤيه ولا دين الا ما شرعه الله ورؤيه ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حزب من شرع من الدين ما لم يأذن به الله وحرم ما لم يحرمه الله وهذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله في سورة الانعام والاعراف وغيرها من السور حيث شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وحرموا ما لم يحرمه الله وأسلموا ما حرمه الله فذمهم الله وطبهم علي ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله ان الأحكام الخمسة الايجاب والاستحباب والتحليل والكرهية والتجريم لا تؤخذ الا عن الله ورسوله فلا واجب الا

ما أوجب الله ورسوله ولا مستحبا إلا ما أحبه الله ورسوله ولا حلال
 إلا ما أحله الله ورسوله ولا مكروها إلا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم
 إلا ما حرمه الله ورسوله فمن ذلك ما اتفق عليه أئمة الدين ومنه ما تنازعوا
 فيه فما تنازعوا فيه رد إلى الله ورسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ
 فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
 وأحسن تأويلا وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الأئمة ينهي عن
 ذلك ويؤدب على الإصرار كما يفعل بأمثله من الجهال ولا يقتسدى في
 خلاف الشريعة باحد من أئمة الغلاة وإن كان مشهورا بالفقه والعلم بل
 يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض السلف لا تنظر إلى عمل الفقيه
 ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

❦ وهذه فتوى أخرى في المسئلة السابقة ❦

سئل الشيخ الامام العالم الملاوة شيخ الاسلام مفتي الانام تقي الدين
 أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضى
 الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبع مائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا ويعين الصلاة
 بعينها ويعد الركعات بحيث يشوش على من إلى جانبه فأنكر عليه رجل
 وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به
 ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو يترا خلفه فهل كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بفعله أو أحد من الصحابة أو أحد من الأئمة

الأربعة وغيرهم فاذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فماذا
يجب على من ينسب هذا إليهم ويقول كل من يعمل في دينه ما يشتهي بل
أنت جاهل فيما تذكره انتهى

أجاب رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين الجهر بلفظ
النية ليس بمشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف
الامة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله أو أنه واجب فانه يجب تعريفه
الشريعة والمتابته من هذا القول فان أصر على ذلك قتل بل النية
الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكفارة
 وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين اذ النية هي القصد والارادة
 والقصد والارادة محلها القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلو نوى بقلبه
خلاف ما تكلم به بلسانه كانت العبرة بما نواه لا باللفظ ومضى نوى بقلبه
 ولم يتلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من
الاولين والآخريين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتي
بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم ان اللفظ بالنية واجب
 ولم يقل ان الجهر بها واجب ومع هذا القول خطأ صريح مخالف
 لاجماع المسلمين انما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلى الصحابة
 والتابعون فان كل من يعلم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا
 أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولا عامه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنه قال للاعرابي المسمى في صلته إذا
 قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما يسر معك من القرآن وفي السنن عنه
 أنه قال مفتاح الصلاة الطهور ونحوها التكبير وتحليلها التسليم وفي
 صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل
 المتواتر واجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا
 يفتتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لآعن النبي صلى الله عليه وسلم
 ولا عن أحد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ التنية لاجهراً
 ولا سرّاً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعي متوفرة
 على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشراً كما نقل
 ذلك فإذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن ولهذا يتنازع الفقهاء
 المتأخرون في التلفظ بالتنية هل هو مستحب مع التنية التي في القلب فاستحب
 طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد قالوا لأنه أوكد واتم
 تحقيقه بالتنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا
 أنه بدعة مكروهة قالوا لأنه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ولأمر به فإنه صلى الله عليه وسلم قد بين كل ما يقرب إلى
 الله لا سيما الصلاة التي إنما تؤخذ صفتها عنه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه
 قال صلوا كما رأيتموني أصلي فزيادة هذا وأمثاله في صفة الصلاة
 بمنزلة سائر الزيادات المحمدية في العبادات كمن زاد في "عبيد بن الأذان

والاقامة ومن زاد في الهمى صلاة ركعتين على المروءة وأمثال ذلك
قلوا وأيضاً فإن التلفظ بالنية فاسد في العقل فإن قول القائل أنوى ان
أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوى انى آكل هذا الطعام لا شيع وانى
ألبس هذا الثوب لا يتم وائثال ذلك من النيات الموجودة في القلب
التي يستتبع النطق بها وقد قال تعالى قل أنعلمون الله بدينكم والله يعلم
مافى السموات ومافى الارض وقال طائفة من الساف في قوله انما
نعلمكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بالسنة وانما علمه الله من قلوبهم
وبالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سر أفهل
يكروه أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه
منهى عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الامام
والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لا يشرع لاحد منهم أن يجهر بلفظ النية
ولا يكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة
اذا كان فيه أذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم على
أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بمضكم
على بعض بالقراءة وأما المأموم نصفته المخافة باتفاق المسلمين لكن اذا
جهر أحياناً بشيء من الذكر فلا بأس كالامام اذا أسمعهم أحياناً الآية
في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه أخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحياناً
وثبت في الصحيح ان من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح
الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

ومن أصر على فعل البدع وتحسينها فإنه يذنب أن يعزر أو يزيّر أو يردعه
وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الباطل خطأ فإنه يعرف فإن لم ينه عوقب ولا يحل لاحسد أن يتكلم
في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين
مالمس منه

وأما قول الله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهي كلمة عظيمة
يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه
الكلمة توجب القتل فليس لاحسد أن يعمل في الدين الا ما شرعه الله
ورسوله دون ما يشتهي ويهواه قال تعالى ومن أضل ممن أتبع هواءه بغير
هدى من الله وان كثيراً يضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى أفرأيت من اتخذ آلهة
هواه أفانت تكون عليه وكيلاً أم نحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان
هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلاً وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت
وإلموا تسليماً وقد روى عنه أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن
أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به وقد قال تعالى ألم تر الى الذين
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا
الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم
ضلالاً بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم
 من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى المص كتاب أنزل اليك فلا يكن
 في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم
 ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وقال تعالى ولو اتبع الحق
 أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وأمثال هذا في القرآن
 كثير يبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا
 يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسئلة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضي
 القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان بن عمر الشافعي رضي الله عنه وأرضاه
 الحمد لله رب العالمين الله الموفق * النبة المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات
 علمها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه
 الي العصر ولا يكفي النطق بها مع غفلة القلب وإنما استحباب بعض
 أصحابنا مساعدا للسان القلب من غير جهر وقد شد صاحب الافصاح
 بما نقله عن بعض أصحابنا أنه لا بد من التلفظ بها في الصلاة وهو خلاف
 قول جمهور الاصحاب وأما الجهر بها وبالقرائة خلف الامام فليس
 من السنة بل مكروه فان حصل به تشويش على المصليين فحرام ومن
 قال بأن الجهر بالقول النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره
 أن يقول في دين الله تعالى بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال في
 الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهذا قول جاهل
 يعزر على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالى الا ما شرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد أتبع هواه نموذ بالله تعالى من أتباع الهوى وقد تكرر في لكتاب العزيز الذم والانكار على من أتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبلك وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى وان كثيراً ليضلون بأهوائهم ينير علم الي غير ذلك مما ورد في لقرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريري الانصاري عفا الله عنه الحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضى الله عنهم ولا أحد من الائمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة و لشرط أن يعلم بقلبه أى صلاة يصلى أما الذكر باللسان فلا معتبر به ويحس ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التي عرضت له فان تاب والقتل بذلك والجهرب بالتلاوة خلف الامام لا يجوز ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والعلماء على خلافة، ويجب أمزيره على ذلك ولا يحل لأحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب أمزيره وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهى فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب علينا أتباع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا

هو الدين فقد كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في كتاب فان
تاب والاقبل والحالة هذه والله أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله
محمد بن أبي القاسم التونسي المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق
النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على
الناس وكذلك الجهر بالقراآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع لسنة
واتكراه على التكرار عليه جهل ودعوى باطلة وقوله كل من يعمل في
دينه ما يشتهي فهذا أمر نذيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن
يتوب منه ونمر ذباله من الجهل واتباع الهوى ونسأله الهدى والمعصية
والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين بن العطار
عفا الله عنه الحمد لله لا يشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية
وأما التلفظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا
يشترط ولا يجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا
ومع عدمه بدعة فيصح فان قصد به الرياء كان حراما من وجهين كبيرة
من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومصوبه مخطئ ونسبته الى دين الله
تعالى اعتقادا كفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ودينه
خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا لسنة بل يجب على كل مؤمن يتمكن
في زجره زجره ومنعه وردعه ولم ينقل هذا النقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام وأصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة بمعنى انها جزء العباداة أو لا يشترط ذلك وبجمعها شرط الصحة العباداة لا يضر تقدمها عليها مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ما ذكر في الاستفتاء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فيه أعلم أمتى بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذى يسبفه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه فكل

عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح

ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل

ولا قصد بها الصبر على مقتضاه

ولا أخاص فيها لله تعالى

والله يعلم المفسد

من المصلح

﴿ تمت الرسالة الخامسة ﴾

﴿ ويلها السادسة لها أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فإذا كان كريا والله من ورائه محيط به بان عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه فيقصد العلو دون التحت فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي ومع هذا نجد قلوبنا قصدت اطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلمكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات * احداها ان القائل الذي يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا بدليل عقلي وإنما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيرها من الفلسفة فرأوا ان الافلاك تسعة وان التاسع وهو الاطلس يحيط بها مستديرا كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

﴿ ١٧ مجموعته أول ﴾

فيه ما يقدره في الارض أو يحدنه في النفس التي زعموا انها متعاقبة أو
 في العقل الذي زعموا انه الذي صدر عنه هذا الفلك وربما ساء بعضهم
 الروح وربما جعل بعضهم النفس هي الروح وربما جعل بعضهم النفس
 هي اللوح المحفوظ كما يجعل العقل هو القلم وتارة يجعلون اللوح العقل
 الفعالم العاشر الذي لفلك القمر أو النفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك
 بالنسبة الى الحق كالدماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن
 يكون الى غير ذلك من المقالات التي شرحتها وبيننا فسادها في غير هذا
 الموضوع * ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة
 ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتنلسف تقليدا لهم
 أو وافق لهم على طريقتهم الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الرفا
 وأمثالهم * وقد يتخيل في نفسه ما يقدره عن غيره فيظنه كاشفا كما يتخيل
 النصراني التثليث الذي يعتقده * وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كاشفا
 وانما هو تخيل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا
 ارتاضوا صقلت الرياضه نفوسهم فيتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كاشفا
 وقد بسطنا الكلام على هذا في غير ما وضع

والمقصود هنا ان ما ذكره من ان العرش هو الفلك التاسع قد
 يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولا شرعي أما العقل فان أئمة
 الفلانية مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة
 فقط بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك ولكن دلتهم الحركات
 والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكره وما لم يكن لهم دليل على نبوته

فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب
نحى هذا بان السفلى يكف العلو من غير عكس فابتدلوا بذلك
على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة
حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كالفلك التدوير وغيره فاما
ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم
لا يعلمون ثبته ولا انتفائه بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع
مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له
حركة تخصه بما فيه من الثوابت وتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع
وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات
المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية فذلك الاشكال سبب
الحوادث السفلية كانت حركة التاسع جزء السبب بحركة غيره والاشكال
الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابله
له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتليته له اذا
كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان
بينهما رابعه تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك
ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفة وكل
حركة ليست عن الاخرى اذ حركة الثامن التي تخصه ليست عن حركة
التاسع وان كان تابعا له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك في السفينة
الى خلاف حركتها وكذلك حركة السابع التي تخصه ليست عن التاسع
ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن يجعل مبدأ

الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش كيف
والنلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لا اختلاف فيه أصلاً فكيف
يكون سبب الامور مختلفة لا باعتبار القوابل وأسباب آخر
ولكن هم قوم ضالون يجعلونه مع هذا ثلاثمائة وستين درجة
ويجعلون لكل درجة من الأثر ما يخالف الاخرى لا باختلاف القوابل
كما ينبغي الى ماء واحد فيجعل لبعض أجزاءه من الأثر ما يخالف
الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحداً أجزاءه مسحناً والآخر مبرداً
والآخر مسدداً والآخر مشقياً وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه
باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر
فوق الافلاك القديمة كان الجزم بان ما أخبرت به الرسل من ان العرش
هو الفلك التاسع رجوا بالنهب تهاولوا بلا علم هذا كله بتقدير ثبوت
الافلاك القديمة على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع
والاضطراب وفي أدلة ذلك ما ليس هذا موضعه وانما تكلم على هذا
فمنسبة السابع الى السادس كنسبة السادس الى الخامس واذا كان هناك
فلك تاسع فنسبته الى الثامن كنسبة الثامن الى التاسع
وأما العرش فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه
ليس نسبة الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالى الذين
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به الآية
وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامة وان حماته ومن حوله يسبحون ويستغفرون
 للمؤمنين ومعلوم ان قيام ذلك من الافلاك بقدره الله تعالى كقيام
 سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة وان قدر أن لبعضها
 ملائكة في نفس الامر تحملها فحكم نظيره وقال تعالى وترى
 الملائكة حافين من حول العرش الآية فذكر هناك ان الملائكة تحف
 من حول العرش وذكروا في موضع آخر ان له حملة وجمع في موضع
 ثالث بين حملته ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله
 وأيضا فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات
 والارض كما قال تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام
 وكان عرشه على الماء وقد ثبت في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن
 صمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل
 شيء وخلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر
 كل شيء وفي رواية لغيره صحبحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه
 على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن
 عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر
 مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة انتهى

تمت الرسالة السادسة

ويطلبها السابعة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من احمد ابن تيمية عفا الله عنه الي من يصل اليه هذا الكتاب من
المسلمين المنتسبين الي السنة والجماعة المنتهين الي جماعة الشيخ العارف
القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الاموي رحمه الله ومن نحا نحوهم
وفقههم الله لسلك سبيله وأعانهم علي طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم وجعلهم معتمدين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصدقيين والشهداء والسالحين وجنبهم طريق أهل
الضلال والاعوجاج الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه
وسلم من الشريعة والمنهاج حتى يكتونوا بمن أعظم عليهم الله بما تبعه
الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو وهو للحمد أهل وهو
علي كل شئ قدير ونسأله أن يصلي علي خاتم النبيين وسيد ولد آدم
صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق علي ربه وأقربهم الي زلفي وأعظمهم
عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا

أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه وأكمل له ولأمته
الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون
بعبين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجعلهم أمة وسطا أي عدلا

وخيارا ولذلك جعلهم شهداء على اناس هـداهم لما بعث به رسـله
جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما
ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذي جعله لهم فالاولى مثل
أصول الايمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا اله الا
الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه
لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى واسأل من قد أرسلنا من قبلك
من رسلا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسـله كما قال تعالى قولوا
آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق
بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالى قل آمنت بما أنزل
الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ومثل قوله تعالى آمن الرسول
بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله
لا نفرق بين أحد من رسـله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير الي آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب
والمقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ومنزل أصول الشرائع كما ذكر في سورة الانعام والاعراف
وسبحان وغيرهن من السور المكية من أمره بعبادته وحده لا شريك
له وأمره ببر الوالدين وصلة الارحام والرفق بالمهتدين والعدل في المقال
وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحرور وتحريم قتل النفس
بغير الحق وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحريم الاثم والبنى
بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع ما يدخل في التوحيد
من اخلاص الدين لله والنوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف
من الله والصبر لحكم الله والقيام لامر الله وأن يكون الله ورسوله
أحب الى العبد من أهله وماله والناس أجمعين الى غير ذلك من أصول
الايمان التي أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض
المدنية وأما الثاني فما أنزل الله في السور المدنية من شرائع دينه وما
سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب
والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذلك فقال
وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعامك ما لم تكن تعلم وقال لقدم الله
على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال واذ كرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هي السنة لان الذي
كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى القرآن هو سنة

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا انى اوتيت الكتاب
ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل عليه السلام ينزل على
النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه
القرآن

وهذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمه مثل الوجهة
والمذبح والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد
وهذه القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض
الزكاة ونصبتها التي فرضها في أموال المسلمين من الماشية والحبوب
والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جمات له حيث يقول انما الصدقات
للفقراء والمساكين والماملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل
صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التي حددها
لهم في المناكح والوارث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التي سننها
لهم من الاعياد والجمعات والجماعات في المكتوبات والجماعات في الكسوف
والاستسقاء وصلاة الجنازة والتراويج وما سنه لهم في العادات مثل
المطاعم والملابس والولاية والموت ونحو ذلك من السنن والآداب
والاحكام التي هي حكم الله ورسوله بينهم في الدماء والاموال والابضاع
والاصراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق
الى غير ذلك مما شرعه لهجهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
وحبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الامم قبلهم
اذا كانت كل أمة اذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا اليهم كما قال تعالى
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير

ومحمد صلي الله عليه وسلم خاتم الانبياء لاني بعه فعمم الله أمته
أن يجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقويم به الحجة الى يوم القيامة
ولهذا كان اجماهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز
أهل الحق من هذه الامة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون
أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم
وعما مضت عليه جماعة المؤمنين

فان الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلي الله عليه وسلم ولزوم
سبيله وأمر بالجماعة والاتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من
رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
وقال تعالى واعدتوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال تعالى ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال تعالى ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم اليات وما أمروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيماً فاتبوه ولا تتبعوا
السبل ففرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم
والنصارى ضالون

فأمر سبحانه في أم الكتاب التي لم ينزل في النوراة ولا في الانجيل
ولا في الزبور ولا في الزبوران مثلها التي أعطها نبينا صلى الله عليه وسلم
من كنز تحت العرش التي لا تجزي صلاة الا بها ان نسأله ان يهدينا
الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا
الضالين كالنصارى

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاسلام المحض وهو ما في كتاب
الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هي دين الاسلام المحض
فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل
السنن والمسائيد كالامام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال
ستفرق هذه الامة على اثنين وسبعين فرقة كلها في الامم الا واحدة وهي
الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي
وهذه الفرقة الباقية أهل السنة وهم وسط في النحل كما ان ملة
الاسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في انبياء الله ورسله وعباده
الصالحين لم يغفلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا اجبارهم وورهبانهم ارباباً
من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً

لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود
فكانوا يقتلون الانبياء بنير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من
الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فربقاً وقتلوا فريقاً
بل المؤمنون آمنوا برسول الله وعزروه وهم ونصروهم ووقروهم
وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالي ما كان
لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا
ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على
مريم بهنانا عظيماً حتى جعلوه ولدغية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد
الله ورسوله ولكنه ألقاها الى مريم العذراء البتول وروح منه
وكذلك اؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان
ينسخ ما شاء ويحومنا شاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكي الله تعالي ذلك عنهم
بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم من قبلهم التي كانوا عليها وبقوله
واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما
وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم ولا جوزوا لا كابر علمائهم وعبادهم
أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤوا وينهوا عما شاؤوا كما يفعله النصارى
كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون

الله قال عدى بن حاتم رضى الله عنه قلت يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخالق والامر فكيف لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فأطاعوا كل ما أمر الله به وقالوا ان الله يحكم ما يريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيماً

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مقبولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق وينفرو ويرحم ويتوب على الخلق وينيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس سمى ولاند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثل شئ فانه رب العالمين وخالق كل شئ وكل ما سواه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعددهم عدداً وكانهم آتية يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الغنق مثل الابل والبطة ولا لحم الثوب والكليتين ولا الجدى في لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرها حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثون وستون نوعاً والواجب عليهم مائتان وثمانية

وأر بعون أمراً وكذلك شدد عليهم في التجاسات حتى لا يؤاكلوا
 الحائض ولا يجامعوها في البيوت وأما النصارى فاستحلوا الحبائث وجميع
 المحرمات وباشروا جميع التجاسات وإنما قال لهم المسيح ولا حل لكم
 بعض الذي حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
 باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق
 من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاهرون
 وأما المؤمنون فكما نعم الله به في قوله ورحمتي وامت كل شيء فساكتها
 للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون
 الرسول النبي الأمي الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل
 يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
 الحبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا
 به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون
 وهذا باب يطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته
 وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته
 وبعطلون حقائق ما نعم الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين
 أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوقات
 فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به
 رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
 تكيف وتمثيل

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدره الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة وخلقته لكل شيء وبين المفسدين الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطون لامر والنهي والثواب والعقاب فيصرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أنركم ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدى العباد ويقلب قلوبهم وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الاعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعل فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثل شيء لاني ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهم في باب الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجحدون أهل الكبراء من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية و يكذبون بشفاعدة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان ويكذبون بالوعد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض لايمان وأسله وليس معهم جميع الايمان الذي يستوجبون به الجنة

وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من
إيمان أو مثقال خردلة من إيمان

وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر نفاعته لاهل الكبار من أمته
وهم أيضاً في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
وسط بين الغالية الذين يقولون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي
بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الامام المعصوم دونهما وأن
الصحابة ظالموا وفسقوا وكفروا الامة بعدهم كذلك ورعما جعلوه
نبياً أولها وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله
عنهما ويستحلون دماها ودماء من تولاهما ويستحبون سب علي وعثمان
ونحوها ويقدمون في خلافة علي رضي الله عنه وامامته

وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط لانهم متمسكون بكتب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

(فصل) وأنتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى
الاسلام الذي هو دين الله وعاقبكم الله بما ابتلى به من خرج عن الاسلام
من المشركين وأهل الكتاب والاسلام أعظم النعم وأجلها فان الله لا يقبل
من أحد ديناً سواه ومن يتبع غير الاسلام ديناً قلن يقبل منه وهو في
الآخرة من الخاسرين وعاقبكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع
المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية بحيث
جعل عندكم من البهض لمن يكذب باسماء الله وصفاته وقضائه وقدره

أويسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو من طريقة أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين وما زال في عساكر المسلمين انتصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويبرز به المؤمنين وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية ولا انكشافات والتصرفات وفيكم من اولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف النرشي الهكاري وبعده الشيخ العارف القدوة عدي بن مسافر الاموي ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ما عظم الله به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدي قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكبر المشايخ المتبعين وله من الاحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري الشيرازي ثم الدمشقي وكشيخ الاسلام الهكاري ونحوهما هؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء اليها والحرم على نشرها ومنازعة من خالفها

مع الين والفضل والصلاح مارفع الله به أقدارهم وأعلا منارهم وغالب مايقولونه في أصولها الكبار جيد مع أنه لا بدوان يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضميفة كاحاديث لا ثبت ومقاييس لا تطرد ما يعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسبب المتأخرون من الامة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقہ فيهما ويميزوا بين صحيح الاحاديث وسقيمها ونأج المقاييس وعقيمها مع ما يندفع الى ذلك من غلبة الاهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الاسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم للذين نعمت الله بهما الانسان في قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا من الله على الانسان بالعلم والمدل أنقذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والعصران الانسان لئن خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأتم تعلمون أصلحكم الله ان السنة التي يجب اتباعها وبمحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنده في أقواله وأفعاله وما تركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب التفسير والمغازي وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار ما يستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية في أبواب عتائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم في طبقتهم ومثلها ما بوب عليه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم وعبد الله بن أحمد وأبي بكر الخلال وأبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الأجرى وأبي الحسن الدارقطني وأبي عبد الله بن منده وأبي القاسم اللالكائي وأبي عبد الله بن بطة وأبي عمر الطلمنكي وأبي نعيم الاصبهاني وأبي بكر البيهقي وأبي ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة

(وقد) يروى كثير من الناس في الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها ما يكون كلاما باطلا لا يجوز أن يقال فضلا عن ان يضاف الى

النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام ما يكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقاً أو بما يسوغ فيه الاجتهاد أو مذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري وجعلها محنة يفرق فيها بين السني والبدعي وهي مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسناداً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهذا يعلمه من له أدنى معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة ففيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة يعقبها ألم هل تسمى نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فان السنة هي الحق دون الباطل وهي الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً

(فصل) وقد تقدم ان دين الله وسط بين الغالي فيه والجباني عنه والله تعالى ما أمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بايهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيه واذا كان الاسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

إليه حق أخرجه عن كثير من شرائه بل أخرج طوائف من أعبد
 هذه الامة وأورعها عنه حق مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية
 وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحاح
 وغيرها من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري
 وهيل بن حنيف وأبي ذر الغفاري وسعد بن أبي وقاص وعبد الله
 ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم وغير هؤلاء ان النبي صلى الله
 عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه
 مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم بقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم
 يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم
 أو فقتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم
 لاقتلنهم قتل عاد وفي رواية شر قتلي تحت أديم السماء خير قتلي من
 قتلوه وفي رواية لو يعلم الذين يقاتلونهم ما زوي لهم على لسان محمد صلى
 الله عليه وسلم لتكفوا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم
 واتفق على قتالهم جميع أئمة الاسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الاهواء المضلة والبدع المخالفة
 ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضة الذين هم شر من هؤلاء وهم
 الذين يكفرون جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يري في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الى طلوع النجم، يجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقنتون في الصلوات الخمس ويحرمون النفاق وذبايح أهل الكتاب وذبايح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لا حاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرفة تلهم المسلمون بأمر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب الى الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك باسباب

منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله كيدا وقال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو في الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز
ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب
عليه باتفاق أهل المعرفة بسوءها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة
ظنه وهواه

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من
ذمهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي بوحى فترهه
عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضال هو الذي لا يعلم
الحق والغاوى الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس
بل هو وحي أوحاه الله اليه فوصفه بالعلم ونزاهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعتها ضوائف بمن
ينسب الى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الظالمين وهي فصول
(الفصل الاول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الاحاديث

التي في دواوين الاسلام نعم باليقين القاطع انها كذب وبهتان بل كفر
شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يروون فيه حديثا مثل حديث
يروونه ان الله ينزل عشبته صرفة على جبل أورق يسافح الركبان ويعانق
المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقائله من اعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد
من علماء الساميين أصلا بل أجمع علماء الساميين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل
العلم كابن قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشبهوا
به أهل الحديث ويقولون انهم يرون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أقاض من مزدلفة
يمشي أمام الحجيج وعليه حبة صوف أو ما يشبه هذا البهتان والافتراء
على الله الذي لا يقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
ومكذبا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة
قالوا هذا موضع قدميه وبقرون قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف
يمحي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر
الى آثار خطي الله وانما قال أثر رحمة الله ورحمته هنا النبات

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم رأى ربه
في الطواف وفي بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفي بعضها انه رآه
في بعض سكك المدينة الى أنواع آخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في
الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هذا شيء لم يقله أحد من
علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل
رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر علماء
السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج وكانت
عائشة رضى الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم ترو عائشة رضى الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا - أئنه عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصادق رضي الله عنه كما يروونه ناس من الجهال إن أباهما سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لعائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره أنه اختلفت الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم انه قال رأيت ربي في صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفي - حتى وجدت بردانها على صدري - هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كما الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا في كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحى لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج وقد أفتق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينه في الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الي الارض
في الاحاديث الصحيحة ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى
سماه الدنيا كل ليلة حين يبني ثابث الليل الآخر فيقول من يدعوني
فاجيب له من يسألني فاعلمه من يستغفرني فاغفر له
وثبت في الصحيح ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماه
الدنيا فيباهي الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي اتوني شعثا
غبرا ما اراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان
صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه أهل العلم
وكذلك ما روى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء
تبسدى له ربه على كرسى بين السماء والارض غلط باتفاق أهل العلم
بل الذي في الصحيح ان الذي تبسدى له الملك الذي جاءه بحراء في أول
مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارىء فاخذني فغطني حتى بلغ مني
الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارىء فاخذني فغطني حتى بلغ
مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهذا
أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه
وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فيينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا فرفعت
رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء اجلس على كرسى بين السماء
والارض رواء جابر رضى الله عنه في الصحيحين فاخبر ان الملك الذي
جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في

بعض الروايات للملك فظن القارىء انه الملك وانه الله وهذا غلط وباطل
وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه
بعينه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من
خطوات الحق وفيه انه وطى على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب
باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطل
باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين
لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت وتثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس
ابن - عمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا
ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روى هذا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال وبين لهم
ان أحدا منهم لن يرى ربه حتى يموت فلا يظن أحد ان هذا الدجال
الذي رآه هو ربه ولكن الذي يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة
بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال
الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر ايمانه وبقينه
فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة واذا كان في ايمانه نقص
رأى ما يشبه ايمانه ورؤيا المنام لما حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها
تعبير وتأويل لما فيها من الامثال المضروبة للحقائق

(وقد) يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضا من الرؤيا نظير ما يحصل للأثم في المنام فيرى بقلبه مثل ما يرى الأثم * وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا وربما غلب أحدهم ما يشهده بقلبه ونحوه حواسه فيظن أنه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه منام وربما علم في المنام أنه منام فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تغيبه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو التأخرين أنه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك باجماع أهل العلم والإيمان

نعم رؤية الله بالابصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضا للناس في عرصات القيامة كما تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر نحو اليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب آنيتهما وحائتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحائتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الأرداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد بأهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها في الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة
 بالقبول وتفقد عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها
 الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات
 الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك وهم الماطلة شرار الخلق والحليقة
 ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله صلى الله
 عليه وسلم في الآخرة وبين تصديق الغالبية بأنه يرى بالعبون في الدنيا
 وكلاهما باطل

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم أنه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال
 كما تقدم فإن ضموا إلى ذلك أنهم يرونه في بعض الأشخاص اما بعض
 الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم
 وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من انصارى الذين يزعمون أنهم رأوه
 في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذي يكون في
 آخر الزمان ويقول للناس أنا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبث
 ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتبعه كنوزها وهذا هو الذي حذر
 منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال ما من خلق آدم إلى قيام الساعة
 فتنة أعظم من الدجال وقال إذا جالس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من
 أربع ليقل اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب
 القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح
 الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحدا منكم ان يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين
يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن من الناس من يضل
فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين
يعتقدون ذلك وهؤلاء تدعى بسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصوصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله
النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في على رضى الله عنه ونحوه وقوم
في أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم في بعض الصور الجميلة
الى غير ذلك من الاقوال التي هي شر من مقالة النصارى

و- نف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات حتى
الكلاب والحنازير والنجايات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمية
ومن تبعهم من الاتحادية كاصحاب ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض
والتلمسانى والبليانى وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب
ان الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض وما بينهما ورب
العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فرق سمواته على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو
معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذى خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما
تعملون بصير

فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم أنه يرى ربه بعينه وربما زعم أنه جالس وحده أو ضاحكه وربما يعين أحدهم آدمياً أما شخصاً أو صبياً أو غيره ذلك ويزعم أنه كلم يستتابون فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفاراً إذ هم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فإن المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين فإذا كان الذين قالوا أنه هو الله وأنه أحمد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا أنه اتخذ ولداً حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادماً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً فكيف بمن يزعم في شخص من الأشخاص أنه هو هذا كفر من الغالية الذين يزعمون أن علياً رضى الله عنه أو غيره من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم على رضى الله عنه بالنار وأمر بإخاديد خدت لهم عند باب كنده وقذفهم فيها بعد أن أجلهم ثلاثاً ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقتهم بالنار وانفقت الصحابة رضى الله عنهم على قتلهم لكن ابن عباس رضى الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وتصمهم معروفه عند العلماء

(فصل) وكذلك القلو في بعض المشايخ أما في الشيخ عدى ويونس القنى أو الحلاج وغيرهم بل القلو في علي بن أبي طالب رضى الله عنه

ونحوه بل القلو في المسيح عايه السلام ونحوه فكل من غلا في حى
 أو في رجل صالح كمثل على رضى الله عنه أو عدى أو نحوه أو في
 من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس الفنى
 ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه
 الشيخ فلان ما أريده أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدى أو يعبد بالسجود
 له أو لغيره أو يدعو من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدى فلان
 اغفرلى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقنى أو أغثنى أو أجرنى أو توكت
 عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والافعال
 التى هى من خصائص الربوبية التى لا تصلح الا لله تعالى فكل هذا
 شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل
 الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله
 الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر
 والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة اثلاثة
 الاخرى وبغوث وبعوق وندرا وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون انها
 تخاق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تثبت النبات وانما كانوا يعبدون
 الانبياء والملائكة والكواكب والجن والتمثيل المصورة هؤلاء أو
 يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
 ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسلا تنهى أن يدعى
 أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أهبهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من الساف كان اقوام يدعون المسيح وعزير او الملائكة
فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم بتقربون الى كما تتقربون ويرجون
رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما يخافون عذابي وقال تعالي
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون منقل ذرة في السموات
ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاخبر سبحانه ان ما يدعى من دون الله
ليس له منقل ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق
عون يستعين به وانه لا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالي وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من
يبد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالي أم اتخذوا من دون الله
شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا
له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالي ويعبدون من
دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل
أنبيؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض الآية

وعبادة الله وحده هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله
به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالي واأل من أرسلنا من قبلك من
رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالي ولقد بعثنا في

كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما
 أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى
 قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجمعتني لله ندا بل ما شاء الله وحده
 وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن ما شاء الله ثم ما شاء محمد
 ونهى عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت
 وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لا تطروني كما أطرت النصارى
 عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
 ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لاحد أن يحلف بمخلوق كالكمبة
 ونحوها

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض
 أصحابه نهاه عن ذلك وقال لا يصح السجود إلا لله وقال لو كنت آمراً
 أحداً أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن
 جبل رضى الله عنه أرأيت لو مررت بقبرى أكنت ساجداً له قال لا قال
 فلا تسجد لى

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في
 مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
 يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن
 كره أن يتخذ مسجداً وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال

قبل أن يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد
ألا فلا تتخذوا بيوتكم قبورا ولا يوتنكم قبورا وصلوا على حنما كنتم فان
صلاتكم تباركنا ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المسجد
على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول
الصلاة عندها باطلة

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال
الله تعالى في كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا
تقم على قبره فكان دليل الخطاب ان المؤمنين يصل على آلهم ويقام
على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقولوا
السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون برحم
الله المتقدمين منا ومنكم والمتأخريين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم
لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بدمهم واغفر لنا ولهم

وذلك ان من أكبر أسباب عبادة الالهة ان كان التعظيم للقبور بالعبادة
ونحوها قال الله تعالى في كتابه وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
ولا - وانا ولا يعوث وبعوث ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا
عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على ان من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
عند قبره أنه لا يمتنع بحجرته ولا يقبلها لان التقبيل والاستلام إنما

تكون لاركان بيت الله الحرام فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخالق
وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات انما تقصد في بيوت
الله وهي المساجد التي اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا تقصد
بيوت المخلوقين فتتخذ عبدا كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيوتي
عبدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي
لا يقبل الله عملا الا به ويفخر اصاحبه ولا يفخر لمن تركه وكما قال تعالى
ان الله لا يفخر أن يشرك به ويفخر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افترى اثما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آية في
القرآن آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
والاله الذي يأله القلب عبادة له واستعانة ورجاء له وخشية واجلالا
واكراما

(فصل) ومن ذلك الاقتصاد في السنة والنباعها كما جاءت بلا زيادة
ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف
الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه
يمود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن
عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيان قال ما زلت أسمع الناس
يقولون ذلك

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئا لمن قاله مابغا مؤدبا قال الله تعالى وان أحسد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظامه ومعانيه كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعصره فله بكل حرف عشر حسنة وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب اليانا من حفظ بعض حروفه

واذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا ان لا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عربا لا يلحنون وهكذا هي المصاحف التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الى الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحرف ثم شكلت بمثل خط الحروف فتنازع العلماء في كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لا يكره للحاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

والتصديق بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتكلم
بصوت وينادي آدم عليه السلام بصوت الي أمثال ذلك من الاحاديث
فهذه الجملة كان عاها سلف الامة وأئمة السنة

وقال أئمة السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلى وحيث
كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان ذلك يدخل فيه
القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقة لان ذلك يدخل فيه أفعال العباد
ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة
بل انكروا على من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال
ان المداد قديم فهذا من اجهل الناس وابسدهم عن السنة قال الله
تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف
مداد وورق أو حكاية وعبارة فهو مبتدع ضال بل القرآن الذي
انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في
المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس له خاصة يمتاز بها عن سائر
الاشياء

وكذلك من زاد على السنة فقال ان ألفاظ الابدان واصواتهم قديمة
فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا
مبتدع متكرر للسنة

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله واما من زد على ذلك من الجهال الذين يقولون ان الورق والجلد والوند وقعاة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ماتكم الله بالقرآن ولا هو كلامه هذا الغلو من جانب الاثبات يقابل التكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعة

وكذلك افراد الكلام في القطة والشككة بدعة نفا وانباتا وانما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل فان من قال ان المداد الذي تنقط به الحروف ويتشكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع

بل الواجب ان يقال هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال ما بين اللوحين جميعه كلام الله فان كان المصحف منقوطا مشكولا أطلق على ما بين اللوحين جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوط ولا مشكول كالصاحف القديمة التي كتبها الصحابة كان أيضا ما بين اللوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تاتي الفتنة بين المسلمين بأمر يحدث ونزاع لفظي لاحقة بقة له ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه

(فصل) وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقراءة

رضي الله عنهم فان الله تعالى أتى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضى عنهم ورضوا عنه وذكرم في آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
 سيأثم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثاهم في التوراة ومثلهم في
 الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب
 الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
 مغفرة وأجرًا عظيمًا وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
 تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً
 وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي
 فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
 ولا نصيفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم
 عمر رضي الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهما وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يصير ملكاً وقل صلى الله عليه
 وسلم عايكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمكوا
 بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحذرات الأمور فإن كل بدعة
 ضلالة

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء

الراشدين المهديين

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والامراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك تؤمن بالامساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو منابيين على عمائم الصالح مغفور لهم خطوهم وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسني فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ما حية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير أمة أخرجت للناس

ونعلم مع ذلك ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية ومن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضي الله عنه أقرب إلى الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كعمد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

ما يجب رعايتها فان الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة
 عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل لنا قولوا اللهم
 صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد
 وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد
 وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد
 ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وقد قال الله تعالى في كتابه
 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وحرّم
 الله عليهم الصدقة لانها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي
 بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال للعباس لما شكوا اليه جفوة قوم لهم قال ولذي نفسي بيده
 لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي

وفي الصحيح عن أبي صلي الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى
 بني اسماعيل واصطفى بني كنانة من بني اسماعيل واصطفى قريشا من
 كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم
 وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الامة بدمه صار قوم
 ممن يحب عثمان وينلو فيه يخرف عن علي رضي الله عنه مثل كثير من
 أهل الشام ممن كان اذ ذلك يسب علياً رضي الله عنه ويبغضه
 وقوم ممن يحب علياً رضي الله عنه وينلو فيه يخرف عن عثمان
 رضي الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضي الله عنه

ثم تغلظت بدعتهم بعد ذلك حتى سبوا أبا بكر وعمر رضي الله
عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلي جديما وتقديم أبي بكر وعمر عليهما رضي
الله عنهما لما خصهما الله به من الفضائل التي سبقا بها عثمان وعائياً جميعاً
وقد نهي الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله
فهذا موضع يجب للمؤمن أن يتثبت فيه ويصم بحبل الله فان
السنة مبناهما على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلي
الله عليه وسلم

قال روضة لما كانت نسب الصحابة صار العلماء يأمرون بمسقوبة
من نسب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا
حكمهم فيها في غير هذا الموضع

ولم يكن أحد اذذاك يتكلم في يزيد بن معاوية ولا كان الكلام
فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد
ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق الى لعنة غيره فكره
أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن
فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الغلاة فيه
على طرفي تقيض هؤلاء يقولون انه كافر زنديق وانه قتل ابن بنت
رسول الله صلي الله عليه وفضل الانصار وأبناءهم بالحرية ليأخذ بنار
أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جده لأمه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وغيرها وبذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واظهار الفواحش
 أشياء وأقوام يعتقدون أنه كان اماماً عادلاً هادياً مهدياً وأنه كان من
 الصحابة أو أكابر الصحابة وأنه كان من أولياء الله تعالى وربما اعتقد
 بعضهم انه كان من الانبياء ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار
 جهنم وبروون عن الشيخ حسن بن عدي انه كان كذا وكذا ولياً
 وقفوا على النار لقولهم في يزيد وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء
 باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان
 عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه فان طريقته كانت سليمة لم
 يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً
 ووجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله

ومذا الغلو في يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل

العلم بالإيمان

فان يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه
 ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء
 ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شبان المسلمين ولا
 كان كافراً ولا زنديقاً وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين
 ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما
 يحكي عنه خصومه

وجرت في امارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين رضي الله
 عنه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله ولانكت بالقتيب

على ثنائه رضي الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضي الله عنه الى الشام
لكن أمر بمنع الحسين رضي الله عنه وبدفعه عن الامر ولو كان بقتاله
فزاد الثواب على امره وحض الشمر ذي الجيوش على قتله لعبيد الله
ابن زياد فاعندي عليه عبيد الله بن زياد فطلب منهم الحسين رضي الله
عنه أن يجيء الى يزيد أو يذهب الي الثغر مرابطاً أو يعود الى مكة
فتموه رضي الله عنه الا أن يستأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه
مظلوماً له ولطائفة من أهل بيته رضي الله عنهم

وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل
عنه كان من أعظم أسباب الفتن في هذه الامة وقتلها من شرار
الخلق عند الله ولما قدم أهلهم رضي الله عنهم على يزيد بن معاوية
أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زياد اعلی قتله وقال
كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا
لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بثارته كان هو الواجب
عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب مضافاً الى أمور أخرى
وأما خصومه فزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا
نوابه وأهله فبث اليهم جيشاً وأمره اذا لم يعطيهوه بمد ثلاث أن يدخلها
بالسيف ويبيحها تلاً نصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثاً يقتلون
ويهبون ويقتضون الخروج المحرمة ثم أرسل جيشاً الى مكة المشرقة

مخاصروا مكة ونوفي يزيدوهم محاصرون مكة وهذامن العدوان والظلم
الذي فعل بأمره

ولهذا كان الذي عليه مقتصد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسب
ولا يحب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لابي ان قوما يقولون انهم
يحبون يزيد قال ياني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر
فقلت يا أباي فلماذا لاتلغنه قال ياني ومتي رأيت أبك يلعن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال لا
ولا كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل

فزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه بحجة الصالحين
وأولياء الله ولا يبغونهم لا يحبون لعنة المسلم المعين لما روى البخاري
في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً كان يدعى حمارة
وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم
ضربه فقال رجل لعنه الله ما أكثر يؤتى به الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتلغنه فانه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه لانهم يعتقدون أنه
فعل من الظلم ما يجوز لعنة فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لانه مسلم
تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة ويقولون لم يصح عنه ما نقل عنه
وكانت له محاسن ولم يصح عنه ما نقل عنه أو كان مجتهداً فيما فعله

والصواب هو ما عليه الأئمة من أنه لم ينحصر بمحبة ولا يامن ومع هذا
فان كان قاسماً أو ظالماً فالله يغفر لفايق والظالم لاسيما اذا أتى بحسنات

عظيمة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزوا القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاهما كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

وقد يشبه يزيد بن معاوية بعمر يزيد بن أبي سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كما مر الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر رضي الله عنه في نوح الشام ومثي أبو بكر في ركابه بوصيه مشيخاله فقال له يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال لست براكب ولست بنازل اني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله فلما توفي بعد فتوح الشام في خلافة عمر ولي عمر رضي الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه واقام معاوية بالشام الي أن وقع ما وقع

قالوا جب الافتصار في ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وانه من أكابر آل الحسين وأئمة العدل وهو خطأ بين

(فصل) وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به لارسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أوقرفندي فان هذه أسماء بطلية يأنزل الله بها من سلطان وايس في كتاب الله ولاسنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الائمة لاشكيلي ولا فرندي والواجب

على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلي ولا قرندي بل أنا
معلم متبع الكتاب الله وسنة رسوله

وتدروينا عن معاوية بن أبي سفيان انه سأل عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما فقال أنت على ملة على أو ملة عثمان فقال لست على ملة
علي ولا علي ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذلك
كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم
ما أبالي أي التعمتين أعظم على ان هداني الله للإسلام أو ان جنبني هذه
الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا
نعديل عن الاسماء التي سمانا الله بها الي اسماء أحسنها قوم و-موهاهم
وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الي امام
كالخنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو الي شيخ كالغادري والعدوي
ونحوهم أو مثل الانتساب الي القبائل كالقيسي واليماني والي الامصار
كالشامي والعراقي والمصري

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا
يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان
وأدليا. الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد
أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله
تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال

على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء، ففي صحيح البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل آداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالتواقل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع وبى يبصر وبى يبطش ولان سألنى لاعطينه ولان استعاضنى لاعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدله منه

فقد ذكر في هذا الحديث ان التقرب الى الله تعالى على درجتين * احدهما التقرب اليه بالفرائض * والثانية هي التقرب الى الله بالواقل بمد آداء الفرائض * فالاولى درجة المقتصدىن الابرار أصحاب اليمين * والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالى ان الابرار انى نعيم على الابرار ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسعون من رحيق محتوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضى الله عنهما يمزج لاصحاب اليمين مزجا ويشتربه

المقر بون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن
 بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله
 والله سبحانه قد أوجب موالاته المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب
 عليهم معاداة الكافر بن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله
 لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم
 يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من
 عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا
 أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لبعكم أحبعت أعمالهم
 فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
 يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين
 يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من
 يشاء والله ذو الفضل العظيم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين
 يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله
 والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعبادته المؤمنين وهذا
 عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو
 مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم
 أولياءهم بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض إلى قوله
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وقال
تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا إلى قوله ته إلى فاصلحوا بينهما بالعدل
وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين
أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين
في توادهم وتراحمهم وتماطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال
المؤمن للمؤمن كالبيضان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه وفي
الصحاح أيضاً أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسيئه ولا
يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عبادة المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجماعهم أخوة
وجماعهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف
ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا

وقال إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما
أمرهم إلى الله الآية

فكيف يجوز مع هذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم أن تفرق

وختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويمادي طائفة أخرى بلظن والهوى
بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم لمن
كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالأجوارج الذين فارقوا جماعة المسامحين
واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتمدون بحبل الله وأقل ما في ذلك
أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره أنقى لله منه
وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره
الله ورسوله وبحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله
وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله
✓ وأن يكون المسامحون بدأً واحدة فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس
إلى أن يضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق
للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين
فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله له هذه
الامة عن الخطأ والذنبان وقد قال تعالى في كتابه في دعاء لرسول صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وثبت في
الصحيح أن الله قال قد فعلت

لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أحسن من الإسلام مثل أن
يكون مثلكم على مذهب الشافعي أو منتسباً إلى الشيخ عدي ثم بعد

هذا تدخالف في شيء وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه
ودمه أو ماله مع ما قد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن
وكيف يجوز التفريق من الامة باسماء مبتدعة لأصل لها في كتاب
الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا التفريق الذي حصل من الامة علماءها ومشايخها وأمرائها
وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل
بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا
ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء
فمما ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء
وإذا فرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فإن
الجماعة رحمة والفرقة عذاب

وجاء ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعصموا
بِحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الي قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون
فمر الامر بالمعروف الامر بالاتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف
والفرقة ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة
الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أو طلب منه الرزق والصر
والهداية وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد
أن أحداً يستغنى عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فإن
تاب والا ضربت عنقه.

وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد
صلى الله عليه وسلم كما كان الحضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب
فإن تاب والا ضربت عنقه لأن الحضر لم يكن من أمة موسى عليه
السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له انى علم من علم الله
علمنيه الله لاتعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لأعلمه وكان
مبعوثاً الى بنى اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان انبييهم
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع التلئين انهم وجزهم
فمن اعتقد انه يسوع لاحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو
كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة
ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فإنه يجنب عن ذلك وعقوبته
بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فإنه اذا عوقب المعتقدون من جميع
الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم
الاسباب التي ترضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبصاح أمر المسلمين
ويجب على أولى الامر وهم علماء كل طائفة وأمرائها ومشايخها
أن يقوموا عامتهم ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيأمرونهم

بما أمر الله به ورسوله ويهوونهم عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها واقامة الجمعة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعياد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويج وصلاة الحناز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ومثل ما أمر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه والصبر لحكم الله واتسليم لامر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الي أهلها وبر الوالدين وصلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والمعدل في المقاتل والفعال ثم انشدني مكارم الاخلاق مثل أن أصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعنو عمن ظلمك قال الله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يجب الظالمين ولمن أنصبر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فاعظمه الشرك بالله وهو
أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو
ملكا من الملائكة أو نبيا من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحداً
من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون
الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فكل هذا وأشباهه من الشرك
الذي حرمه الله على لسان جميع رسله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل
أما بالغصب واما بالربا أو الميسر كالبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وأطفيف
المكبل والميزان والآنم والنجي بغير الحق

وكذلك ما حرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله ما لا يعلم مثل
أن يروى عن الله ورؤيه أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم حتمها أو يصف
الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا آتاه من علم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - واه كانت من صفات النفي والتعطيل مثل قول
الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لا يري في
الآخرة وانه لا يشكلم ولا يجب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو
كانت من صفات الانبات والتثليل مثل من يزعم انه يمشى في الارض
أو يجالس الخلق أو انه يرون باعينهم أو ان السموات تحويه ونحو
به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع الفرية على الله
وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
 فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فاحدث لهم الشيطان عبادات
 ضاهها بها مثل انه شرع لهم عبادة الله وحده لا شريك له فشرع لهم
 شركاء وهي عبادة ما سواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة
 القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً
 فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذي
 خلق أمر في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد
 واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم
 الافعال السجود لله وحده لا شريك له وقال تعالى وقرآن النجران
 قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
 وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امرؤا
 واحداً منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول
 لابن موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومرا النبي
 صلى الله عليه وسلم يابى موسى رضى الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع
 لقراءته فقال ياأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع لقراءتك
 فقال لو عامت لغير نملك تحبيراً وقال لله أشد اذناً أى استماعاً الى الرجل
 يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قبته

وهذا هو سماع المؤمنين وانف الامة وأكبر المشايخ كمروفي

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ونحوهم وهو سماع
 المشايخ المتأخرين الا كابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر
 والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان
 سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت
 الا مكاء وتصديا

قال السلف المكاء الصغير والتصديا التصفيق باليد فكان المشركون
 يجتمعون في المسجد الحرام يصفتون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة
 وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه
 فمن اتخذ نظير هذا الباع عبادة وقربة يتقرب بها الى الله فقد
 ضاها هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التي أتت
 عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ
 وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الافراح
 للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فان دين الاسلام واسع لا حرج فيه
 وعماد الدين الذي لا يقوم الا به هو الصلوات الخمس المكتوبات
 ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها
 كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب ابي عماله ان أهم أمركم
 عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها
 من عماله أشد اضرعا

وهي أول ما أوجب الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله
 إيجابها بمخاتبة رسوله ليلة المراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت
أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله و آخر ما يفقد من الدين
فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين
قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه يخاف من
بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يأتون بغيا
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره اضاعتها تأخيرها عن
وقتها ولو تركوها كانوا كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى والمحافظة عليها فاعمالها في أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتى ينجرح الوقت
وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا
تأخير صلاة الليل الى النهار لا للمسافر ولا للمريض ولا غيرها لكن يجوز
عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتي النهار وهي الظهر والعصر في
وقت ادها ويجمع بين صلاتي الليل وهي المغرب والعشاء في وقت
ادهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الاعذار
وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فعلي الرجل أن يصلي بطهارة كاملة وقراءة
كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادماً للماء أو ينضرب باستعماله
لمرض أو برد أو غير ذلك وهو محدث أو جنب يتيمم الصعيد الطيب وهو
التراب يمسح به وجهه وبديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان محبوباً أو مقيداً أو زمنياً أو غير ذلك صلى على
 حسب حاله واذا كان بازاء عدوه صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى
 واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان
 خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً واذا
 كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الى قوله وليأخذوا
 حذرهم وأسلحتهم الى قوله فاذا اطمانتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة
 كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

ويجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمرؤا بالصلاة كل أحد
 من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال انبي صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة اسبع واضربوهم على
 تركها امشرو وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس
 أوترك بهض فرائضها المنتفق عاينها فانه يستتاب فان تاب ولا نزل

فمن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لا يصلى عاينه ولا يدفن
 بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل لنفسه ولزاني
 المحسن وأمر الصلاة عظيم شأنها ان تذكر ههنا فانها قوام الدين وعماده
 وتمظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصصها
 بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى
 وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل
 لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وتارة يفتح بها أعمال البر
ويختتمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال
تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن
الغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون
إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغي وراء
ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لإمانتهم وعهدهم راعون والذين هم
على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم
فيها خالدون

فَسَأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نَسَائِمًا كَثِيرًا

﴿ نَمَتْ الرِّسَالَةُ السَّابِعَةَ ﴾

﴿ وَيَلْبِهَا الرِّسَالَةُ الثَّامِنَةُ لَهُ أَيْضًا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضى الله عنه من الديار المصرية
 في شوال سنة أربع عشرة وسبعمائة في حسن ارادة الله تعالى خالق
 الخلق وانشاء الانام وهل يخلق لعله أو لغير علة فان قيل لالعة فهو
 عبث تعالى الله عنه وان قيل لئله فان قائم انها لم تزل لزم أن يكون المعلوم
 لم يزل وان قلتم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال
 الجواب الحمد لله رب العالمين هذه المسئلة من أجل المسائل الكبار
 التي تكلم فيها الناس وأعظمها شمو وبافروعا وأكثرها شهاً ومحارات
 فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر
 والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود
 متعلق بهذه المسئلة فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق
 سبحانه وكذلك اشترائع كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها
 وهي متعلقة بمسائل النذر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه
 جوامع علوم اناس فعلم الفقه هو الامر والنهي
 وقد تكلم الناس في تعليل الاحكام الشرعية والامر والنهي كالامر
 بالتوحيد والصدق والعدل والصلاة والزكاة والصيام والحج والنهي عن
 الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك لحكمة ومصالحة
 وعله اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهل علل
 الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة
 وهل يسوغ في الحكمة أن ينهى الله عن التوحيد والصدق والعدل

ويأمر بالشرك والكذب والمظلم أم لا

ونكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزه عنه مع قدرته
عليه أم الظلم يمتنع لنفسه لا يمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه
وغضبه وسخطه هل هو بمعنى ارادته وهو النواب والمعقاب المخلوق أم
هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل
يريد ويحب ويرضاه كما يريد ويحب سائر ما يحدث أم هو واقع بدون
قدرته ومشيته وهو لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا أم هو
واقع بقدرته ومشيته ولا يكون في ملكه ما لا يريد وله في جميع خلقه
حكمة بالغة وهو بيغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى
لعباده الكفر ولا يريد الارادة الدنيئة المتضمنة لمحبهه ورضاه وان ارادة
الارادة الكونية التي تتناول ما قدره وقضاء وفروع هذه المسئلة كثيرة
ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى
التقديرات الثلاثة المذكورة في -ؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف
من بني آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات
لا لعله ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة
وهذا قول كثير ممن ثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام
والنقح وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد
وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نقاة القياس

الظاهرية كابن حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء أنه لو خلق الخالق لعلته لكان ناقصاً بدونها
مستكماً بها فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعه بها بالنسبة إليه
سواءً أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لاجلها
وان كان الثاني ثبت ان وجودها أولى به فيكون مستكماً بها فيكون
قبلها ناقصاً

ومن حججهم ما ذكره السائل من أن العلة ان كانت قديمة وجب
قزم المعلول لان العلة الغائبة وان كانت بتقدمة على المعلول في العلم
والقصد كما يقال أول المنكرة آخر العمل وأول البقية آخر الدرك
ويقال ان العلة الغائبة بها صار الفاعل فاعلاً فلا ريب أنها متأخرة في
الوجود عن العمل فمن فعل فعلاً لمطلوب يطالبه بذلك الفعل كان
حصول المطلوب بمد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة
قديمًا كان الفعل قديمًا بطريق الأولى (فلوقيل) أنه يفعل لعلته قديمًا يلزم
أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل أنه فعل
لعلته حادثة لزم محذور ان أحدهما أن يكون محلاً للحوادث فان العلة
إذا كانت منفصلة عنه فان لم يعد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها
أولى به من عدمها واذا قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثاً فيقوم
به الحوادث والمحذور الثاني ان ذلك يستلزم التسلسل من وجهين
أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضاً مما يحدثه الله
تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان

لعلة عاد التقسيم فيها فاذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه
 لزم تسلسل الحوادث الثاني ان تلك العلة اما ان تكون مرادة لنفسها
 أو لعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ما أراد الله
 تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كانت مرادة لغيرها
 فالقول في ذلك الغير كالتقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج
 من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية
 قديمة كما يقول ذلك طوائف من المسلمين كإسياني بيانه كما يقول ذلك من
 يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهؤلاء أصل قولهم ان المبدع
 للعالم علة تامة تستلزم معلولها لا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم
 حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلان كانت موجودة
 في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها
 معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا
 لانعنى بالعلة التامة الا ما يستلزم المعلول فاذا قدر انه يخلف عنها المعلول لم
 تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل
 وهي المقتضى التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من
 وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد
 المفعول بعد ذلك من نجد سبب والالزم ترجيح أحد طرفي الممكن
 بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالتقول في
 الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالتقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة

للمفعول بوجوب اما التمسك واما الترجيح بلا مرجح
ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكونهم
متناقضين فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لنفسه العلة الفاعلية
ويتولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لفاعل بالاختيار
وقولهم باطل من وجوه كثيرة * منها أن يقال هذا القول يستلزم
أن لا يحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم
ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح
وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلوها يقترن بها معلولها ولا يجوز أن
يتأخر عنها شيء من معلولها فكل ما حدث من الحوادث لا يجوز أن
يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما يصدر عنه الممكنات سوى
الواجب بنفسه الذي سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث
عنه وليس هناك ما يحدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وأيضا فلو قدر
أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالتقول في الواجب
الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة نستلزم مقارنة معلوله
له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لا بواسطة ولا
بغير واسطة لان تلك الواسطة ان كانت من لوازم وجود كانت قديمة
معه قامت مع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها
كالتقول في غيرها وان قدر ان المحدث لحدوث غير واجب بنفسه كان
يمكننا مفتقرا الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث
وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزمة له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لا يوجد هو ولا نقي من صفاته وأفعاله الاعن
الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعلة
قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضى الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث
سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل
كما تقدم

الوجه الثانى لذى يبين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحجة أنه
اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح والتسلسل
عندكم جائز فان أصل قولهم ان هذه الحوادث تسلسل شياً بعد شياً
وان حركات الافلاك توجب استعداد اقوابل لان تفيض عليها الصور
الحادثة من العلة القديمة سواء قلم هي العقل الفعال أو هي الواجب الذى
يصدر عنه بتوسط المقول أو غير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل
جائزاً عندكم لم يمتنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان
لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك ان
الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض في ستة أيام وهذا مما
اتفق عليه النبل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه خالقها بسبب
حدث قبل ذلك كان خيراً من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع
وكان أولى في العقل لان العقل ليس فيه ما يدل على قدم هذه الافلاك
حتى يمارض الشرع وهذه الحجة العقلية انما تقتضى أنه لا يحدث شياً
الاسبب حادث فاذا قيل ان السموات والارض خالقها الله تعالى بما
حدث قبل ذلك لم يكن في حججتكم العقلية ما يبطل هذا

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية إما أن يكون
 ممكناً في العقل أو ممتماً فإن كان ممتماً في العقل لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما
 يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام وطل قولهم بقدح حركات
 الافلاك وان كان محدثاً أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى
 كالسماوات والارض موقوفاً على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما
 يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير
 ذلك فيلزم فساد حججكم على التقديرين ثم يقال إما أن تثبتوا المبدع العالم
 حكمة وغاية مطلوبة وإما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم بأثبتات
 العلة الغائية وبطل ما ذكرناه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان
 وغير ذلك من المخلوقات وأيضاً فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة
 الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما
 يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت
 الشتاء بقدر الحاجة واحدائه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته
 وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتتم له حكمة مطلوبة وهي
 باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة
 فان القول بأن الماعل فعل كذا الحكمة كذا بدون كونه مربداً لتلك
 الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس
 تناقضاً ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة
 وأمثال ذلك

وأما التفسير الثالث وهو انه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثله لكن هؤلاء على أقوال * منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الى الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين لثواب وقالوا ان فعل الا - سان الى الغير حسن محمود في العقل تخاف الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم اناس أنتم متناقضون في هذا القول لان لاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم بحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصد الحمد والثواب بذلك واما لرقه وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتذذذ وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتبذل بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعده بالنسبة الى الفاعل سواء لم يعلم ان مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يمد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فملا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم

علامة أفعاله فراراً من العيب فوقعتم في العيب فان العيب هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونحو ذلك الامالة في ذلك من المنفعة والمصلحة والافاسر الفاعل بفضل لا يعود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لاني العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر

وانشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي فثبت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبي حنيفة نفسه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعاً للفاعل ملاماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والتقبيح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وتندب اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل ومفسدة له

والمعزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالي لا بمعنى حكم يعود اليه
من أفعاله ومنازعوهم لما اعتقدوا ان لاحسن ولا قببح الا ما عاد الي
الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالي هو الممتنع
لذاته وكل ما يقدر ممكننا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه
عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الي
الفاعل منه حكم يقوم بذاته اذ عندهم لا يقوم بذاته وصف ولا فعل
ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على
ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون
على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون
ذلك العدل والحكمة مع قصور عقابهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون
له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدبرا ولا يقولون
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقررون بانه خالق كل شيء ويثبتون
له من الظلم ما نزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه
من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالي ما يبدل القول لدى
وما أنا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم في حديث البطاقة الذي
رواه الترمذي وغيره بجاء برجل من أمتي يوم القيامة فتشتر له تسعة
وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيقال له هل تشكر من هذا شيئاً
فيقول لا يارب فيقال له لا ظلم عليك اليوم ويؤتى ببطاقة فيها شهادة
أن لا اله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت

السجلات وثقلت البطاقة فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظلم
بل يتاب على ما أتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجهور هؤلاء الذين يسمون عدلية يقولون من فعل كبيرة
واحدة أحببت جميع حسناته وخلد في نار جهنم فهذا الذي سماه الله
ورسوله ظلماً يصفون الله به مع دعواهم تزييمه عن الظلم ويسمون
تخصيصه من يشاء برحمته وفضله وخلقه ما خلقه لما فيه من الحكمة
البالغة ظلماً

والكلام في هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نهينا
على مجامع اصول الناس في هذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم
من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ما هو الاصلاح
في دينه وتنازعوا في وجوب الاصلاح في دنياه ومذهبهم انه لا يقدر ان
يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير ما فعل ولا يقدر ان يهدي
ضالاً ولا يضل مهتدياً

وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث
والصوفية وأهل الكلام وغيرهم والمتفلسفة أيضاً فلا يوافقونهم على
هذا بل يقولون انه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمة يعلمها وهو يعلم
العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطاعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك
والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كرسالة محمد
صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخلق ورحمة
منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال
تعالى وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا
أليس الله باعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفراً قالوا هو محمد صني الله عليه وسلم

فاذا قل القائل فقد تضرر برسائله طائفة من الناس كالذين كذبوه
من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف
شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت
مافي قلوبهم وبالجهاد والجزية التي أخافهم وأذاتهم حتى قل شرهم ومن
اتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره وكان ذلك
تقليلاً لشره والرسول صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكفيها
وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان والجواب الثاني ان ما حصل
من الضرر أمر مغمور في جنب ما حصل من انفع كالمطار الذي نفعه
اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكنتسين
كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصاحته عامة كان خيراً مقصوداً
ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجاب به طوائف
من المسلمين وأهل الكلام والفقهاء وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم
ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفلسفة

وقال هؤلاء جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من
حكمة قال تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء وقال الذي أحسن كل
شيء خلقه والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقاً
وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم
اضافة الشر وحده الى الله بل لا يذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة
اما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم أفاد عموم
القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما شتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم
واما أن يضاف الى السبب الفاعل واما ان يحذف فاعله فالاول كقوله
تعالى الله خالق كل شيء ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المتقترنة كالعطي المانع والضار النافع المعز
المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن
قرينه لان اقترانها يدل على العموم وكل من في الوجود من رحمة
ونفع ومصالحة فهو من فضله تعالى وما في الوجود من غير ذلك فمن
عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملائ لا ينيصها نقمة سبحانه
الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خالق السموات والارض فانه لم ينقص
ما في يمينه والقسط بيده الاخرى بخفض ويرفع فاخبر ان يده اليمنى فيها
الاحسان الى الخلق و يده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض
ويرفع تخفضه ورفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فنقل قول الجن وأنا لا ندري أشر أريد بمن
في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً وقوله تعالى صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

وأضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فاردت أن أعيها
مع قوله فاراد ربك أن يبالغاً أشدها ويخرجها كنزها وقوله تعالى
ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله
ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم
أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأمنال ذلك

ولهذا ليس في أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر وإنما يذكر
الشر في مفعولاته كقوله نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي
هو العذاب الاليم وقوله ان ربك لم يع العقاب وأنه لغفور رحيم وقوله
اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو
بيدي ويميد وهو الغفور الودود فيبين سبحانه ان بطشه شديد وأنه
هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وإنما جاء في القرآن مقيداً كقوله تعالى أنا من المجرمين
منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذي في عدد الاسماء
الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم وذكر في سياقه البر انتواب المنتقم العفو
الرؤف ليس هو عند أهل المعرفة بالمحدث من كلام النبي صلى الله عليه
وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

احد من أهل الكتب المشهورة الا الترمذى رواه من طريق الوليد
 ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف في الاسماء وفي ترتيبها يبين انه
 ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث
 عن أبي هريرة ثم عن الاصمعي ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان
 الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين
 اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل
 الصحيح كالبخارى ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الاسماء من طريق
 أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه
 واسناده ضعيف يعلم أهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى
 الله عليه وسلم وليس في عدد الاسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم
 الا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبي هريرة وهذا
 مبسوط في موضعه

وانقصود هنا التنبيه على أصول تقع في معرفة هذه المسئلة فان نفوس
 بني آدم لاتزال يقول فيها من هذه المسئلة أمر عظيم
 واذا علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة
 عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته
 ما يهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال - نزيهم
 آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فانه صلى الله عليه
 وسلم قال في الحديث الصحيح لله أرحم من الوالدة بولدها وفي
 الصحيحين عنه انه قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحسدة فيها يتراحم الخلق حتى ان الدابة لترفع حافرها عن
 ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم
 القيامة جمع هذه الي تلك فرحم بها عباده او كما قال
 ثم هؤلاء الجبور من المسلمين وغيرهم كائنة المذاهب الاربعة
 وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة فلا ينفونها كما نفاهم
 الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشية بلا رحمة ولا
 محبة ولا رضا وجملوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لا يفرقون بين
 الارادة والمحبة والرضا بل ما وقع من الكفر والفسوق والمصيان قالوا
 انه يحبه ويرضاه كما يريدو واذا قالوا لا يحبه ولا يرضاه ديناً قالوا انه
 لا يريدو ديناً وما لم يقع من الايمان والتقوى فانه لا يحبه ولا يرضاه عندهم
 كما لا يريدو وقد قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول فأخبر انه
 لا يرضاه مع انه تدره وقضاه ولا يوافقون الممتزلة على انكار قدر الله
 تعالى وعموم خلقه ومشيته وقدرته ولا يشبهونه بخلقهم فيما يجب ويحرم
 كما فعل هؤلاء ولا يسلبونه ما وصف به نفسه من صفاته وأعماله بل
 أثبتوا له ما أثبتة لنفسه من الصفات والافعال ونزهوه عما نزه نفسه من
 الصفات والانعال وقالوا ان الله خالق كل شئ ومليك وما شاء كان وما لم
 يشأ لم يكن وهو على كل شئ قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى
 عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين آمنوا بهم باحسان
 ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله
 وقالوا مع انه خالق كل شئ وبه وما يملك فقد فرق بين المخلوقات أعيانها

وأفعالها كما قال تعالى أن جعل المصلحين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين
اجتروا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محباهم
ومحباهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم يجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات
كالفسدين في الأرض أم يجعل المتقين كالفجار وقال وما يستوى الأعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور وما يستوى الأحياء
ولا الأموات وأمثال ذلك مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق
إلى شقي وسعيد كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
وقال تعالى فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة وقال تعالى يدخل
من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً وقال تعالى ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة
يحسرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فالويل لك في
العذاب محض ون ونظائر هذا في انقرآن كثير

وينبغي أن يعلم ان هذا المقام زل فيه طوائف من أهل الكلام
والتصوف وصاروا فيه إلى ما هو شر من قول المعتزلة ونحوهم من القدرية
فان هؤلاء يظنون الأمر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا
أنهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقاً متناولاً لكل شئ لزم
من ذلك القدح في عدل الرب وحكمته وغلطوا في ذلك فقابل هؤلاء
قوم من المراء والعباد وأهل الكلام والتصوف فثبتوا القدر وآمنوا
بان الله رب كل شئ ومليكه وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه خالق

كل شيء وهذا حسن وصواب لكنهم قصروا في الامر والنهي والوعيد والوعيد وافراطوا حتى غلبهم الى الاتحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فاولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا قاعلا لما اعتقدوه شراً غير الله سبحانه فهو لاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المنركون فانفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وغيرها أنهم لا يقرون بالجزية وجمهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهي فهو شر من أثبت الامر والنهي ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الزبوية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمن والكافر وأهل العاعة وأهل المصيبة لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وابلوس سواء ونوح وقومه - واء وموسى وفرعون - سواء والسابقون الاولون والكافرون سواء وهذا

الضلال قد كثرت في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا
 قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيمة من غير اثبات
 المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد
 الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد
 الالهية ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن
 الله رب كل شيء لا يكون توحيداً حتى تشهد أن لا اله الا الله كما قال
 تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة نسألهم
 من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا
 نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا
 يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة
 وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول
 ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون
 الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
 سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب
 العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا نتقون قل من بيده ملكوت كل
 شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني
 تسجرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر
 الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض يقول الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون
وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى
الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من
لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق
السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أهله مع الله بل هم قوم يدلون أم من
جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزاً أهله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أهله مع الله
قل لا مانذرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل
الرياح بشراً بين يدي رحمة أهله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدأ
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أهله مع الله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بان الله
خالق السموات والارض وخالقهم ويعيده ما كوت كل شيء وكانوا
مقرين بالقدر

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في
النظم والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لان شريك له
بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرأ من اليهود والنصارى
فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده
توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأى مقام ذات فيه أقدم وضلت فيه افهام وبدل
فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن
يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام
ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعه القدرية
المتبين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن
والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمنفي الكاذب وأولياء الله
وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الحلال
في كتاب السنة في الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصي
وذكر المروزي قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر
العباد فقال هكذا لا نقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء
ويهدى من يشاء

وذكر عن المروزي ان رجلاً قال ان الله لم يجبر العباد على المعاصي
فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا
عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهم ما جميعاً حتى قال أو أمر أن يقال
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهدي

قال أنكر سفيان الثوري جبر وقال ان الله جيل العباد
قال المرزوي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شئ عبد
القيس بمعنى قوله ان فيك لخليتين يجهبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين
تخلقت بهما أم خلقين حببت عليهما فقال بل خلقين حببت عليهما فقال
الحمد لله الذي جيلني على خلقين يجهبهما

وذكر عن أبي اسحاق الفزاري قال قال الاوزاعي أتاني رجلان
فسألاني عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما ونجيبهما فقلت
رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتاني الاوزاعي ومعه الرجلان فقال
تكلمما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر ونازعناهم
فيه حتى بلغ بنا وبهم الي أن قلنا الله جبرنا علي ماهانا عنه وحال بيننا وبين
ما أمرنا به ورزقنا ما حرم علينا فقلت يا هؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به
قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا واني أراكم قد خرجتم من البدعة الي
مثل ما خرجوا اليه فقال أصبت وأحسن يا أبا اسحاق

وذكر عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدي والاوزاعي عن
الجبر فقال الزبيدي أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل
ولكن يقضى ويقدر ويخاق ويحيل عبده على ما أحب

وقال الاوزاعي ما عرف له جبر أصلا من القرآن والسنة فأهاب
أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبر فهذا يعرف في
القرآن والحديث * وقال مطرف بن الشخير لم نوكل الي القدر واليه
نفسير * وقال ضمرة بن ربيعة لم نوكل ان نتوكل على القدر واليه نفسير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم
من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله
أفلا ندع العمل ونشكل على الكتاب فقال لا تعملوا فكل ميسر لما خاق
له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الحلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى
القدرية وان كانوا لا يحتاجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتاج به على
المعاصي * ومعلوم انه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتاج به
على اسقاط الامر والنهي اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا
اعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف
وروى في ذلك حديث مرفوع لان كلام هاتين البدعتين تفسد الامر
والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر
الفرائض والمحارم والقدرى ان احتج به كان عوناً للمرجى وان كذب
به كان هو والمرجى قد تقابلا هذا يبالغ في التشديد حتى لا يجعل العبد
يستعين بالله على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا يبالغ في التناحية
الآخري

ومن المعلوم ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق
الرسل فيما أخبرت وتطاع فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع
الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك
معارضاً للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهي

الذي بعث الله به رساله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن أحدهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والافليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفرد أهله أو غير ذلك فحق لاه أو ذمه أو طاب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذي لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع فان الجوع يفرق بين الخبز والتراب والمطشان يفرق بين الماء والشراب فيجب ما يشبعه ويرويه دون ما لا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحي وان كان من كان لا بد أن يفرق بين ما ينفعه وبينه وبين ما يضره ويشقيه ويؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم (والناس في الشرع والقدر على أربعة أنواع فشر الخلق) من يحتاج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه في الذنوب والمعائب ولا يطعن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المصيبة جبرى أى مذهب وافق هو الك تذهب به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك * وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لعلنا نأسوا على ما فاتكم ولا نفرحوا بما آتاكم والله

لا يجب كل محتال نخور * وقال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله
ومن يؤمن بالله يهد قبليه * قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة
فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم * قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب
الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام انه لما فعل ما فعل قال
ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن
ابليس انه قال فيما أغويتني لازينن لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين
فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس

(والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما
السلام) لما قال له موسى أنت آدم أبو البشر خافك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وعلمك أسماء كل شيء لماذا أخرجتنا ونفكك من الجنة فقال
له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك
التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم
ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسى وهذا الحديث
في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقد روى باسناد جيد عن عمر
رضي الله عنه قال انما حج موسى لان موسى لاه على ما فعل لاجل
ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لاجل حق
الله في الذنب فان آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى فتلقى آدم من
ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن

هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوب والمغفرة لا يبقى ملام
علي الذنب و آدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه
السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذا الحججة فان هذه لو كانت حججة
على الذنب لكانت حججة لابليس عدو آدم وحججة لفرعون عدو
موسى وحججة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حججة
لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك
وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه * وقد قال تعالى ما أصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * وقال أنس خدمت النبي صلى الله
عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا لشيء لم أفعله لم لأفعله * وكان بعض أهله اذا عتبنى على شيء يقول
دعوه فلو قضى شيء لكان * وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها
قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا
دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نبل منه قط شيء فانتقم
لنفسه الا أن تنهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يتم انصبيه شيء
حتى ينتقم لله * وقد قال صلى الله عليه وسلم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت
انعمت بها ففي أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقوم الحدود
على من تعدي حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه
مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا
سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كل مصائب السماوية أو بفعل لاسبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لا يبيل الى لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله ان يستوفى مظالمه على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لا ينظرون الى القدر لاني المصائب ولا في المصائب التي هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أباؤا استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذي مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر في حقهم دعوه فلو نضى شيء لكان لاسبيا وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبا كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما آذمت أيديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تمهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من منبى القدر ونفاته هؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلاء

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ما أصابك من حسنة
 فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد يجيبهم الاولون بقراءة
 مكذوبة فمن نفسك بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا
 أي أفمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ما أصابك فيقولون
 تقدير الآية فهاطولا، القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فيحرفون
 لفظ القرآن ومناه ويجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من
 قول المنافقين الذين أنكروا قولهم ويضرون في القرآن مالا دليل
 على نبوته بل سياق الكلام ينفيه من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى
 القرآن وبحقيقة المذهب الذي ينصره وأما القرآن فالمراد هنا بالحسنة
 والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله
 تعالى ان تمسككم حسنة تؤمهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان
 تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصبك حسنة تؤمهم
 وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل ويتولوا وهم فرحون
 قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى
 وبلوناهم بالحسنة والسيئات لعلمهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر
 والخير فتنة والينا ترجعون أي بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء
 بالحسنة فله خير منها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثله أو امثال
 ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ
 فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين
 وذلك انه اذا قال ما أصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل

غيرك بك كما قال ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وكما قال تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم واذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لانه هو الجائي بها فهذا يكون فيما فعله العبد لافيا فعل به وسياق الآيتين يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحوض على الجهاد وذم المتخافين عنه فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانظروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابكم مصيبة قال قد أنعم الله على ادلمأ كن معهم شهيدا واثن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فامر سبحانه بالجهاد وذم المتبطئين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم أحد فقال أولا أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها فإني هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأيدته كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأتم أدلة ثم انه سبحانه قال فليقال في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال ثم لي ومالكم لانتم تلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذه من عند الله وان أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به فان الكفار

كانوا يضيفون ما أصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر
نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالى واخذنا آل فرعون
بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ونظيره قوله تعالى في
سورة يس قالوا ربنا بعلم انا اليكم امرسون وما علينا الا البلاغ المبين
قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجنكم ولينسنكم من العذاب اليم فاخبر
الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم م بلاء جعلوه
بسبب أهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عز وجل فقال
تعالى فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن
الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم
عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بث الله به رسله ما يكون
سبباً للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالى ما أصابك من حسنة
فمن الله أي ما أصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمه أنعمها عليك
وان كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذي هدانا لهذا وأعانك ويسرك
للسري ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر
والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهي حديث أبي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى يا عبدي
انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد
الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه
وفي الصحيح سيد الا-تغفار اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت
 أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب الا أنت
 من قالها اذا أصبح موقفا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا
 أمسى موقفا بها فمات من ايلته دخل الجنة ثم قال تعالي وما أصابك من
 سيئة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أي بذنوبك
 وخطاياك وان كان ذلك مكتوبا مقدرًا عليك

فان القدر ليس حجة لاحد على الله ولا على خلقه ولو جاز
 لاحد ان يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل
 مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد في
 الدين والدنيا المعلوم ضرورة وافاده به مريح المعقول المطابق لما جاء به
 الرسول فاقدر يؤمن به ولا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس
 ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقر بالامر والقدر وطعن في
 عدل الله وحكمته كان شبهها بابليس فان الله تعالي ذكر عنه انه طعن
 في حكمته وعارضه برأيه وهواه وأنه قال فيما اغويتني لازين لهم في
 الارض

وقد ذكر طائفة من اهل الكتاب وبعض المصنفين في المقالات
 كالكهرستاني انه ناظر الملائكة في ذلك ممرضاً لله تعالي في خلقه وامره
 لكن هذه المناظرة بين ابليس والملائكة التي ذكرها الكهرستاني في
 اول المقالات ونفاها عن بعض اهل الكتاب ليس لها اسناد يعتمد عليه
 ولو وجدناها في كتب اهل الكتاب لم يجوز أن نصدقها مجرد ذلك فان

الذي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح انه قال اذا حركتكم أهل الكتاب فلا تدعوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدنوكم بحق فتكذبونه واما أن يحدنوكم بباطل فتصدقونه وبشبه والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات و'صنفون في المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الأشعري وغيره ما نقله في المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأوطأ تصنيفاً في هذا الباب ولهذا توجد المقالات منقولة بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان إبليس كما رأينا كثيراً منهم يضع كتاباً أو قصيدة على لسان بعض اليهود أو غيرهم ومقصودهم بذلك الرد على اثبتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لانهم لا بالكذب بالقدر كما وضعوا في مناب ابن كلاب انه كان نصرانياً لانه أثبت الصفات وعندهم من أثبت الصفات فقد أشبه النصراني وتناقى أمثال هذه الحكايات بالقبول من المنتسبين الى السنة من لم يعرف حقيقة أمرها

والقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتاج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عندهم بذنوبهم فلو كانت حجته مذبولة لم يذنبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية منفقون على ان العبد هو المحدث للمصيبة كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين الا وقد أنعم بمنزلها على الكفار
 فعندهم ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأباهب مستويان في اعمه
 الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل وأجبر
 عيه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها
 وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا
 خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حجب الايمان الى الكفار كابي
 لهب وامثاله كما حجب الى المؤمنين كعلي رضي الله عنه وامثاله وزينه في
 قلوب الطائفتين وكره الكفر والنسوق والمعصيان الى الطائفتين سواء
 لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء
 لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن توهم منهم أو من نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من
 العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء التدريه ولا
 يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كضله للمعصية
 كأنما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بإرادة خلقه فيه تختص
 باحدهما فاذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم
 وكانت الآية حجة عليهم لالههم لانه قال تعالى قل كل من عند الله
 وعندهم ليس الحسنات المنعولة ولا السيئات المنعولة من عند الله بل
 كلاهما من العبد وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك
 من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنات المنعولة من العبد
 لا من الله سبحانه وتعالى

وكذلك من اتيح من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى
قل كل من عند الله كان مخطئاً فان الله ذكر هذه الآية رداً على من
يقول الحسنه من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من اناس ان الحسنه
المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس العبد
وان قال أهل الاثبات ان الله خلقه وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لا ينكرون
ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خلقها
وأيضاً فان قوله بعد هذا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من
سيئة فمن نفسك يمنع أن يقسم بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لا يقولون
ان الله خلق احدهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خالق الجميع
الافعال وكل الحوادث

(ومما ينبغي أن يعلم) ان مذاهب سلف الامة مع ان قولهم الله
خالق كل شيء وربهم ومليكه وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه على
كل شيء قدير وانه هو الذي خلق العبد هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً
واذا مسه الخير منوعاً ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدره
قال تعالى ان شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب
العالمين وقال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا
أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضع اضطرب فيه الخاضعون في القدر فقالت المعتزلة
ونحوهم ان النفقة الكفر والفسوق والعصيان أفعال تبيحها والله منزها
عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا يكون فعلاً له وقال من رد عليهم

من المائلين الى الجبر بل هي فعله وليست أفعالا لا لبلاد بل هي كسب
 للعبد وقالوا ان قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة
 من صفاتها وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لها فيكون
 الفعل خلقا من الله وابدانا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه
 مقارنا لقدرة

وقالوا ان العبد ليس محدثا لافعاله ولا موجودا لها ومع هذا فقد
 يقولون اما لا نقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثة والجبر المحض
 الذي لا يثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذي أتت به وبين
 الخلق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق
 هو المقدور بالقدرة القديمة وقالوا أيضا الكسب هو الفعل القائم بمحل
 القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم
 الناس هذا لا يوجب فرقا بين كون العبد كسبا وبين كونه فعلا وأوجد
 وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو
 أيضا مقدور بالقدرة الحادثة وهو قائم في محل القدرة الحادثة وأيضا
 فهذا فرق لا حقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أو خارجا عن
 محلها لا يعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبني على أصلين ان الله لا يقدر
 على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العقلاء
 من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثاني ان قدرة العبد لا يكون
 مقدورها خارجا عن محلها وفي ذلك نزاع طويل ليس هذا موضعه
 وأيضا فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو خارجا عن المحل وأيضاً قال لهم المنازعون من المستقر في
 فطر الناس ان من فعل العدل فهو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم
 ومن فعل الكذب فهو كاذب فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه
 وعدله بل الله هو فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم
 قالوا وهذا كما قلتم أتم وسائر الصفاتية من المستقر في فطر الناس
 أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قامت
 به الحركة فهو متحرك ومن قام به التكلم فهو متكلم ومن قامت به
 الارادة فهو مرید وقلتم اذا كان الكلام مخلوقا كان كلاما للمحل الذي
 خلقه فيه كسائر الصفات فهذه القاعدة المطردة فيمن قامت به الصفات
 نظيرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بذكر اضافة
 هذه الافعال الى العباد كقوله تعالي جزاء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا
 ما شئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات وأمثال ذلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل منفقان
 على أن العبد يحمى ويذم على فعله ويكون حسنة له فلو لم يكن الا فعل
 غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها

وفي المسئلة كلام ليس هذا موضع بسطه لكن ننبه على نكت نافعة

في هذا الموضع المشكل

فنتقول قول القائل هذا فعل هذا وفعل هذا لفظ فيه اجمال فانه
 تارة يراد بالفعل نفس الفعل وتارة يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت
 هذا أفعله فعلا وعمات هذا أعماله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل

الذي هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل
 هنا المعمول قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
 كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن
 هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين
 ما بمعنى الذي والمراد به ما تحتونه من الاصنام كما قال تعالى أعبدون
 ما تحتون والله خلقكم وما تعملون أي والله خلقكم وخلق الاصنام التي
 تحتونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق
 كل صانع وصنعه لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد
 من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن
 يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها فانها انما صارت معمولة
 بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً
 لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه
 فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست
 معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقاً لافعالهم
 والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع أنواع وذلك كلفظ البناء
 والحياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلى المفعول وكذلك
 لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول يقع على نفس مسمى المصدر
 وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة
 المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر
 والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التضرفات فعل الله أو فعل

العبد فان اراد بذلك انها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين
وبصرح العقل والكن من قال هو فعل الله اراد به انها مفعولة مخلوقة
لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل يقوم به فلا
فرق عنده بين فعله ومفعوله وخالقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا يقولون هذه مخلوقة
لله مفعولة ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القاسم به وهي أيضاً
مفعولة له اذا اريد بالعل المفعول فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين
الفعل والمفعول اذا قال انها فعل لله تعالى وليس اسمى فعل الله عنده
معنيان فيشذ فلا تكون فعلاً للعبد ولا مفعولة له بطريق الاولى

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب وللعبد فثبت مفعولاً بين مفعولين
وأكثر المستزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون
الا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا
عظم النزاع وأشكلت المسئلة على الطائفتين وحاووا فيها

وأما من قال خالق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته
قال ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر
المفعولات ولم يقل انها نفس فعل الرب وخالقه بل قال انها نفس فعل
العبد وعلى هذا نزول اشبهه قال يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من
القبائح يتصف بها من كان فعلاً له كما يفعلها العبد وتقوى به ولا يتصف
بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها صفة غيره كما أنه لا يتصف
لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وغير ذلك فاذا كان قد خلق لوان الانسان لم يكن هو المتلون به واذا خالق راثمة منتنة أو طعماً مرّاً أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً به - هذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والافعال القبيحة ومعنى قبيحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لآلمه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره .

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الافعال القبيحة الضارة لفاعلها حكمة عظيمة كإله حكمة عظيمة فيما خلقه من الامراض والعموم ومن يقول لا تعمل أفعاله لا يعمل لاهذا ولا هذا

بوضح ذلك ان الله تعالى اذا خلق في الانسان عى ومرضاً وجوطاً وعطشاً ووجعاً ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم نضرر هذه المخلوقات وما فيها من الاذى والكراهة عاد اليه ولا يعود الى الله تعالى شيء من ذلك فكذلك ما خلق فيه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيئات وقبائح أى انها تؤذي صاحبها وتضره وقد تؤذي أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه وتبين ربحه ونحو ذلك قد يؤذي غيره ويضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق في العبد كفرة أو فسوقاً على سبيل الجزاء كما في قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وقوله فلما زاغوا

أزاع الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد
وكسباً له يجزى عليها ويستحق الذم عليها والعقاب وهي مخلوقة لله تعالى
فالقول عند أهل الأثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما
يخلقه جزاء من هذا الوجه وان افرقا من وجه آخر وهم لا يمكنهم
أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الي كون هذا فعلا لله دون هذا وهذا
فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هذا يحسن من الله تعالى لكونه
جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء العبد بما يضره وهم
لا يقولون لا يحسن منه أن يضر الحيوان الابحرم سابق أو عوض لاحق
وأما أهل الأثبات للفرد فمن لم يعمل منهم لا يفرق بين مخلوق ومخلوق
وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه
من الحيوان حكم عظيمة كماله حكم في غير هذا ونحن لا نحصر حكمته
في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل
لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في
الأفعال معطلة في الصفات * ومن أصولهم الفاسدة أنهم يصفون الله بما
يخلقه في العالم اذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به
ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام بخلقه في غيره
ومريد بارادة يخدمها لاني محل وقولهم ان رضاه ورضاه ورضاه وبنفسه
هو نفس المخلوق الذي يخلقه من الثواب والعقاب وقولهم انه لو كان
خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من
الاقوال التي اذا تدبرها الماقل علم فسادها بالضرورة

ولهذا اشتد نكير السلف ولائمة عليهم لاسيما لما اظهروا الله لربان
القرآن مخلوق وعلم السلف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى
وانه لو كان كلامه هو ما يخلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له
فيكون انطقه للمجلود يوم القيامة وانساقه للجبال والحصا بالتبويض
وشهادة الايدي والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل
شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلوية والجهمية كصاحب
الفصوص وأمثاله ولهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه • سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول ان الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك
المحل فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها واذا
خلق لونا أو ريحا في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك واذا خلق علما
أو قدرة أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي فكذلك
اذا خلق ارادة وحبا وبنضا في محل كان هو المريد المحب البغض فاذا
خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذا خلق له كذبا وظلما وكفرا
كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحججا كان
العبد هو المصلي الصائم الحاج والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته
بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجهود المسلمين
من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس
هو نفس السموات والارض بل الخالق غير المخلوق لاسيما مذهب
السلف والائمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله

فان الممنزلة ومن وافقهم من الجهمية القدرية نقضوا هذا الاصل على
من لم يقل ان الخالق غير المخلوق كالا شعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم
ان الصفة اذا قامت بمحل تاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما
ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم
بالمعدل والاحسان وغيرهما من افعال الله تعالى فانه يسمي عادلا بمعدل
خالقه في غيره محسنا باحسان خالقه في غيره فكذلك يسمي متكلمًا بكلام
خالقه في غيره

والجمهور من اهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل
ويقولون انما كان عادلا بالمعدل الذي قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذي
قام بنفسه ، وأما المخلوق الذي حصل لاميد فهو اثر ذلك كما انه رحيم
رحيم بالرحمة التي هي صنته وأماما بخلقته من الرحمة فهو اثر تلك الرحمة
واسم الصفة تقع تارة على الصفة التي هي المصدر وتقع تارة على متعلقها
الذي هو مسمى المفعول كلفظ الخالق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق
أخري والرحمة تقع على هذا ، هذا وكذلك الامر يقع على أمره الذي
هو مصدر أمر بأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان
أمر الله قدرا مقدورا ، كذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع
على المقدور وانظر هذا متبذرة

وقد استدل أحمد وغيره من ائمة السنة في جملة ما استدلوا على ان
كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات
ونحو ذلك وقالوا الا تاذن لنا نحصل للمخلوق وطرد هذا قول النبي صلى الله

عليه وسلم اللهم لني أعوذ برضاك من سخطك وبمعاقتك من عنوبتك
وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد أهل البدع والضلال لا يستطيعون على
فريق منتسبين إلى السنة والهدى إلا بما دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى
وضلال آخر لا سيما إذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم
عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين إن استطاعوا
خروج الشعرة من العجين كما فعلت الفراطية الباطنية والفلاسفة وأمثالهم
بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطالوا على الأشعرية
ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفي الأفعال
القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصاهم الذي استدلوا به عليهم من أن كلام
الله غير مخلوق وإن الكلام وغيره من الأمور إذا خلق بمحل واحد حكمه
على ذلك المحل واستطالوا عليهم بذلك في مسألة القدر واضطروهم إلى
أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من التبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد
ثم أثبتوا كسبا لاحقيقة له فإنه لا يعقل من حيث تعلق القدرة
بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يسخرون بمن
قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي
هاشم وكسب الأشعري اضطروهم إلى أن فسروا تأثير القدرة في
المقدور بمجرد الاقتران العادي والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم
ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة فليس جعل هذا مؤثرا في هذا
الباب بأولي من العكس ويقع بين المعلول وعلمته المنفصلة عنه مع أن

قدرة العباد عنده لا يتجاوز بمحملها ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول
وأبو اسحاق الاسفراہني الى قول وأبو المعالي الجويني الى قول لمسارأوا
في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود
هنا التنبيه

ومن التكت في هذا الباب ان لفظ التامير ولفظ الجبر ولفظ الرزق
ونحو ذلك ألفاظ مجتمعة فاذا قال النائل هل قدرة العبد مؤثرة في
مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدهما القدرة
الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الامر والنهي والثاني القدرة
القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها فالاولى
هي المذكورة في قوله تعالى والله على الناس حجج البيت من استطاع اليه
سيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت
الا على من حج فلا يكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد
وراحلة وهو قادر على الحج أو لم يكن وكذلك قول النبي صلى الله عليه
وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي
جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم
اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم لو أراد استطاعة لا تكون الا مع
الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ما تفعلون فلا يكون من لم يفعل شيئا عاصيا له
وهذه الاستطاعة المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون
في مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لا يثبت استطاعة الا ما قارن الفعل
وتجد كبراً من الفقهاء يتناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من انتكاهم

المثبتين لا قدر ان الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل وافقوهم على ذلك
 واذا خاضوا في الفقه ثبتوا الاستطاعة المتقدمة التي هي مناط الامر
 والهي وعلى هذا تنفرع مسألة تكليف مالا يطابق فان العاقبة هي
 الاستطاعة وهي لفظ يحمل فالاستطاعة الشرعية التي هي مناط الامر
 والهي لم يكلف الله أحداً شيئاً بدونها فلا يكلف مالا يطابق هذا تفهيم
 وأما العاقبة التي لا تكون الا مقارنة للفعل فجميع الامر والهي تكليف
 مالا يطابق بهذا الاعتبار فان هذه ليست مشروطة في نهي من الامر
 والهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف
 المعلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والهي
 كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره
 الله ونهاه فهو مستطيع به هذا الاعتبار وان علم انه لا يطيقه وان أريد
 بالقدرة القدرة القدريّة التي لا تكون الا مقارنة للمفعول فمن علم انه لا يفعل
 الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما لا يريد
 أولاً يأمر لا بما يريد فان الارادة لفظ فيه احتمال يراد بالارادة الارادة
 الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ماشاء الله كان وما لم
 يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
 ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصمد في السماء وقول
 نوح عليه السلام ولا ينزلمكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان
 الله يريد أن يقويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لا يريد به هذا التفسير

والله في كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على أنه لم
يؤت كل نفس هداها مع أنه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء
على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا ان شاء الله أو ليردن
وديعة أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر ان شاء الله أو ليصومن
رمضان ان شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فإنه اذا لم يفعل المحلوف
عليه لا ينجث مع ان الله أمره به لقوله ان شاء الله فعلم ان الله لم يشأ
مع أمره به وأما الارادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضا وهي ملازمة
للامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم
ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيئا لا يريد الله اذا كان
يفعل بعض الفواحش أي انه لا يحبها ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه
وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكره الفعل على الفعل
بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل
وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد لرضا والاختيار
بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتقاد ويراد بالجبر خالق ما في النفوس
من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذي
جبر العباد على ما أراد كما في الدعاء المأثور عن علي رضي الله عنه جبار
القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان
لفظ الجبر محملا نهى الأئمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق
فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه الله أو ملكه فلا يدخل الحرام
في معنى هذا الرزق كما في قوله تعالى وما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً وأمثال ذلك وقديراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تملك فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الأئمة من اطلاق ذلك نفيّاً واثباتاً كما تقدم عن الاوزاعي وأبي اسحاق الفزاري وغيرهما وكذا لفظ التأثير فيه اجمال فان القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلّة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من أسبابه وعلّة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علّة للفعل وسبب ومعلوم انه ليس في المخلوقات شيء هو وحده علّة تامة وسبب قام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لا يكون الحادث به وحده بل لا بد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الازر فكل سبب فهو موقوف على وجود الشرط وانتفاء الموانع وليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه
 الا واحد واعتبر ذلك بالاسباب الطبيعية كالسخن والبرد ونحو ذلك
 فان هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار
 والثاني قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت
 على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط
 بالجسم المقابل للشمس الذي ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب
 والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذي قدره في أنفسهم لا وجود
 له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلي الذي
 يثبت الفلاسفة كالوجود المجرد من لصفات وكالعقول المجردة وكالكليات
 التي يدعون تركيب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليةين وامثل ذلك
 لا وجود لها في الخارج بل انما توجد في الازهان لافي الاعيان وهي أشد
 بعدا عن الوجود من الجوهر الفردي الذي يثبت من يثبت من أهل الكلام فان
 هذا الواحد لاحقيقة له في الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه
 والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحوادث أو بسبب
 يتوقف حدوث الحوادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك
 بخناق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا
 الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالاثر من غير مشارك
 معاون ولا معاوق مانع فليس شئ من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده
 خالق كل شئ فلا شريك له ولا ند له فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ما يفتح
 الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قل

ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهر ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممككات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظائر هذا في القرآن كثيرة فاذا صرف ما في لفظ التأثير من الاجمال والاشترك ارتفعت الشبهة ورفع الالتماس من الطائفتين فن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضية للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدره ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم يحدث له معرفة من الله و ارادة لم تكن قبل الفعل فقوله معلوم الفساد وقيل هؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات فكل ما به يعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بمد أن لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدته ويرجع وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من مشكلة الانبيات القائلين بالتقدير سلموا للممتزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح احد مقدره على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسألة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الي جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الرجحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلا مرجح أو الارادة

القديمة ترجح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من
أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم
بنفسه وان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقائلين
بقدم العالم قالوا هذا الذي قلموه معلوم الفساد بالضرورة وبحجوز هذا
يقضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك
يسد باب اثبات الصانع

ثم ان هؤلاء المثبتين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفة القدر
وقالوا حدوث فعل العبد بعد ان لم يكن لا بد له من محدث مرجح تام
غير العبد فان ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث
المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذي قلوه حق وهو حجة
قاطعة على القدرية اكنهم تقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى
وادعوا هناك ان البدئية فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات
فان كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حججهم على المعتزلة ولم يبطل قول
القدرية وان كان باطلا بطل قولهم في احداث الله وفعله للعالم وهذا
هو الباطل في نفس الامر فان القول بأن الممكن لا يترجح وجوده على
عدمه الا بمرجح تام امر معلوم بالضرورة لا يمكن القدح فيه
وهو عام لا تخصيص فيه فالفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن
خلق العالم هو العالم وانه حدث بعد ان لم يكن بغير سبب حادث ومن
قال ان قدرة العبد وغيرها من الاسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات
ليست اسباباً أو ان وجودها كعدمها وليس هناك الا مجرد اقتزان عادي

كافتران الدليل بالمداول فقد جحد ما في خلق الله رشرعه من الاسباب
 والحكم ولم يجعل في العيين قوة تماز بها عن الحد تبصر بها ولا في القلب
 قوة يماز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمازها عن التراب
 تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما في الاجسام المطبوعة من الطبائع والنرايز
 قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى
 والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لا ينبغي
 للانسان ان يقول انه شبع بالخبز وروى بالله بل يقول شبعت عنده
 ورويت عنده فان الله يخلق الشبع والرى ونحو ذلك من الحوادث عند
 هذه المقتربات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى
 يقول وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا اقلت
 سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات
 الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
 موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نترصدكم
 ان يصيبكم الله بهذاب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء
 فأنبثنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذي أنزل من السماء ماء
 فأخرجنا به نبات كل شيء وقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه
 شراب ومنه شجر فيه تسمية ونبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
 والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب
 مثلاً ما الى قوله يضرب به كثيراً ويهدى به كثيراً وقال قد جاءكم من الله
 نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ومثل

هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن أحد منكم الا اذ يتموني حتي أصلي عليه فان الله جاعل بصلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وان الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير

ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الاسباب المقدورة في خالق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون ان ما يحصل بالدعاء والاعمال الصالحة وغير ذلك من الخبرات ان كان مقدراً حصل بدون ذلك وان لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا النبي صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونشكل على الكتاب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن انه قيل يا رسول الله أرأيت أدوية ننتدوى بها وأرقية نسترقى بها وتقاة ننتهيا هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسباباً تغبير في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خالق الاسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فاذا قال القائل ان كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب والامر يحصل

جوابه انه مقدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق للجنة خلقها لخلقها لهم وهم في أصلاب آبئهم ويعمل أهل النار يعملون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر له عمل أهل
 السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر له عمل أهل الشقاوة
 وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله
 صلي الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في
 بطن أمه أربعين يوما ثم يكون عاقبة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
 ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله
 وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي نفسي بيده ان أحدكم يعمل
 بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
 فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار
 حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
 أهل الجنة فيدخلها فبين صلى الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل
 الذي يعمل ويحتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمل ويحتم له
 به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالحوادث وذلك لان جميع
 الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من
 صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم
 أبطل عمله وبالجملة فلذى عليه ساف الامه وأتمها ما بعث الله به رسوله
 وأنزل كتبه فهو مؤمنون بخاق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني
 وحكمه الديني واراذه الكونية والدينية كما قال في الاول فمن يرد الله
 ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً
 حرجاً كأنما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفمكم نصحي

ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يقويكم وقال تعالى في الارادة الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم رهـم مع اقرارهم بان الله خالق كل شيء وربهم ومليكهم وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقرون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويضعونه ويتابعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلمون عليه ويناديون اليه وبوالوزن اولياءه ويمادون أعداءه ويقرون بحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبفضله لما نهي عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده الثائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال نحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه قاله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا راحلته

فهو الههم الذي يعبدونه وربههم الذي يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الي قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواء فانما يحبونه لاجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواها
ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر
بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلتقى في النار وفي الترمذي وغيره
أوثق صري الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض
لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سبحانه يحب عباده
المؤمنين

وكال الحب هو الحلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما
وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلا واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم
في المسيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا وقال لو كنت متخذنا خليلا من أهل الارض لانخذت أبا بكر
خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الامة
وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت
الجهمية ومن تبعهم محبته وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ
الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسطة وقال
يأيها الناس فحوا تقبوا الله فحواياكم فاني مضح بالجمع بن درهم انه
زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما
يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبجه وهذا أصل مسألة ابراهيم الذي
جعل الله اماما للناس قال تعالى واذا تبى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن
قل انى جاءك للناس اماما وقال ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله
وهو محسن وآتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن

قال ان المراد بمحبة الله محبة التقرب اليه فقوله متناقض فان محبة التقرب اليه تبع لمحبة فمن أحب الله نفسه أحب التقرب اليه ومن كان لا يحب نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لا يطيعه ولا يمتثل أمره الا لاجل غرض آخر فهو في الحقيقة إنما يحب ذلك الغرض الذي عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيلة اليه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن يجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض وجهه ويتقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعظاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل ما ينتعمون فيه ومحبة النظر اليه تبع لمحبة فانما أحبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويوجد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتتمما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاة وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه أكمل كان تنعمه به - هذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره حبيب الى من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قررة عيني في الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يقول أرحنا بالصلاة يا بلال وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والنقص هنا ان عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم - بحبانه وحبهم له بحسب فمأهم لما محبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في سماع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي ولئن سألتني لاعطينه ولئن استعاذني لاعينده وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

فقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويشنون عليه فهم لا يحرصون ثناء عليه بل هو كما أتت على نفسه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي الصحيح انه قال لأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع اني حمدت ربي فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف باسمات

الكمال التي لا يبلغها عقول الخلائق فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفي
 الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما تدرؤا الله حق
 قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
 قال يقبض الله الارض ويطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا
 الملك أنا القدر وس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهين أنا الذي بدأت الدنيا
 ولم تك شيئا أنا الذي أعيدتها وفي رواية بحمد الرب نفسه فهو بحمد
 نفسه ويثني عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغني بنفسه لا يحتاج الي
 أحد غيره بل كل ما سواه فقير اليه يسأله من في السموات والارض
 كل يوم هو في شان وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
 كفوا أحد فاذا فرح بتوبة التائب وحب من تقرب اليه بالتواقل
 ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره
 ولا مستكمل بسواه فانه هو الذي خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى
 فعلوا ما يحب ويريضاه ويفرح به فهذه المحبوبات لم تحصل الا بقدرته
 ومشيئته وخالقه فله الملك لا شريك له وله الحمد في الاولى والآخرة
 وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتاج به الجمهور الذين يثبتون
 لافعاله حكمة تتعلق به بحبها وريضاها وبفعل لاجلها قالوا وقول القائل
 ان هذا يقتضى انه مستكمل بغيره فيكون ناقصا قبل ذلك

فهو أجوبة أحدها ان هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات
 فما كان جوابا في المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لانقل في الشاهد
 فاعلا لا مستكملا بفعله

الثاني انهم قالوا كما له أن يكون لا يزال قادرا على الفعل بحكمة فلو
قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا

الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل
بقدرته ومشيتته لا شريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا الى غيره
واذا قيل كمل بفعله لذي لا يحتاج فيه الى غيره كان كماله قيل كمل
بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ما يجد
فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه
يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال
عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال
كما ان وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل
شيء نقصا بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص كما ان وجود ما لا يصلح
وجوده نقص فتبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة
عدمها هو النقص لان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا
بالصفات الثبوتية المتضمنة لكمالته وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة
لكماله أيضا فكان عدم ما ينفي عنه هو من الكمال كما ان وجود ما يستحق
ثبوتها من الكمال واذا عقل مثل هذا في الصفات فكذلك في الافعال
وعونها وليس كل زيادة بقدرها الذهن من الكمال بل كثير من
الزيادات تكون نقصا في كمال اللزيد كما يفعل مثل ذلك في كثير من
الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء في وقت نقصا وعيبا في

حقه وفي وقت آخر كلاً ومدحاً في حقه كما يكون في وقت مضرة له
وفي وقت منفعة له

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث الحكمة ومن
لا يقدر على ذلك كان معلوماً ببديهية العقل ان القادر على ذلك أكمل
مع ان الحوادث لا يمكن وجودها الا حوادث لا تكون قديمة واذا كانت
القدرة على ذلك أكمل وهذا المقدور لا يكون الاحادنا كان وجوده
هو الكمال وعنده قبل ذلك من تمام الكمال وعدم الممتع الذي هو
شرط في وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون به - هذا الاصل هنا ثلاث فرق فرقة
تقول ارادته وجبه ورضاه ونحو هذا قديم لم يزل راضياً عن علم انه
يموت مؤمناً ولم يزل ساعطاً على من علم انه يموت كافراً كما يقول ذلك
من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لا يلزمهم
التسلسل لاجل حلول الحوادث لكن يعارضهم الاكثرون الذين
ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما ينازعونهم في الارادة فانهم قالوا اذا
كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء
فاختصاص زمان دون زمان بالحدوث ومفعول دون مفعول تخصيص
بلا تخصيص قال أولئك ارادة من شأنها ان تخصص قال لهم المعارضون
من شأنها جنس التخصيص وأما تخصيص هذا الم عين على هذا المعين
فليس من لوازم الارادة بل لا بد من سبب يوجب اختصاص أحدهما
بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخص ارادته ولكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا إلا لسبب اقتضاء التخصيص والافلو نساوي
 ما يمكن ارادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك
 دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتى جوز هذا السد باب
 اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمن النظر فيه علمه حقيقة وإنما
 ينازع فيه من يقلد قولاً قلة غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول
 الجمهور اذا كان الله تعالى راضياً في أزله ومحبباً وفرحاً بما يحدثه قبل أن
 يحدثه فاذا أحدثه هل حصل بإحدثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها
 أو لم يحصل إلا ما كان في الأزل فان قلم لم يحصل إلا ما كان في الأزل
 قيل ذلك كان حاصلًا بدون ما أحدثه من المفـمولات فامتنع أن نكون
 المفـمولات فعلت لكي يحصل ذلك فقولكم كما تضمن أن المفـمولات تحدث
 بلا سبب يحدثه الله تتضمن أنه بفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها قالوا
 فقولكم يتضمن نفى ارادته المقارنة ومحبتـه وحكمته التي لا يحصل
 الفعل إلا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به نحصل بمشيتـه وقدرته كما
 يحصل الفعل بمشيتـه وقدرته كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل
 الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ما أخبر به
 من صفاته وأفعاله بذاته والمعتزلة تنفي قيام الصفات والافعال به وتسمى
 الصفات أعراضاً والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به لاعراض ولا
 الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم أنهم ينزهون الله تعالى
 عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص و آفة فانه القدوس السلام الحمد السيد الكامل في كل نعمت
من نعوت الكمال كما لا يدرك الخالق حقيقته منزهاً عن كل نقص تنزيهاً
لا يدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق
تعالى أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق
بتنزيهه عنه وأولى ببرأته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر
الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
في قوله تعالى الحمد قال السيد الذي كمل في سوده والشريف الذي
قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد
كمل في حكمته والنفى الذي قد كمل في غناه والمختار الذي قد كمل في
جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحاميم الذي قد كمل في حلمه
وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه
صفته لا ينبغي الا له ليس له كفو ولا كمثل شيء سبحانه الواحد القهار
وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة
الوالي لكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس ولكن مثل هذا
الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الحمد
الكامل في صفاته وأفعاله ونبت عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنه قال
الحمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الأقوال وما أشبهها لا تأتي ما قاله
كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدي
والضحاك وغيرهم من أن الحمد هو الذي لا جوف له وهذا نقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، ووقفا أو صرفا فإن
 كلا القولين - حق كما بسط الكلام عليه، ولفظ الاعراض في اللغة قد
 يفهم منه ما يمرض الانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث
 والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الانسان من الافعال المذمومة والبدع
 التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان من الامراض ونحو ذلك والله
 تعالى يحب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن
 هذه الامور ولكن لم يكن مقصودا المعترلة بقولهم هو منزه عن الاعراض
 والحوادث الا في صفاته وافعاله فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا
 مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خاق ولا احسان ولا
 عدل ولا اتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته
 وافعاله وجواهر المسادين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من ينازعهم
 في الصفات دون لافعال ومنهم من ينازعهم في بعض الصفات دون
 بعض ومن الناس من ينازعهم في العلم القديم ويقول ان فعله قديم وان
 كان المنقول محدثا كما يتول في نظير من يقوله في الارادة وبسط هذه
 الاتوال وذاكر قائمها وادلتهم مذكورة في غير هذا الموضوع
 والمقصود هنا التنبيه على مجامع اجوبة الناس عن السؤال المذكور
 وهذا الفريق اثنى اذا قال لهم الناس اذا انتمم حكمة حدثت بعد ان لم
 تكن لزمكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر
 ما أحدثه من الفعولات ونحن نخاطب من يسلم لنا انه اذا أحدث المحدثات
 بعد ان لم تكن فاذا قلنا انه أحدثها بحكمة حادثة لم يكن له ان يقول

هذا يستلزم التسلسل بل يقول له القول في حدوث الحكمة كقول
في حدوث المفعول الذي ترتبت عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا
كان جوابنا عن هذا

فاما خصم الفريق الثاني للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من
أئمة الحديث والفقهاء والصوفية ، أهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية
ولم تشفوا الغليل به - هذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعية ولا
العقلية ما ينفي مثل هذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان
أحدهما التسلسل في العلل والمعولات فهذا ممتنع وفاقا والثاني التسلسل
في الشروط والآثار فهذا في جواز قولنا معروفان لا سامين وغيرهم
وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هذا ومن
هؤلاء الساف والائمة الذين يقولون لم يزل الله متكلماً اذا شاء ، وانه
لم يزل يقوم به ما يملق بمشيتته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء
ان ما - يتدل به منازعهم على نفي التسلسل في الآثار امتناع وجود
مالا يتناهي في الماضي أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجنتين مع زيادة
أحدهما وكزيادة اشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التي بين هؤلاء
فسادها وتفرضها عليهم بالحوادث في المستقبل ويعقود الاعداد وبمعلومات
الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط في موضعه

والدور نوعان فالدور القبلي السبقى ممتنع واما الدور المعى الاقتراني
وهو أن لا يكون هذا الا مع هذا فهذا الدور في الشروط وما أشبهها
من المتضابفات والمتلازمات ومثل هذا جائز فهذه مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال
 الاول قول من لا يعمل لا أنه له ولا أحكامه
 والثاني قول من يعمل ذلك بأمور مباحة له منفصلة عنه من
 جملة مفعولاته

والثالث قول من يعمل ذلك بأمور قائمة به متعلقة بقدرته ومشيئته
 لكن يقول بنفسها حادث

والخامس قول من يعمل ذلك بأمور متعلقة بمشيئته وقدرته فان
 كان الفعل المقضى للحكمة حادث النوع كانت الحكمة كذلك وان قدر
 أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وأنه لم يزل كذلك كانت الحكمة
 كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لا ريب ان الله
 عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثة يجب
 أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هي غير
 متناهية في الانتهاء فان وجب أن يكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث
 بدون تسلسلها فاذا قال القائل لو فعل لعلة محدثة لكان القول في حدوث
 تلك العلة كالقول في حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على
 هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابتداء واذا فعل الفعل
 لحكمة محدثة كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون للعللة المحدثة
 علة محدثة الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابتداء فاما اذا جاز أن لا يكون
 لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيل يجوز أن تكون الحوادث غير متناهية في الابتداء كما أنها غير
 متناهية في الانتهاء عند المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك
 إلا بعض أهل البدع الذين يقولون بقاء الجنة والنار كما يقوله الجهم بن
 صفوان أو بقاء حركات أهل الجنة كما يقوله أبو الهذيل فإنه هذين
 أوجباً أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء
 وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتداء خالفوهم في الانتهاء وقالوا
 لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين
 والمقصود هنا أن الجواب يحصل على التقديرين فمن جوز أن
 يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل
 في الآثار والشروط لا تسلسل في العلة والمؤثرات والممتنع إنما هو
 الثاني دون الأول وقال أنه لا يقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك
 طوائف من متقدمي أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون
 لها ابتداء قال في حدوث العلة ما يقوله في حدوث المفعول إذ لا فرق
 بينهما في هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اماً أن يجوز تعليله
 أولاً فإن لم يجز تعليله كان هذا هو التقدير الأول وعلى هذا التقدير
 فلا يسمى هذا عبثاً وإذا سماه المسمى عبثاً لم تكن تسميته عبثاً قدحا
 فيما نحقق فإنا نتكلم على تقدير امتناع التعليل وإذا كان التعليل ممتنعاً
 وجب القول به ولو سماه المسمى بأى شيء سماه وإن جاز تعليله فلا
 يخلو إما أن يجوز تعليله بعلة حادثة وإما أن لا يجوز فإن قيل لا يجوز

ذلك لزم كون العلة قديمة وامتنع على هذا التقدير قدم المعلول فانا نشكلم
على تقدير جواز تعليل المفعول الحادث بعلة قديمة وان قيل يجوز تعليله
بعلة حادثة أمكن القول بذلك ثم اما أن يقال يجوز تعليل الحوادث بعلة
متناهية الفاعل فلا يلزم أن يقوم به شيء حادث يجب أن يقوم به الحكمة
وان كانت مقصورة مرادة له فان قيل بالاول لزم كون العلة الحادثة
منفصلة عنه ولزم على هذا كون الفاعل يحدث الحوادث بعد ان لم تكن
لعلة حادثة بغيره من غير حدوث سبب يوجب أول الحوادث ولا قيام
حادث بالحدث وان قيل بل لا يجوز أن يحدث الحوادث لغير معنى يعود
اليه بل يجب أن يقوم به ما هو السبب والحكمة في حدوث الحوادث
فانه يجب القول بذلك ثم اما أن يقال هذا يستلزم التسلسل أولا يستلزمه
فان قيل لا يستلزمه لم يكن التسلسل على هذا التقدير محذورا لان التقدير
انه يجوز تعليل أفعاله بعلة حادثة وان ذلك يستلزم التسلسل ومن المعلوم
ان الامر الجائز لا يستلزم ممتعا فانه لو استلزم ممتعا لكان ممتعا بغيره
وان كان جائزا بنفسه والتقدير انه جائز جوازا مطلقا لا امتناع فيه وما كان
جائزا جوازا مطلقا لا امتناع فيه لم يلزمه ما يمتنع ثبوته فيكون
التسلسل على هذا التقدير غير ممتنع فهذا جواب عن السؤال من غير
الترام قول بينه بل نيين انه ليس في نفس الامر محذور ولكن السؤال
مبنى على است مقدمات لزوم العيب وانه منتف ولزوم قدم المفعول وانه
منتف ولزوم التسلسل وانه منتف فصاحب القول الاول يقول لا أسلم
نه يلزم العيب وصاحب القول الثاني يقول لا أسلم انه يلزم قدم المفعول

وصاحب القول الثالث يقول لا أعلم انه يلزم التسلسل أو يقول قد سلم انه
التسلسل في الآثار ممتنع فهذه أربع ممانعات لا بد منها ويمتنع أن تكون
كلها فاسدة بل لا بد من صحة واحد منها وأيا صح اندفع السؤال به
وهو المقصود لان القسمة العقلية تحصر من الاقسام فيما ذكر فمن
توجه عنده أحد الاقسام قال به ونحن قد بسطنا الكلام على أصول هذه
المسئلة ولو ازمها وأفوال الناس فيها في غير هذا الموضوع

والمقصود هنا الذب عن مجموع المسلمين فان هذا السؤال مما أورده
على الناس القائلون بقدم العالم وقد ذكرنا عنه أجوبة متعددة فيما كتبناه
في جواب شبهة القائلين بقدم العالم

ومن جملة أجوبتهم أن يقال هذا السؤال ايس مختصا بحدوث العالم
بل هو وراد في كل ما يحدث في الوجود من الحوادث والحدوث مشهود
محسوس متفق عليه بين العقلاء فكل ما يورده المورد على حدوث خلق
السموات والارض يورد عليه نظيره في الحوادث المشهودة

وقد بينا على جنس ما محتج به كل طائفة من الطوائف في هذا المقام
أكن استقصاء الكلام في ذلك لانه هذه الاوراق ومن فهم ما كتب
انفتح له الكلام في هذا الباب وأمكنه أن يحصل تمام الكلام في جنس
هذه المسائل فان الكلام فيها بالتدرج مقاما بعد مقام هو الذي يحصل
به المقصود والافاذا هجم على القلب الجزم بمقالات لم يحكم أدلتها وطرقها
والجواب عما يارضها كان الي دفعها والتكذيب بها أقرب منه الى

التصديق بها فلهذا يجب أن يكون الخطاب في المسائل المشككة بطريق
ذكر كل قول ومعارضة الآخر له حتى يتبين الحق بطريقه

لمن بر يده - دابته ومن لم يجمل الله له نورا فسأله

من نور والله يقول الحق وهو يهدي

السييل والله - سبحانه

وتعالى أعلم

﴿ تمت الرسالة الثامنة ﴾

﴿ ويلها الرسالة التاسعة له أيضا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اقرارا به
وتوحيدا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
تسليما مزيدا

(اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام

الساعة أهل السنة والجماعة)

✓ الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايان
بالتقدير خيره وشره

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكبير ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثل شئ وهو اجمع
البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه
ويحدون في أسماء الله وآياته ولا يمتلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه
لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسوله
صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال
سبحانه وتعالى سبحانه رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون
لارسال وسلام على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيها وصف وسمى به نفسه بين التفي ولائبات فلا
عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم
صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التي
تعديل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب
الله حيث يقول الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له
ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم
ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع
كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما (أي لا يكرهه ولا يتقله)
وهو العلي العظيم فللهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من
الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل
على الحي الذي لا يموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم ما يلج في
الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وعنده مفاتيح
الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا
يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وقوله يعلموا ان الله على
كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقوله ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين وقوله ليس كمنه شيء وهو السميع البصير ان الله نعم

يعظكم به ان الله كان سميماً بـيرا وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت
ماشاء الله لاقوة الا بالله ولو شاء الله ما اتيتل الذين من بعدهم من بعد
ما جاءتهم البينات ولكن اخلفوا فنههم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء
الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد أحات لكم بهيمة الانعام الاماتلي
عليكم غير محلي الصيد وأتم حرم ان الله يحكم ما يريد فن يرد الله أن
يهدبه يشرح صدره الاسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا
حرجا كأنما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا
ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله ص ما كانوا بنيان مرصوص
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله
رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وسمت
كل نبي رحمة وعلما وكان بالمومنين رحمة كذب ربكم على نفسه الرحمة
وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وقوله ومن
يقتل مؤمنا متعمدا جزاؤه جنة خالدا فيها و غضب الله عليه واعنه
وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما
أسفونا اتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم وقوله كبر مقتا عند
الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور هل ينظرون
الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك كلا اذا

دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا يوم نشق السماء بالانعام
 وازل الملائكة تنزيلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
 كل شيء هالك الا وجهه وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
 ر قالت اليهود يد الله مغلولة غات أيديهم ولما قالوا بل يدها
 مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
 وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر والقيت
 عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك
 في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول
 الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا أم يحسبون أنا
 لانسمع سرهم ونجواهم بلي ورسائنا لديهم يكتبون اني معكم أسمع
 وأري وقوله ألم تعلم بان الله يرى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في
 الساجدين وتل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والؤمنون وقوله
 شديد المحال وقوله رمكروا مكروا ومكرونا مكروا وهم لا يشعرون وقوله
 انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيرا أو تحذو أو تعفوا
 عن سوء فان الله كان عفوا غفيرا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن
 يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقوله فله العزة ولرسوله فبمزتكم لانيهم
 أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقوله فاعبده
 واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله
 أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم
 كحب الله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله ما في السموات وما في
الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم
يخذولداً وخلق كل شيء فقدره تقديراً ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله
عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فلا تضربوا لله
الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والانس والجن بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى
ثم استوي على العرش في ستة مواضع يا عبادي اني متوفيك ورافعك الى
بل رفعة الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ياها مان
ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الي اله موسى
واني لاظنه كاذباً أمنت من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي
تمور أم أمنت من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف
نذير وقوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوي
على العرش بعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك
ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله
بكل شيء عليم لا تحزن ان الله معنا اتى معكم أسمع وأرى ان الله مع

الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قبيلا واذا قال الله يا عيسى بن مريم وامت كلمت ربك صدقا وعدلا وكلم الله موسى تكليما منهم من كلم الله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا واذا نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم انهما كما عن نلكما الشجرة ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وان احدم من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علموه يريدون ان يبدلوا كلام الله قل ان تتبعونا وائل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا يبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل وهذا كتاب انزلناه مبارك لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يحدثون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وجوه يؤيد ناضرة الي ربه ناظرة على الاراتك ينظرون للذين احسنوا الحسنى

وزيادة لهم ما يشاؤون عند ربهم لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى

منه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدله عليه وتأمير عنه وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم برأحه الحديت متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله إلى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره بنظر اليكم أذنين قنطين يظل يضحك يعلم أن فرحكم قريب حديث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول ليك وسعديك فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعناً إلى النار متفق عليه وقوله في رقبة المريض ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلى الله عليه وسلم الا تأمنوني وأنا أمين من في السماء رواه البخاري وغيره وقوله والمرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أتم عليه رواه أبو داود والترمذي وغيرهما
 وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا
 قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة رواه مسلم وقوله صلى الله
 عليه وسلم أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حينما كنت حديث حسن
 وقوله إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله تزين وجهه فلا يبصق قبل وجهه
 ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو نحت قدمه متفق عليه وقوله صلى الله
 عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب
 كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك
 من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت
 الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن
 فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواه مسلم وقوله
 لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم
 لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً أن الذين تدعون
 أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله إنكم سترون ربكم
 كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا
 على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه
 إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن ربه بما يخبر به

(فان الفرقة الناجية) أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما
 يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكيف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الائم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وآله الى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين او عديّة من القدرية وغيرهم وفي باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتوارى عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه على على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجب اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيم عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وانه مناحق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يسان عن

الضنون الكاذبة ودخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى
 واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني
 فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحته وما ذكر في الكتاب
 والسنة من قربه ومعينه لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه
 ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو على في دنوه قريب في علوه

ومن الايمان به وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق
 منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذي أنزله
 على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز
 اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه
 في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما
 يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبالغاً مؤدياً وقد دخل أيضاً
 فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه ورساله الايمان بأر المؤمنين يرونه يوم القيامة
 عياناً بابصارهم كما يرون الشمس يحسوا ليس دونها سحاب وكما يرون
 القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات
 القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى

ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه
 وسلم مما يكون بعد المات فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه
 فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما
 دينك ومن نبيك فيثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن

الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي صلى الله عليه وسلم وأما المراتب
فيقول آه آه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت به فيضرب
بمرزبة من حديد يصيح صيحة بسمعها كل شيء الا الانسان ولو سمعها
الانسان لصمق ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم واما عذاب الي يوم القيامة
الكبرى فتعاد الارواح الي الاجساد فتقوم القيامة التي أخبر الله تعالى
فيها في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليهما المسامون
فيقوم اناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنون منهم
الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين
خسروا أنفسهم في جهنم خالدون وتشر الدواوين وهي صحائف الاعمال
فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه
وكل انسان أئتمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه
منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبحساب الله
الحلائق ويخلو بعبد المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب
والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون حساب من توذن حسناته وسيئاته
فانهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصر فيوقفون عليها ويقررون
بها ويجزون بها وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه
وسلم ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آيته عدد نجوم
السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا
والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الأبل ومنهم من يمدو عدوا ومنهم من يمشى مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلتي في جهنم فإن الجسر عليه كلاب يخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض فإذا هذبوا وثقوا اذن لهم في دخول الجنة

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من

يدخل الجنة

وله في القيامة ثلاث شفاعات أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضل رحمة ويبقى في الجنة فضل عن دخلها من أهل الدنيا فينتهي الله له أقواماً فيدخلهم الجنة وأما في ما تضمنه الدار الآخرة من الحساب والعقاب والجنة والنار وتفصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآخرة من العالم الماثورة عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده
 وأؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره
 والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى
 الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو
 موصوف به أزلاً وأبدأ وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي
 والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير
 الخلائق فأول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب
 ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أساب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم
 يكن ليصيبه جنت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه ألم تعلم أن
 الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير
 وقال ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل
 أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة
 وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء فإذا خلق جسد الجنين قبل
 نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه
 وأجله وعمله وشقى أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان بنكره
 غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة
 الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم
 يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا يكون الا بمشيئة
 الله سبحانه لا يكون في ملكه الا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء
 قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء

الا لله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه وقد أمر العباد بطاعته
وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين
والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يرضى عن
القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب
الفساد

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعباد هو المؤمن والكافر
والبر والفاجر والمصلح والصابغ وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة والله
خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال لمن شاء منكم أن يستقيم وما
تسأون إلا أن يشاء الله رب العالمين * وهذه الدرجة من القدر يكذب بها
عامّة القدرية الذين سبواهم النبي صلى الله عليه وسلم بحجوس هذه الأمة
ويغلو فيها قوم من أهل الأثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره
ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها

ومن أصول الفرقة الناجية أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب
واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح * وأن الإيمان يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية * وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي
والكبائر كما يفعله الجوارح بل الأخوة الإيمانية نابتة مع المعاصي كما قال
سبحانه في آية انفصاح فمن عفى له من أخيه شيء وقال وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فأصاحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلتها
التي تبغي حتى تنفي إلى أمر الله فإن قامت فأصاحوا بينهما بالعدل وأقسطوا
إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون أخوة

ولا يسلبون الفاسق المسمى اسم الايمان بالكلية ويخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الايمان في مثل قوله فتحرر برقبة ولا يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليها فيها ابصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بآيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطابق الاسم

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصاهم الله في قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أتق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه ويقبلون ما جاء به الكتاب أو السنة أو الاجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أتق من قبل افئج وقائل وهو صاحب الحديدية على من أتق بعسده وقائل ويقدمون المهاجرين على الانصار

ويؤمنون بان الله قال لا هل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قدرضى عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالعشرة

وكتابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وغيره من ان خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثنون عثمان ويريون بعلى كما دلت عليه الآثار وكما اجتمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع ان بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلى بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل فتقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربوا بعلى وقوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على وان كانت هذه المسئلة مسئلة عثمان وعلى ليست من الاصول التي يضال المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسئلة التي يضال المخالف فيها مسئلة الخلافة وذلك بأنهم يؤمنون ان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الائمة فهو أضل من حمار أهله

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدیر خم أذ كرّم الله في أهل بيتي أذ كرّم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمي وقد شكّا اليه ان بعض قریش نجسوا بني هاشم فقال والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال ان الله اصطفى بني

اسماعيل واصطفي من بني اسماعيل كنانة واصطفي من كنانة قريشا
واصطفي من قريش بنى هاشم واصطفاني من بني هاشم
ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين
ويقرون بأنهم أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد
وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها من المنزلة العلية والصديقة
بنت الصديق التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على
النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم
وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل
ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية
في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما ندد زيد ونقص وغير من وجهه
والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون
مخطؤون وهم مع ذلك لا يمتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن
كبائر الاثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق
والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر حتى انه يغفر لهم من
السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ما ليس لمن بعدهم
وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد
من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ثم
اذا كان صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات
تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعته محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الناس بشفاعته أو ابنتي ببلاء في الدنيا كفر عنه فاذا كان هذا في
الذنوب المحققة فكيف بالامور التي كانوا فيها مجتهدين ان اصابوا فلهم
أجران وان اخطؤا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور

تم القدر الذي ينكر من فضل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل
القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة
والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من
الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا
يكون مثلهم فانهم الصفوة من قرون هذه الامة التي هي خير الامم وأكرمها
على الله

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الاولياء وما يجري
الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع
القدرة والتأثيرات كل الماثور عن سالف الامم في سورة الكهف وغيرها
وعن صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الامة وهي
موجودة فيها الى يوم القيامة

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله
عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من المهاجرين
والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها
بانواجذواياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

ويعامون ان اصدق الكلام كلام الله وخبر الهدى هدى محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخبار
الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد
وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة
هي الاجتماع وضدها المارقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما للناس
القوم المجتمعين والاجتماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين
وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال
وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجتماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بهم
كثر الاختلاف وانتشرت الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على
ما توجبه الشريعة * ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع
الامراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات * ويدينون
بالنصيحة للامة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضا وشيك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم
مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر * ويأمرون بالصبر عند البلاء
والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء * ويدعون الى مكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال * ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اكمل
المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * ويندبون الى أن تفضل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك * ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامي والمساكين وابن السبيل والرفق
 بالملوك وبنهون عن الفخر والخيلاء والبنفي والاستطالة على الخلق بحق
 أو بغير حق * ويأمرون بمعالى الاخلاق وبنهون عن سفاسفها * وكل
 ما يتولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فانما هم فيه متبعون الكتاب والسنة
 وطريقهم هي دين الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم
 لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة
 كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم
 أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي صار المتمثلون بالاسلام
 المحض الخالص عن المشوب أهل السنة والجماعة * وفيهم الصديقون
 والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب
 الماثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدل وفيهم الائمة الذين أجمع
 المسلمون على هدايتهم ودرائتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها النبي
 صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق لا يضرهم
 من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة

ففسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا
 ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته
 وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر
 الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ تمت الرسالة التاسعة ﴾

﴿ ويلها الرسالة العاشرة له أيضا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الابحاث التي جلاها جامعا لها للمعترضين
نقل الشيخ علم الدين ان الشيخ قدس سره قال في مجلس نائب
السلطنة الافرم لما سألته عن اعتقاده وكان أحضر الشيخ عقيدته
الواسطية قال هذه كتبها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام
فقرأت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ انه قال كان سبب كتابتها
بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكى ما للناس فيه يبلادهم في
دولة التتار من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب
له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال
ما أحب الاعتقيدة تكتبها أنت فكتب له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد
العصر فأشار الامير لكتابه فقرأها علي الحاضر بن حرفا حرفا
فاعترض بعضهم على قولي فيها

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من
غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده ان هذا ينفي
التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا فقلت
اني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم
جاء القرآن بدمه وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة
فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنه لفظ له
عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل في
كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول

والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير
والسلف

وقلت لهم ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لان التمثيل
نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثل شئ وأخذوا يذكرون نفي
التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس
الينا من ذلك

فقلت قولي من غير تكليف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت
هذين الاسمين لان التكليف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة
ومالك وابن عينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء
معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السلف على ان الكيف غير معلوم لنا فنفت ذلك
اتباعا لسلف الامة وهو أيضا منفي بالنص فان تأويل آيات الصفات
يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من
التأويل الذي لا يمامه الا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها
في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله
وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على
نفيه ونفي التكليف اذ كنهه الباري غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل انه مذهب السلف
وهو اجراء آيات الصفات واحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه
عنها اذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع

فيه مثاله فاذا كان انبات الذات اثبات وجود لاثبات تكييف فكذلك
اثبات الصفات اثبات وجود لاثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام
فقلت له أنا و بعض الفضلاء إنما قيل انه بوصف الله بما وصف به نفسه
وبما وصفه به رسوله وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا
وأول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي وأما قولنا
فهو فهم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامة فهم
وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل
المشبهة

فقيل لي أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع لكونه
مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الاعتقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام
أحمد اختصاص بهذا

وقات قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فان جاء
بمخرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فانا أرجع عن ذلك
وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته
من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث
وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسألة الحرف والصوت فقلت هذا
الذي يحكى عن أحمد وأصحابه ان صوت القارئ ومداد المصاحف
قديم أزلى كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراسا وفيه ما ذكره أبو بكر الحلال في كتاب السنة عن
الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد وكلام
أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال
غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن
يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الي أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو

هذا الكلام

فقات المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم
فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا
يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية
المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية
وقلت له من في أصحابنا حشوي بالمعنى الذي تريده الأثرم • أبو داود •
المروزي • الحلال • أبو بكر بن عبد العزيز • أبو الحسن التميمي • ابن حامد
• الناضي أبو يعلى • أبو الخطاب • ابن عقيل •

ورفعت صوتي وقات سمهم قل لي من هم

أبكذب ابن الخطيب وافترأه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة
وتسندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون القرآن القديم
هو أصوات القارئ ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلي
من قال هذا وفي أي كتاب وجد منهم هذا قل لي وكما نقل عنهم
ان الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسألة القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود وطلبوا تفسير ذلك فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ومعنى منه بدأ أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لده ليس هو كما تقولوه الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره وأما إليه يعود فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فإن يتقرب إلى الله بنى أحب إليه مما خرج منه وقلت وإن الله تكلم به حقيقة وإن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبالغا مؤديا فامتنع بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة بمد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم أنه لم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وإن أقوال

المقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة
ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من
قاله مبالغا استحسنوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ما أجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق العرش
وانه معنى - ق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن بصان عن الظنون
الكاذبة وليس معنى قوله وهو معكم أبنا كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا
لا توجهه الله وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر
الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو
موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التي يسمي بها المخلوق كلفظ الوجود
الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والامكن تنازع كبيران هل هو
مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ فقال أحدهما هو منوطي وقال آخر
هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر نفي الدين ان هذا
الزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال ان وجود
كل شيء عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك ومن قال ان وجوده قد
زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فاخذ الاول برجح قول من
يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثاني
مذهب الاشعري وأهل السنة ان وجوده عين ماهيته فانكر الاول ذلك

فقلت أما متكلموا أهل السنة فبندهم ان وجود كل شيء عين
ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شيء قدر

زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فان الصواب ان هذه الاسماء
مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضع وأما بناء ذلك على
كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس فهو من الغلط المضاف الي
ابن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون
الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء
الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ
وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر
المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق
الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة
في الخارج فانه على ذلك تنفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء
الموجودة في اللغات وهي أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على
الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا أو سواء
كان جنسا منطقيًا أو فقهيًا أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه
الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان
مسمياتها في الخارج متميزة هذا آخر بعض ما علقه الشيخ فيما يتعلق
بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاء والفقهاء وغيرهم قال الحافظ

الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقد سلفي جيد

﴿ تمت الرسالة العاشرة ﴾

﴿ ويلها الرسالة الحادية عشر له أيضا ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(ما قول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله إليهم أجمعين)

في آيات الصفات كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى إلى السماء إلى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الحيار قدمه في النار إلى غير ذلك وما قالت العلماء فيه ولا يسعوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى

فاجاب شيخنا شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية

رضي الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين * قولنا في ما قاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ومن المحال في العقل والدين أن يكون المراج المنير الذي أخرج به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى

سبيله باذنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولايته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به متناساً مشتبهاً ولم يميز ما يجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدر كنه العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خالق الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الحراة وقال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً ما بعث الله من نبي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر بقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه رواه البخاري ومحال مع تعاميمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بالسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزيادة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من ايمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم اذا

كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير أمة وأفضل قرونها قسروا
في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا
غير عالمين وقائلين في هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم
العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما تمتنع
أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة
يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر
مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الي شئ أشوق منها
الى معرفة هذا الامر وهذا امر معلوم بالفطرة لوجديته فكيف يتصور
مع قيام هذا المتنضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخاف عنه
مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في بلد
الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم كيباباً على طلب الدنيا والغفلة
عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معتقدين غير الحق أو قائلين فهذا لا يعتقده

مسلم ولا عاقل صرف حال القوم

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه
الفتوى أو أضافها يعرف ذلك من طلبه وتبعه ولا يجوز أيضاً أن
يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم
يقدر قدر السالف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم
فإن هذا القول إذا تدبره اللسان وجد في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة
كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والاشارة بالخلف الي ضرب من
المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله سبحانه
وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مزامهم
حيث يقول

لعمري قد طفت المهاد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارحاً سن نادم
وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه
من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقاب * وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسامنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من محتنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وترك أهل الاسلام
وعلمهم * وخضت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي
برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام
ثم اذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص
المعرفة به خبر ولا وقوم من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء
المنقصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المنهوكون أعلم بالله

وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين تبعوهم
 باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح
 الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا
 الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء
 واحاطوا من حقائق الممارف وبواطن الحقائق بمالو جمعت حكمة
 غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة
 أنقص في العلم والحكمة لاسباب العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء
 الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند
 واليونان أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن ولايمان وانما قدمت
 هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين
 هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك انما استولى على كثير
 من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعراضهم عما بعث
 الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من بينات والهدى وتركهم البحث عن
 طريق السابقين والتابعين والتمسحهم علم معرفة الله عن لم يعرف الله
 باقراره على نفسه وبشهادة الامة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضي واحداً معيناً وانما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا
 كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه
 وسلم من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام
 سائر الائمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر في ان الله سبحانه وتعالى
 فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اني متوفيك ورافعك
الى آمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض أم آمنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه
يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى على العرش في ستة مواضع الرحمن
على العرش استوي يا هامان ابن لى صر حالى ابلغ الاسباب أسباب
السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد
منزل من ربك الى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج
الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه ونزول الملائكة من عند الله
وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج
الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح في
حديث الخوارج الا تأمنوني وأنا أمين من في السماء بأبني خبير السماء
صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره ربنا
الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في
السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب
الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من اخوانه
فليقل ربنا الله الذي في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش
فوق ذلك والله فوق صرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وقوله في حديث قبض
الروح حتى يرجه الى السماء التي فيها الله

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم
وأقره عليه

شهدت بأن وعد الله حق * وإن النار مثوى الكافرينا
وإن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وقول أمية بن أبي الصلت النقي الذي أنشده النبي صلى الله عليه
وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه
بجدو الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق لنا * من وسوى فوق السماء سريرا

شرحنا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صوراً (١)
إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا الله بما هو من أبلغ التواترات اللفظية
والمعنوية التي تورث علماء يقينياً من أبلغ المعلوم الضرورية أن الرسول
المبلغ عن الله أتى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوي
وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم صريحاً وعجمهم في
الجاهلية والإسلام الأمن اجتناله الشياطين عن فطرته

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع مبلغ مئين أو الوفا * ثم
ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد
من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين ولا عن الأئمة الذين أدركوا
زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لأنصا ولا ظاهراً
ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا
أنه في كل مكان ولأن جميع الامكنة بالنسبة إليه سواء ولأنه لا داخل

(١) الشرح الطويل . . . والصورة المثل العنق

العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا انه لا يجوز الاشارة الحسية
اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت في الصحيح عن جابر أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول الأهل بلغت فيقولون نعم
فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال
ذلك كثيرة فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه
العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة امانا واما ظاهرا
كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دأنا
بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوحون
به قط ولا يدلون عليه لانصا ولا ظاهرا حتى يحى انباط الفرس والروم
وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون الامة العقيدة الصحيحة التي تجب
على كل مكاف أو كل فاضل أن يعتقدوها * لئن كان ما يقوله هؤلاء
المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في
معرفة على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه
الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي
لهم وأنفع على هذا التدبير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا
في أصل الدين فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء انكم بامشعر العباد
لا تطالبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نقيبا واثباتا لامن الكتاب
ولامن السنة ولا من طريق سالف الامة ولكن انظروا أنتم فما
وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أولم يكن وما لم نجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه
 به * ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون ما لم تثبت به عقولكم فانفوه
 ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ومانفاد قياس عقولكم الذي أنتم فيه
 مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض
 فانفوه واليه عند التنازع فارجموا فإنه الحق الذي تعبدتكم به وما كان
 مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو ثبت ما لم تدركه
 عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا اني امتحنكم بمنزله لالتأخذوا
 الهدى منه لكن اتجهتوا في تخريبه على شواذ الفسنة ووحشى الالفاظ
 وغرائب الكلام أو ان آكثوا عنه مفوضين عامه الى

هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين وهذا الكلام قدرأيته صرح
 بعمناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه أن
 كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله وان الرسول معزول عن التعليم
 والاختبار بصفات من أرسله وارائاس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا
 فيه الى الله والرسول بل الى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية والى مثل
 ما يتحاكم اليه من لا يؤمن بالانبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون
 والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لا يزيد الامر الا شدة ولا
 يرتفع به الخلاف اذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم وقد
 أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه
 ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
 يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشیطان أن يضاهم ضللاً بعبداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك بحلفون بالله أن أردنا إلا أحساناً وتوفيقاً فان هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول والثناء إليه بمد وقائه الدماء إلى سنته أعرضوا عن ذلك وهم يقولون إنما قصدنا الإحسان علماً وعملاً بهذه الطريق التي ملكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية

ثم عامة هذه التسليمات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصائبين أو بعض ورتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا يانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مراداً عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار ان ما يقوله هؤلاء المتكلفون انه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لانصاً ولا ظاهراً وانما غاية المتخذاق أن يستنتج هذا من قوله ولم يكن له كفواً أحد هل تعلم له سمياً وبالاضطرار يعلم كل عاقل

ان من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات
ونحو ذلك بقوله هل تعلم له سميا لقد أبعد النجعة وهو اما ملغز أو
مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خير لهم في
أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم
عمى وضلالا ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا
أحد من ساف الامة هذه الآيات والاحاديث لاتعتقدوا مادلت عليه
ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق
وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فيما وافق قياس
عقولكم فاعتقدوه وما لا يوافق فثوقوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلي الله عليه وسلم قد أخبر بان أمته ستفترق على ثلاث
وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به ان
تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال في صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل
ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهـ لا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب
الاعتقاد فهو ضال وانما الهدى رجوعكم الي مقاييس عقولكم وما
يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في
أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين
وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وإنما استوى استولى ونحو ذلك أول
منظهرت هذه المقالة من جمع بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان
وأظهرها فنسب مقالة الجهمية إليه والجمد أخذ مقائمه عن ابان بن
سيمان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها
طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله
عليه وسلم وكان الجمد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق
كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين
صنف بعض المتأخرين في سحرهم وكانوا يمدون الكواكب ويذنون
لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية
أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم
فيكون الجمد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما
ذكره الامام أحمد وغيره من السنية بعض فلاسفة الهند وعم الذين
يوجدون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى
اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم اما من الصابئين
واما من المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع
مألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب
أبائهم ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان
السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته
وكلام الأئمة مثل مالك رضى الله عنه وسفيان بن عيينة وأبي يوسف

والشافعي وأحمد وإسحاق والنضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم
 في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وأضليله وهذه التأويلات الموجودة
 اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك
 في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في
 كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خالق
 غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الحمداني وأبي
 الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها
 التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وإن كان قد يوجد في
 كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء
 فأنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي وعلمنا ذلك
 بكتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير
 في زمن البخاري صنّف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب
 العنيد فيما افتري على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي
 أن المريسي أقعد بها وأعلم بالعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين
 اتصلت إليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام إذا طالع العاقل
 الذي علم حقيقة ما كان عليه الساف فيبين له ظهور الحجة لطريقهم
 وضعف حجة من خلفهم

ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسي وأكثرهم
 كانوا أو ضلواهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لا تحتل البسط في هذا الباب وانما أشير شارة الى مبادئ الامور والما قبل يسر فينظر وكلام الساف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر ههنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن الالكافي والابانة لابن بطة والسنة لابن ذر الهروي والاسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني ولابي لشيبخ الاصهاني وقبل ذلك السنة للاخلاق والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبي العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبدالعزيز المكي صاحب الحميدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية مثلا يتسع هذا الموضوع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ما ذكره من الشبه فانه يسر واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف أطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن بوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يجاوز القرآن والحديث

قال الامام أحمد رضى الله عنه لا يوصف الله الابطما وصف به نفسه
 أو وصفه به رسوله لا يجاوز القرآن والحديث ونعلم ان ما وصف الله
 به من ذلك فهو حق ايس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من
 حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثل
 شئ في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما يتيقن
 ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات
 حقيقة وهو ليس كمثل شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل
 ما أوجب نقصا أو حدونا فان الله منزّه عنه حقيقة وأنه سبحانه مستحق
 للسكّال الذي لا غاية فوقه وممنوع عليه الحدوث لا تتنازع العدم عليه
 واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث الى محدث ولو جوب
 وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله
 بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به
 نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون
 الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريق
 التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ما هو اللائق
 بالخلق ثم شرعوا في نفي تلك الماهيات فقد جمعوا بين التمثيل
 والتعطيل مثلوا اولوا عطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم
 من أسماء وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما

يستحقه هو سبحانه من الاسماء والصفات الملائمة بالله سبحانه وتعالى
فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما ان يكون أكبر من
العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم
يفهم من كون الله على العرش الا ما ثبت لاي جسم كان على أي جسم
كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم اما استواء بليق بجلال الله ويختص
به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا
مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما ان يكون حوهرًا أو عرضًا اذ
لا يعقل موجود الا هذان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل
لاستواء الانسان على السرير أو ذلك اذ لا يعلم الاستواء الا هكذا
فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز
الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواء هو
من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على
عرشه استواء بليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بأنه بكل شيء
عليم وعلى كل شيء قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز ان
تثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم
فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا تثبت لفوقيته خصائص فوقية
المخلوق على المخلوق ولوازمها

واعلم ان ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب
مخافة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن

لشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حياها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وساف الامة من المتأولين لهذا الباب في أمر مريب فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ومن يحيل ان الله علما وقدره وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو واجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله

يا ليت شعري باي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أوكلنا جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلي الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوص بمنزل ما خصم به الآخر وهو من وجوه

أحدها بيان أن العقل لا يحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قد علم أن الرسول جاء بها بلا اضطراب كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة
وسائر ما جاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون
بان العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية واذ كان هكذا
قالوا يجب تاتي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ونحن نذكر من
الفاظ السلف باعيانها والفاظ من نقل مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا
الموضع ما يعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي
قال كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه
ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعي وهو أحد
الائمة الاربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز
والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثوري امام أهل
العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايان بأن الله فوق العرش
وبصفاته السمية وانما قال الاوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم
المنكر لكون الله فوق عرشه والثاني لصفاته يعرف الناس ان مذهب
السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال سئل
مكحول والزهرى عن تفسير الاحاديث فقالوا أمروها كما جاءت
وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان
الثوري والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات
فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فقولهم رضى الله عنهم أمرها كما جاءت رد على الممثلة وقولهم بلا كيف
رد على الممثلة والزهرى ومكحول كما أعلم التابعين في زمانهم والاربعة
الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقهم حماد بن زيد وحماد
ابن سلمة وأمثالهما

روى أبو التاسم الأزجى بإسناده عن ابن مطرف بن عبد الله قال
سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول
قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده
الامر بهر سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله
وقوة على دين الله ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شئ
خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن
خالفها واتبع سبيل غير المؤمنين ولاه الله ماتولى وأصله جهنم
وساءت مصيراً

وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة
ابن عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال
الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى
الرسول البلاغ وعلمنا التصديق وهذا الكلام مروى عن مالك بن
أنس تلميذ ربيعة من غير وجه

منها مارواه أبو الشيخ الاصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى
قال كنا عند مالك بن أنس فجا رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على
العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرخصاء

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة وما أرك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج
وروى أبو عبد الله بن بطة في الابانة بإسناد صحيح عن عبد العزيز
ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الناضرة وهم
مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل فيما جحدته الجهمية اما
بعد فقد فهمت ما سألت فيما تنابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب
العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكالت الاسن عن تفسير
صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجرد
مساها فرجعت خاصة وهي حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق
بالتقدير وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فالما الذي لا يحول ولا
يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف
قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه
حدا ومتهمي يعرفه عارف أو يحمد قدره واصف على أنه الحق البين
لاحق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق
صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صبرا يحول
ويزول ولا يري له سمع ولا بصير لما يتقلب به ويحتمل من عقله أعضل
وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين
وخالفهم وسبوا السادة وربهم ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير أعرف
رحمك الله غناءك عن تكلف صفة ما لم يعرف الرب من نفسه بعجزك
عن معرفة قدر ما وصف منها اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك

علم ما لم يصف هل تسندل بذلك علي شيء من طاعته أو تزجر به عن شيء من معصيته

وأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقوا تكلفاً قد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه علي جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالحقى بجحد ما سمي الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يميل له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لا يراه أحد يوم القيامة بجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الي وجهه ونضرتهم ايهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر ينضرون الي أن قال

وأما جحد رؤيته يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد صرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً وقال المسلمون يا رسول الله هل نرى ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتسلى النار حتى يضع الحيار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوي بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد فحكت الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما بلغنا ان الله يضحك من أزل لكم (١) وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب ان ربنا يضحك قال نعم قال لانهم من رب يضحك خيراً في أشباه هذا مما لم نحصه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال وتضع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظرها منهم عندهم ان ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سمياً كما سماه ولم يتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لانيجاد ما وصف ولا يتكلف معرفة ما لم يصف

اعلم رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهى به ولا تجاوز ما قد حدلك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الاقيدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه لامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه غيباً ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم نجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما (١) هكذا بروى وفي بعض طرقه من إلكم والازل الشدة والضيق

وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف
 منها فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفةهم يعرف
 وينكرون المنكر وبانكارهم ينكرون ما وصف الله به نفسه من
 هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته
 من الرب قاب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب
 مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة
 ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون في
 العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لرهبهم بما وصف به من
 نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمي جحداً ولا
 يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً لأن الحق ترك ما ترك وتسميته ما سمي
 فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وذهب
 الله لنا ولكم حكماً وألقينا بالصالحين وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام
 وروى أبو القاسم اللالكاني الحافظ الطبري في كتابه المشهور في
 أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق
 النقباء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث
 التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز
 وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك
 فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم
 يصفوا ولم يفسروا ولكن أفنوا بما في الكتاب والسنة ثم كتبوا فن قال
 بقول جهنم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لا شيء محمد بن الحسن

أخذ عن أبي - نيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكى هذا الاجماع
وأخبر ان الجهمية تصفه بالاور السلية غالبا أودائما

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد انقاسم بن سلام
قال هذه الاحاديث التي تقول فيها نحمدك ربنا من قنوط عباده وقرب
خيريه وان جهنم لا تمنلى حتى يضع ربك قدمه فيها والكرسى موضع
القدمين وهذه الاحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم
عن بعض غير أنا اذا سئنا عن تفسيرها لانفسرها وما أدركنا أحدا
يفسرها

أبو عبيد أحد الأئمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد وإسحاق
وأبو عبيد وله من المدرفة بالدقة والبغة والتأويل ما هو أشهر من أن
يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والاهواء وقد أخبر
انه أدرك أحدا من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك ان رجلا قال له
يا أبا عبد الرحمن اني أكره الصنة عنى صفة الرب فقال له عبدالله بن
المبارك أنا أشد الناس كراحة لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشئ قلنا
به واذا جاءت الآثار بشئ جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك اننا
نكره أن نبتدى بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب
والآثار

وروي عبدالله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل
له بماذا تعرف ربنا قال بأنه فوق سموانه على عرشه بأن من خلقه ولا

تقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وبإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يجاملون أن يقولوا ليس في السماء شيء وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبي امام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بأش من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم أتى على مزبلة اثلا يتأذى بنتن ربحه أهل القبلة وأهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي امام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال قلت بشر المرسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الامواء شر من أصحاب جهنم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شيء أرى والله أن لاينا كجوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال أصحاب جهنم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شيء وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا واقتلوا

وعن الاصمعي قال قدمت امرأة جهم فمزات الدباغين فقال رجل
عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الاصمعي كافرة
بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري ودايقهما قال
ناظرت جهميا فتبين من كلامه الايؤمن أن في السماء ربا
وروي الامام أحمد قال أبا ناسر بن النعمان قال سمعت عبدا لله
ابن نافع الصانع قال سمعت مالك بن أنس يقول الله في السماء وعلمه في
كل مكان لا يخلو من علمه مكان

وقال الشافعي رضي الله عنه خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سمائه
وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تنفخر على أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق
سبع - سموات هذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبي
حنيفة شهورة في استنابة بشر المريسي حتى هرب منه لما أن أنكر أن
يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتوى
عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي
في رسالته المشهورة في الغيبة عن الكلام وأهله قال فالما مآلت عنه من
الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف انبيائها
واجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشديد عنها وقد نفاها قوم

فأبطالوا ما أثبتته الله وخذفها قوم من المتبئين فخرجوا في ذلك إلى ضرب
من التشبيه والتكليف وإنما القصد في ملوك الطريقة المستقيمة بين
الأميرين ودين الله تعالى بين العالي فيه والمقصر عنه والأصل في
هذا أن الكلام في الصفات نوع عن الكلام في الذات ويحتذي في
ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوما أن إثبات الباري سبحانه إنما
هو إثبات وجوده لا إثبات تحديد وتكليف فإذا قلنا يد وسمع وبصر
وما أشبهها فإثباتها هي صفات أثبتها الله لنفسه ولنا نقول إن معنى اليد
القوة أو الذمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول أنها جوارح
ولا تشبهها بالأيدي وبالأسماع وبالابصار التي هي جوارح وأدوات للفعل
ونقول إن القول إنما وجبت بإثبات الصفات لأن التوقف ورد بها
وورد في التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول
السلف في أحاديث الصفات هذا كله كلام الخطابي وهكذا قال أبو بكر
الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك
وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحو ما من العلماء من
لا يخصص مثل أبي بكر الأسماعيلي والامام يحيى بن عمار السنجري شيخ
شيخ الإسلام أبي اسماعيل الأنصاري الهروي وأبي عثمان الصابوني
شيخ الإسلام وأبي عمر بن عبد البر النخعي إمام المغرب وغيرهم
وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب الحلية في عقيدة قال في أولها
طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة واجماع الأمة قال فما اعتقدوه
إن لأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويشبثونها من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله
بأن من خلقه والخلق باثنون منه لا يحل فيهم ولا يخرج بهم وهو مستو
على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهاني شيخ الصوفية في
حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من
السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والائر
وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله
استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول
والكيف فيه ~~بلا كيف~~ وأنه عز وجل بأن من خلقه والخلق منه باثنون
بلا حلول ولا تمازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من
الخلق الواحد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير علم
خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى له باده يوم
القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل
من داع فاستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأوب
عليه حتى يطلع الفجر وتزول ارب ابي السماء بلا كيف ولا تشبيه
ولا تأويل فن أنكر النزول أو تأول فهو مبدع ضال وسائر الصفوة
من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن
أبي صالح الحلي قال في كتاب الغنية له اما معرفة الصانع بالآيات والدلالات
على وجه الاختصار فهو أن نعرف وتيقن ان الله واحد الى أن قال
وهو بجبهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط عده بالاشياء

أليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمل هذا الموضع وذكر في سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت مقاله العلماء في ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر روبنا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والاوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضی الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة

وقال في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طريق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجته على المعزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابنهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحنج بقوله

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز الا انهم لا يكتنون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والحوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها شبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع تولى للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ما جاء في انبات اليدين صفتين لامن حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله يا ابايس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال بل يداه مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة يا آدم أنت أبو البشر خلقتك الله بيده ومثل قوله في

رسالة

الحديث المتفق عليه أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده وفي لفظ وكذب لك التوراة بيده ومثل ما في صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الحيار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزه في السفر نزلاً لأهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيدك الأمر والحير بيديك والذي نفس محمد بيده وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوى السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك ابن الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول أنا الملك ابن الجبارون أين المتكبرون وقوله يمين الله الأيمن لا يفيضها نفقة سبحانه الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينفق ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى التنبؤ بخفض ورفع وكل هذه الأحاديث في الصحاح وذكر أيضاً قوله إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكذا بيدي ربي يمين مباركة وحديث إن الله لما خلق آدم مسح ظهره إلى أحاديث آخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على لعرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب ابطال التاويل لاجبوز رد هذه
الاخبار ولا التشاغل بتاويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات
الله لا تشبه بسائر الموموفين بها من الخاق ولا يمتقد التشبيه فيها لكن
على ماروى عن الامام أحمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهرى
ومكحول ومالك والثورى والاوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد
ابن سامة وابن عيينة والفضيل بن عياض وو كيع وعبد الرحمن بن
مهدي واود بن سالم واسحاق بن راهويه واى عبيد ومحمد بن
جرير الطبرى وغيرهم في هذا الباب وفي حكاية الفاظهم ما دل على ان
قال ويدل على ابطال التاويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين
حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتاويلها ولا صرفها عن ظاهرها
ولو كان التاويل سائغا لكانوا اليه اسبق لما فيه من ازالة التشبيه
ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعري المتكلم صاحب
الطريقة المنسوبة اليه في الكلام في كتابه الذى صنفه في اختلاق المضامين
ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة
وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل
السنة الاقرار بالله ولامتكمته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه
الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا وان
الله واحد أحد فرد صمد لا اله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا

عبدته ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يدها مبسوطتان وان له عيين بلا كيف كما قال تجري بأعيننا وان له وجهها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ووافقوا ان الله علماً كما قال أنزله يعلمه وكما قال وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وأنبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما فعلت المعتزلة وأنبتوا الله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم في القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأنسبها الى أن قال ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبار بالنار الى أن قال وينكرون الجدل والمراد في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي جاءت بها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف

صلى

وللم لان ذلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا
صفا وان الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من
حبيل الوريد الى أن قال ويرون بجانب كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة
القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن
الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية
وتفقد المال كل والمشارب قال فهذه جملة ما يأمرون به ويستسامون اليه
ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله
وهو المستعان

وقال الاشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش فقال قال
أهل السنة وأصحاب الحديث ليس يجسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى
على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدي الله
في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال وبيتي وجه
ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدي وان له عينين كما قال تجري
بأعيننا وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك
صفاً صفا وانه ينزل الى السماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئاً
الا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت المعنزة ان الله استوى على العرش بمعنى استولى
وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه الابانة في

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون
في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

(فصل) في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل قد أنكرتم
قول المعتزلة والتدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرّفوا
قولكم الذي به تقولون وديانتكم الذي بها تدينون قيل له قولنا الذي
نقول به وديانتنا الذي ندين بها التماسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما
روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما
كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع
درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لانه الامام
الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح
به النهاج وقع به بدع المبتدعين وزينغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة
الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من
عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من
ذلك شيئاً وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا
ولداً وان محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق
والنار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور
وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له
وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وان له يدين بلا
كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يدها مبسوطة وان له عينين بلا

كيف كما قال تجرى بأعيننا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالاً وذاكر نحواً مما ذكر
في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل
اسلام ايماناً

وندين بان الله يقاب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل
وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول
وعمل يزيد وينقص

ونسلم للروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي
رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم الي أن قال

وتصدق بجميع الروايات التي ينبتها أهل النقل من النزول الي السماء
الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر
ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين
وما كان في معناه ولا يتبدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على
الله ما لا نعلم

ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفاصفاً
وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من
حبل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى الي أن

قال وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف على القرآن وقال لأقول أنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وقال حكاية عن فرعون باهاتن ابن لى صرحا لعلى اباغ الاسباب اباب لسماوات قاطع الى اله موسى واني لانتبه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال اءمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال اءمنتم من في السماء لانه مستو على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء والعرش اعلى السموات وليس اذا قال اءمنتم من في السماء يعنى جميع السماء وانما اراد العرش الذى هو اعلى السموات الا ترى ان الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نوراً فلم يرد ان القمر يملؤهن وانه فيهن جميعاً وراينا المسلمين جميعاً يرفعون ايديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش كالا يحيطونها اذا دعوا الى الارض ثم قال

(فصل) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهوية والحرورية ان
معنى قوله الرحمن على العرش استوى انه استولى وملك وقهر وان الله
عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل
الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان هذا كما ذكره كان
لا فرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض
قائلة قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستويا
على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها
لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش
والاقدار لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادراً على الاشياء
كها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستول على
الحشوش والاخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي
هو عام في الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش
دون الاشياء كلها وذكر دلالات من الزرآن والحديث والاجماع والعقل
ثم قال باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات
في ذلك ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته
مثل قوله فان سئلنا أتقولون لله يدان قبل نقول ذلك وقد دل عليه قوله
يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدي

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر
آدم بيده فاستخرج منه ذرية وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق الجنة عدن بيده وكتب

الثوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل صملت كذا بيدي ويعني به النعمة وإذا كان الله انما خاطب العرب بلفظها وما يجري في مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعني به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لاقبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصديقه فان قال فما الدليل على ان الله وجهها ويدها قيل له ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فأنبت انفسه وجهها ويدها فان قال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة اذ كنتم لا تعقلون وجهها ويدها الا جارحة فلنا لا يجب هذا كما لا يجب اذالم نعقل حياً طالما قادرا الاجمعا أن نقضى نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرنا لانا واياكم لانجد قائما بنفسه في شاهدنا الا كذلك وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعته وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا باوجود

قال فان قال قائل أتقولون انه في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى

أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان وفيه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولو جب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خاق منها ما لم يكن وينقص بنقصانها اذا بطس منها ما كان ولصح أن يرغب اليه الي نحو الارض والى خافتنا والى يميننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه ونحطة قائله

وقال أيضا في هذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن تطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله لامبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يفنيه عن كل شيء ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا للظن بهم دون غيرهم أو متوهمها أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى تؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام الالفهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الامن طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءه

رسالة

به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم وإذا قيل لهم آمنوا
 بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
 مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان
 اليهود قالوا لا نؤمن الا بما أنزل علينا قال الله لهم قل فلم تقتلوا الانبياء من
 قبل ان كنتم مؤمنين بما أنزل عليهم يقول سبحانه لا لما جاءكم به أنبياءكم
 تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الانبياء تتبعون ولكن انما تتبعون أهواءكم
 فهذا حال من لم يتبع الحق لامن طائفته ولا من غيرها مع كونه
 يتعصب لطائفته دون طائفة بلابرهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبوالمعالج الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلف
 مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في
 آي الكتاب وما يمح من السنن وذهب آئمة السلف الى الانكشاف
 عن التأويل واجراء الظواهر على وارجدها وتفويض معانيها الى
 الرب قال والذي نرضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف
 الامة والدليل السعي القاطع في ذلك ارجاع الامة حجة متبعة
 وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الاسلام والمستقلون
 باعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي
 بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر
 مسوفا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع
 الشريعة وإذا انصرف عصرهم وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري
عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات وبكل معناها إلى
الرب فليجر آية الاستواء والمجىء وقوله لما خلقت بيدي وبقي وجه
ربك وقوله تجري بأعيننا وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول
وغیره على ما ذكرناه

(قلت وليعلم السائل) ان الفرض من هذا الجواب ذكر الأناظر
بعض الأئمة في هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين
وغیرهم نقول بجميع ما يقوله في غير هذا ولكن الحق يقبل من كل
من تكلم به

كان مما ذكره بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذي
رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً أو
قال فاجراً واحذروا زبغة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول
الحق قال على الحق نور أو كلاماً هذا معناه

فأما تقرير ذلك بالدليل واماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الامر
على وجه يخص الى القلب ما يرد به من اليقين ويقف على مواقف اراء
البياد في هذه المهامه انتمتع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من
يجالسنا وربما أكتب ان شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الامر في ذلك ان الكتاب والسنة يحمل منهما كمال الهدى
والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن

تحريف الكلم عن مواضعه والاحاد في أسماء الله وآياته ولا يحسب
 الحاسب ان شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة مثل أن يقول القائل
 ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش بخالفه في الظاهر قوله وهو
 معكم أينما كنتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لم اذا قام أحدكم الى الصلاة
 فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة
 وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذي
 خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
 في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما
 كنتم والله بما تعملون بصير فاحبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو
 معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في حديث الاوعال والله
 فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطاقت فليس
 ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب ماسة أو محاذاة عن
 يمين أو شمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دل على المقارنة في ذلك المعنى
 فانه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع ممي
 لمجامعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق
 صرته حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فاما قال
 يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
 فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب
 على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع علىكم شهيد عليكم مهيمن
 عالم بكم وهذا معنى قول الساف انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب

قبل

وحقيقته وكذلك في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا
خسة الا هو سادهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما
كانوا ثم ينبتهم بما عملوا يوم القيامة وما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبه في الغار لا تخزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره
ودلت الحمال على ان حكم المعية هنا مع الاطلاع النصر والتأييد وكذلك
قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى
وهرون اني معكما أسمع وأرى هنا المعية على ظاهرها وحكمها
في هذا الموطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبي من يخيفه
فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لا تخف انا معك أو
أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبه على المعية الموجبة بحكم الحمال رفع
المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من
معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب
والسنة في مواضع تقتضي في كل موضع أمورا لا تقتضيها في الموضع الآخر
فأما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع
مواردها وان امتاز كل موضع بخاصيته فعلى التقديرين ليس مقتضاها
أن تكون ذات الرب محتاطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها
ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فإنها وان اشتركت في
أصل الربوبية والتعبيد فلما قال رب المالمين رب موسى وهرون كانت
ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق
فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية

وتربية أكل من غيره وكذلك قوله عينا بشرب بها عباد الله وسبحان
الذي أسرى بعبد له ليلاً

(فان العبد) تارة يعني به المعبود فيعم الخلق كافي قوله ان كل من في
السموات والارض الا آت الرحمن عبداً وتارة يعني به العابد فيخص
نم بمختلفون فمن كان أعبد علماً وحالاً كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة
في حقه أكمل مع انها حقيقة في جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ
فيسمى بها بعض الناس مشككة لشكك المستمع فيها هل هي من قبيل
الاسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط والمحققون يعلمون
انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضح اللفظ انما وضع
اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة فلا بأس
بتخصيصها بلفظ ومن علم ان المعية تضاف الي كل نوع من أنواع المخلوقات
كإضافة الربوبية مثلاً وان الاستواء على الشيء ليس الا للعرض وان الله
يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط

لاحقيقة ولا مجازاً علم ان القرآن على ما هو عليه من غير تحريف
نم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى ان السماء تحيط به ونحوه
فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحداً
يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين
هل يفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه
لابدر كل أحد منهم الي أن يقول هذا نبي لعله لم يخطر ببالنا واذا كان
الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً ولا يفهمه

فصل
الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو
على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو
لا في السفلى

وقد علم المسلمون ان كرسية سبحانه وسع السموات والارض
وان الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من
مخلوقات الله لانه له القدرة على الله سبحانه وعظمته فكيف بتوهم
بمد هذا ان خلفا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولا صلبنكم في
جدوع النخل وقال فيسروا في الارض بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام
عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف
وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه
الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فرق العرش وهو قبس وجهه
المصلى بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه يناجي
السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه
وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك والله المثل الاعلى
ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لانه يشبه الخالق بالمخلوق
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيرى ربه مخلباً به
فقال له ابو رزين القبلي كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان ربك بمنزل ذلك في آلاء الله هذا

القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله فآله أكبر أو كما قال
 صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر
 فشيء الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون اذا رأوا
 ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس
 والقمر ولا منافاة أصلا ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والروح
 في العلم بالله يكون اقراره للكتاب والسنة على ماها عليه أوكد
 واعلم ان من المتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على
 ما جاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا لفظ مجمل فان قوله
 ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات
 المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي انه مستقر في الحائط
 الذي يصلي اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلا شك
 ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد
 أصاب في المعنى لكن أخطأ في اطلاق القول بان هذا ظاهر الآيات
 والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد ي بناء في غير
 هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض
 اناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذورا في هذا الاطلاق
 فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من
 الامور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو
 اظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطي كلام الله وكلام
 رسوله حقه اقطاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر

غير مراد عندهم ان المعاني التي تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعدد الكذب فيما يمكن أحداً فقط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لانصا ولا ظامراً أنهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة وقد رأيت هذا المعنى ينتحلّه بعض من بحكيه عن السلف ويقول ان طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيب الحاجة الي ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح علي السلف أما في كثير من الصفات فقطعا مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم اني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لانصا ولا ظامراً ولا بالفرائض علي نفى الصفات الحسرية في نفس الامر بل الذي أئتمه ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً واما ظاهراً على تقرير جنس هذه الصفات ولا أقل عن كل واحد منهم أثبات كل صفة بل الذي رأيتهم يثبتون جنسها في الجملة وما رأيت أحداً منهم نقاها وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بمخلقه مع انكارهم على من بنى الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري من شبه الله بمخلقه فقد كفر

وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبهاً وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير أثبات للصفات قالوا هذا جهمي معطل وهذا كثير جداً في كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً كذباً منهم وافتراء حتى ان منهم من غلا ورمى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتى قال ثمامة بن الأشيرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسى قال تعلم ما في نفسي ومحمد حيث قال ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الائمة مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة

وقد صنّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن دربان الشافعي حزراً سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقباب الشنيعة وذكر فيه كلام السانف وغيرهم في معاني هذه الالقباب وذكر ان أهل البدع كل صنّف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراء يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بالقاب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية تسميهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغناء وغزراً الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم نارة مجنوناً ونارة شامراً ونارة كاهناً ونارة مفرجاً قالوا وهذا علامة الارث المسيح والمناعبة التامة فان السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً فكما ان المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في الحيا والممات باطنا وظاهراً أما الذين وافقوهم ببواطنهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الامكان لا يد للمنحرفين عن سنة أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضي من لم يبغض أبابكر وعمر فقد أبغض علياً لانه لا ولاية لعلى الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبابكر وعمرنا صيباً بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدرى من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أعمال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهى من قال ان الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وأنه

جسم محدود وانه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المنزلة من قال ان الله
 علماً وقدرة فقد زعم انه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات أعراض
 والمرض لا يقوم الا بجوهر متجز وكل متجز بجسم أو جوهر فرد
 ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة
 بناء على عقيدته التي هم مخالون له فيها فهو ورثه أعلم والله من ورثه
 بالمرصاد ولا يحيق المكر السيء الا باهله

وجامع الامران الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديتها ستة
 أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة * قسمان يقولون تجري على ظواهرها
 * وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها * وقسمان يسكتون أما الاولون
 قسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات
 المخلوقين فهو لاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكروا السلف واليه توجه الرد بالحق
 والثاني من يجريها على ظاهرها اللاتق بجلال الله كما يجري اسم العليم والقدير
 والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللاتق بجلال
 الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض
 فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك
 في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام فاذا كان
 الله موصوفاً عند عامة أهل الاثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية
 وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز
 أن يكون جه الله وبداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات
 المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فمن قال لأعقل عالماً وبدأ الا من جنس العلم واليد المعهودتين قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال الجهمي كيف استوى أو كيف ينزل الى سماء الدنيا أو كيف بداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لا يعلم ما هو الا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مسبق بالعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن ان نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفية وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص على بيان كيفية أفعالها يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتخرج الى السماء وانها تسيل منه وقت

النزوع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لانفسالي في تجريدتها غلو
المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن
والانفصال عنه وتجنبوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته
فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات نابتة لها بحسبها الا أن
يفسر وا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ
وانى لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعنى الذين يقولون ليس لها في
الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لا صفة له نبوتية بل صفاته
اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي
الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الاحوال دون
الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم
يؤولونها ويعينون المراد مثل قولهم استولى بمعنى انتهى أو بمعنى علو
المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهى الخالق اليه
الى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم ما أراد بها
لكننا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظواهرها
اللائق بالله ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة
كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون
على تلاوة القرآن وقراءة الحديث مرضين بقلوبهم والسنتهم عن
هذه التقديرات

فهذه الاقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها
والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة
الثانية كآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم
أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع
على ذلك دلالة لا تختمل النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك
مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم
والايمان ومن لم يجمل الله له نوراً فإله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه
عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا
فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من
تشاء الى صراط مستقيم وفي رواية لابن داود انه كان يكبر في صلاته
ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الى الله ودعاه وادمن النظر في كلام
الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له
طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهبات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا
الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأي ان غالب ما يمتدونه
يؤول الى دعوى لاحقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية
كلية لا تصح الاجزئية أو دعوى اجماع لاحقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب

بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عن من لم يعرف اصطلاحهم أو همّت الغرّ ما يوهمه السراب للعطشان ازداد ايماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً ويقدره أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل فيه هو في عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبيب ونصف نحوي هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في قول مؤثقتك يؤثقتك عنه من أنك تعلم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست بيينة وانما هي كما قيل فيها

حجيج تهافت كالزجاج نخالها * حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قال الشافعي رضي الله عنه حيث قال حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجر يد واتعمال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية

عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما
أوتوا زكاء وأعطوا فهو ما وما أعطوا علوماً وأعطوا سمعاً وأبصاراً
وأفئدة فما أغفى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون

من كان علياً بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلوهم
وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وطابوهم
وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزداد الا بعداً
فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً
مباركاً الى يوم الدين

﴿ تمت الرسالة الحادية عشر ﴾

(ويلها الرسالة الثانية عشر)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سئل شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه﴾

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وإن استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا وإذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك أفتونا مأجورين * الجواب *

الحمد لله * قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة وانفاق الامة ان نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع في الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم وانه يشفع لهم

ثم اتفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبار وان لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد

وأما الحوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لاهل الكبار ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل وأما من أنكروا ما ثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة وسواء سمي هذا المعنى استفانة أو لم يسمه وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان اذا حطوا استسقى بالعباس ابن عبدالمطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فقتلنا وانا نتوسل

اليك بعم نبينا فاسقنا فيستقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اصراييا قال
 لاني صلى الله عليه وسلم جمدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله
 لنا فاناستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتي عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع
 به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر
 قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره
 عليه فعمل جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفي تكفيره
 نزاع وتفصيل

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته
 والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لا يدعى الا الله وان الامور التي
 لا يندر عليها الا الله فلا تعاتب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية
 القلوب وانزال المطر وانبات الثبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك
 بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالى ومن يفر
 الذنوب الا الله وقال انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
 يشاء وكما قال تعالى يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق
 غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالى وما جعله الله الا
 بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا
 تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في
 الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

فلا مانع من التاب بالكتاب والسنة يجب اثباتها والمانع المنفية بالكتاب

والسنة يجب فيها والعبارة الدالة على المعاني نفا وانباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والارجع فيه اليه وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو ان يطلب منه مالا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قل ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش له ميزاب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * نمال اليتامي عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لاغيث ولا مغيث على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جملة ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز

قالوا من أسماءه تعالى المغيث والغيث وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قالوا واجتمعت الامة على ذلك

وقال أبو عبد الله الحلبي الغيث هو المغيث وأكثر ما يقال غيات
 المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيهم ومخلصهم
 وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم اغثنا يقال اغانة
 اغانة وغيانا وغوانا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى
 اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا ان الاغانة أحق بالافعال والاستجابة
 أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين
 المستغيث والداعي ان المستغيث ينادى بالغيث والداعي ينادى بالمدعو
 والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستغانة بالله للمسلمين وقد
 روى عن معروف الكرخي انه كان يكثر أن يقول واغوانا ويقول اني
 سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور
 يا حي يا قيوم لا اله الا انت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني
 الى نفسي طرفه عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغانة برحمته استغانة به في الحقيقة كما ان الاستعاذة بصفاته
 استعاذة به في الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي
 الحديث أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خاف وفيه أعوذ برضاك
 من سخطك وبمعافتك من عقوبتك وبك منك لأحصى ثناء عليك
 أنت كما أئتمت على نفسك

ولهذا استدل الائمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله
 أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعاذة لانصاح بالمخلوق
 وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حلف بغير
الله فقد أشرك رواه الترمذي وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف
بعمرة الله ولعمرة الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من
الحلف بغير الله الذي نهى عنه والاستغانة بمعنى أن يطلب من الرسول
ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو إما
كافر إن أنكر ما يكفر به وإما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً
مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافر
إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي استغانة المخلوق بالمخلوق
كاستغانة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور
بالديار المصرية استغانة المخلوق بالمخلوق كاستغانة المسجون بالمسجون
وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت
المستعان وبك المستغاث وعليك الشكران ولا حول ولا قوة إلا بك
ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق وكان مختصاً بالله صح
إطلاق نفيه عما سواه ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز
مطابق الاستغانة بغير الله ولا أنكر على من نفي مطابق الاستغانة عن
غير الله

وكذلك الاستغانة أيضاً فيها ما لا يصلح إلا لله وهي المشار إليها بقوله
إياك نعبد وإياك نستعين فإنه لا يعين على العبادة إلاعانة المطلقة إلا الله

وقد يستعان بالخلق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والنصر المطلق هو خلق ما به
يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما
فاسقاً واما عاصياً الا ان يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيتاب على اجتهاده
ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحججة
فان الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واما اذا قامت
عليه الحججة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها

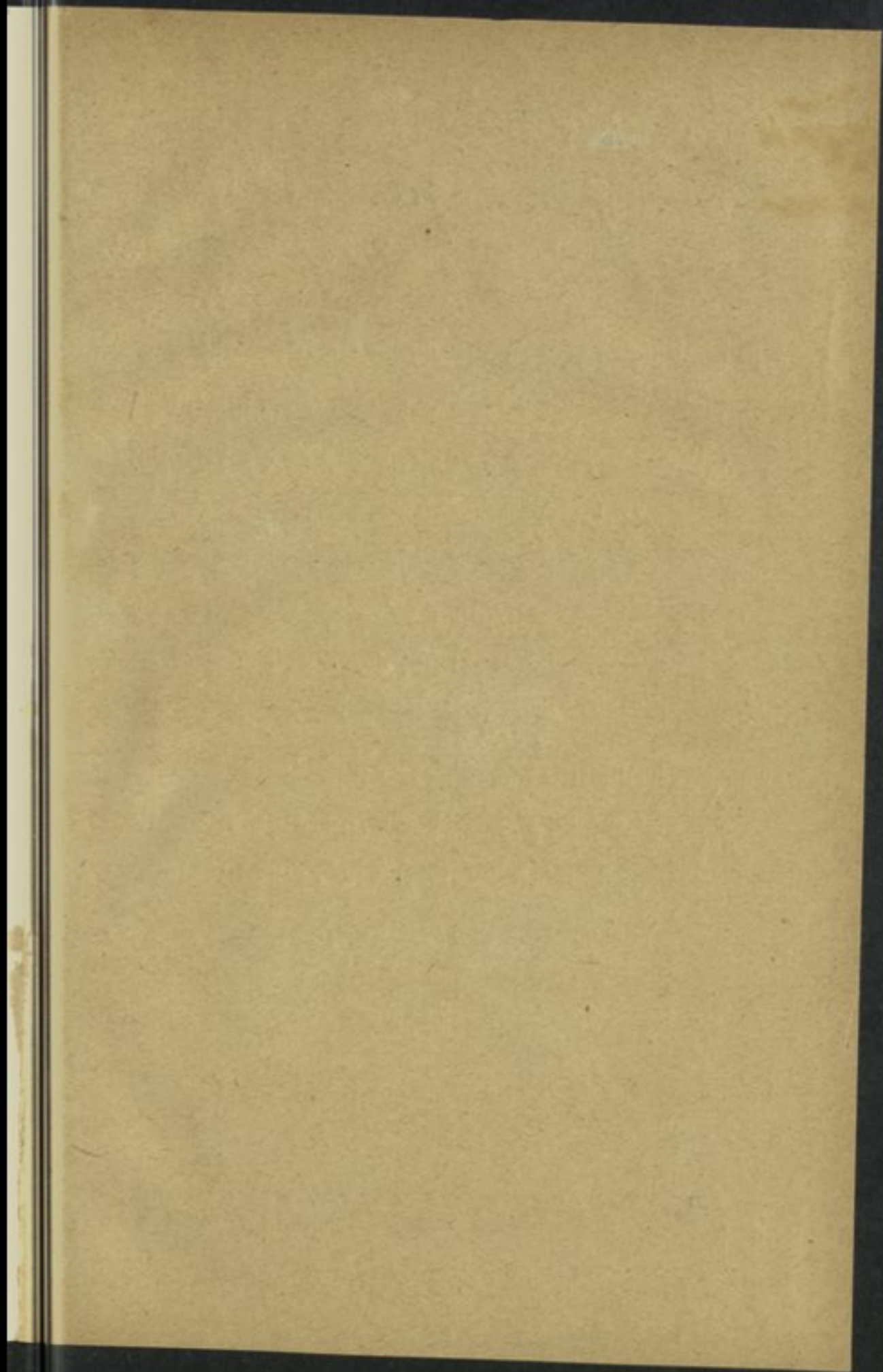
فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل

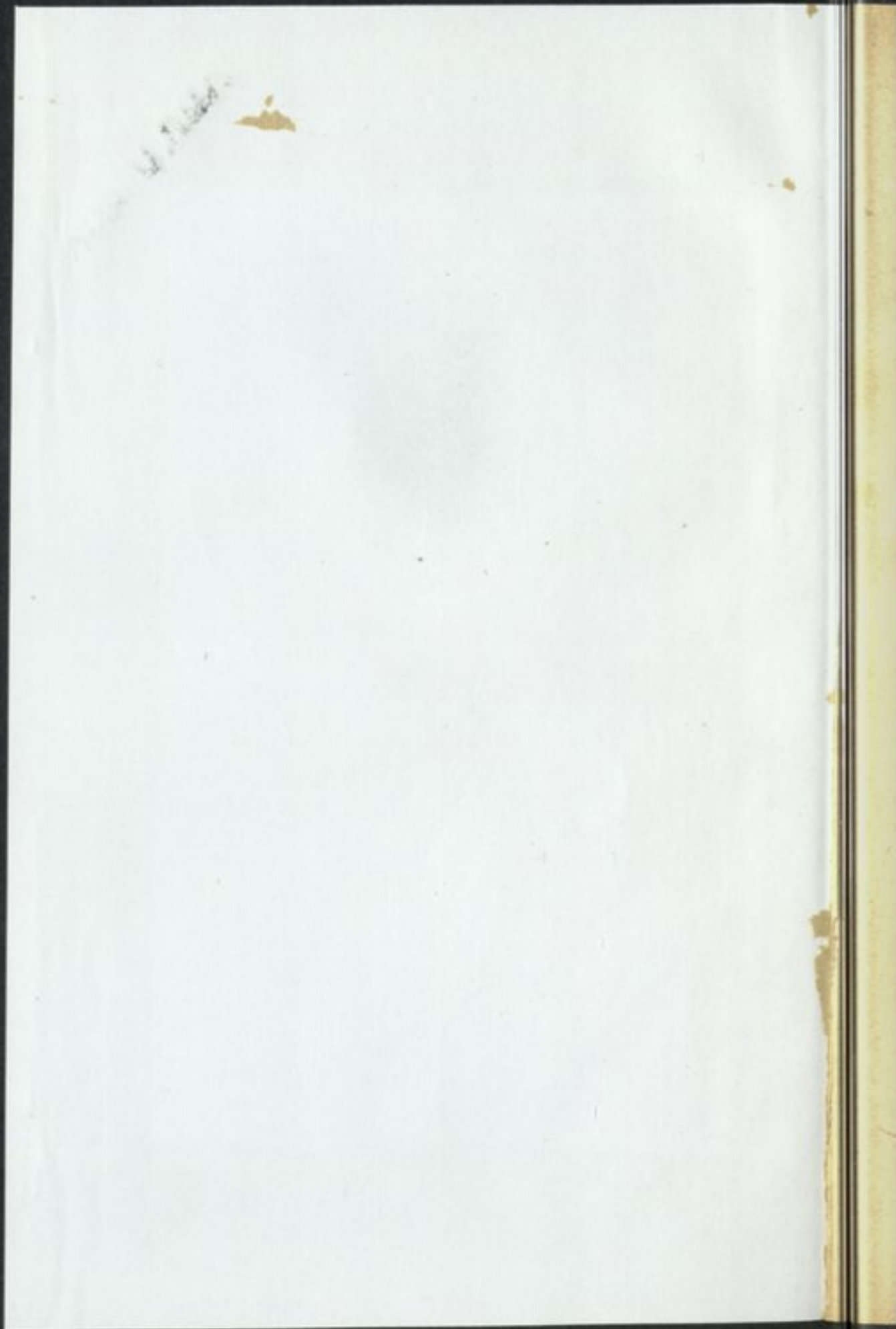
واما بدونه والله اعلم

تمت الرسالة الثانية عشر

وبتمامها تم والله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى
لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني دمشقي
(وبإيه ان شاء الله الجزء الثاني وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة)

بإلا كليل في المنشابه والتاويل





AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00500640

